مستقبل مسيحيي الشرق

أبحاث المؤتمر الأكاديمي المشرقي الأول

العطشانة - لبنان 4-5 أكتوبر 2022

مستقبل مسيحيي الشرق
أبحاث المؤتمر الأكاديمي المشرقي الأول
العطشانة - لبنان 4-5 أكتوبر 2022

مستقبل مسيحيي المشرق

أبحاث المؤتمر الأكاديمي المشرقي الأول

العطشانة - لبنان 4-5 أكتوبر 2022

الكتاب: مستقبل مسيحيي المشرق
عدد الصفحات: 272
القياس: 17×24
سنة النشر: 2023

الطبعة الأولى: 2023

صورة الغلاف: كنيسة القديس سمعان العمودي،
60 كلم شمال غرب مدينة حلب، شيدت عام 476 م.

© جميع حقوق النشر والترجمة محفوظة

المركز المجري للدراسات المسيحية المشرقية
العطشانة ـ لبنان
بالتعاون مع مركز المشرق للأبحاث والدراسات
بدعم من: Hungary Helps

لا يجوز نسخ أو استعمال أيّ جزء من هذا الكتاب في أيّ شكل من الأشكال أو بأيّ وسيلة من الوسائل سواء التصويريّة أم الإلكترونيّة أو الميكانيكيّة، بما في ذلك النسخ الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو سواها وحفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن من مركز المشرق للأبحاث والدراسات.

مستقبل مسيحيي المشرق

أبحاث المؤتمر الأكاديمي المشرقي الأول

العطشانة - لبنان 4-5 أكتوبر 2022

بيروت 2023

المركز المجري لدراسات المسيحية المشرقية
بالتعاون مع: مركز المشرق للأبحاث والدراسات
بدعم من: Hungary Helps

البحث عن المستقبل

غسان الشامي

منسق المؤتمر

تحية لكم وأهلاً بكم جميعاً

أوردت الدولية للمعلومات أن اثنين وأربعين ألفاً ومئتي لبناني غادروا البلاد منذ أول عام 2022.

لست في وارد معرفة عدد المسيحيين بينهم، أو نسبة المسلمين، لأنني أعرف أننا بلاد مأزومة ما تزال منذ أكثر من قرن ونصف تنزف أبناءها، وبخاصة المسيحيين منهم. ليس الوقت وقت بكاء على الأطلال..

ونحن بحق لا نبكي على طلل، بل نرقص عليه خفّة وقلّة نظر،لكنه وقت كي نبحث عن مستقبل هذا المشرق والمسيحيين فيه ومنه. كلنا مأزومون في الاجتماع والسياسة والاقتصاد والدين والثقافة. مأزومون وملامح غدنا قاتمة، نحاول تغطية سموات البؤس بقبوات اللغة والبيان، فيما يظهر البحث العلمي أننا والغون في ارتعاشات الحضيض.

ليست صورة معتمة.. هو الواقع، والشجاعة هي في إيجاد السبل للخروج منه بعد عقد ونيّف من مقاربتي شبه اليومية للحضور المسيحي في المشرق المترامي، وأمام هذا الرحيل الفادح، رفعت الصوت مع قداسة البطريرك أفرام الثاني واتفقنا على أن نترك للعقول والعلم والبحث أن يرشدوننا إلى تلمّس طريق الخروج إلى نور بقاء المسيحيين في أرضهم وبقاء الأرض لكل أبنائها.

واقعياً، لا يمكننا طلاء طين الهجرة الفادحة للمسيحيين خلال السنوات العشرين الماضية بشوكولا أغنيات أنهم أصحاب الأرض ومؤسسو الحضارة، أو تخبئة تعبير الأقليات والاستحاء منه بهبلنة جملة النوعية والكمية... الواقع يقول إن النزف في العراق وسوريا

ولبنان مرعب، أما في فلسطين فقد بات المسيحيون ديكوراً وحجارة للسياح، وفي الأردن لا يكادون يلحظون..

هذا هو الواقع ومن يرى غير ذلك فقد أصيب بحَوَلٍ مديد.

لست هنا في مكان من يرشق اللون الأسود على لوحة الشمس، لكن عندما قررنا في المركز المجري للمسيحية ومركز المشرق للأبحاث والدراسات إقامة هذا المؤتمر، كان هدفنا الكشف عن الحقيقة وعدم الخجل منها ورسم طريق عبر كوكبة من الباحثين والأكاديميين والمهتمين ووضعه أمام أصحاب الشأن..

لعلَّ وعسى.

وهنا أشكر جميع الأساتذة الأصدقاء والأحباء الذين تجاوبوا مع دعوتنا إلى هذا المؤتمر البحثي.

لا يكفي أن نضع اللوم على مؤسسات الدول والحكومات والحكام والخارج الذي يشرع أبوابه للنزف المسيحي، بل يجب أن نسأل المسيحيين أنفسهم عن سبب خفة تعلقهم بأراض يعتبرونها في أغانيهم أراضي آبائهم وأجدادهم.

يجب أن نسأل الكنائس والبطريركيات عن ماذا تفعل للمؤمنين.

يجب أن نسأل الله العلي إذا ما كان قد أشاح بنظره عن هذه الأمة.

يجب أن نسأل عن الرجاء والبقاء.

طبعاً لن آخذ دور السادة المنتدين.. لكن أدعو الحضور المرحب به والمشكور على تواجده إلى المشاركة في النقاشات بعد الندوات. قداسة البطريرك العزيز أفرام الثاني.. شكري لك غامر على سعة صدركم وانفتاحكم على شرعة العقل والبحث والخلاص بالعمل والإيمان.. أهلاً بكم جميعاً..بيتكم وأخوتكم نحن، وبكم وبلادنا ومن أحبها نبقى و..نبقى.

كلمة قداسة البطريرك
مار إغناطيوس أفرام الثاني
بطريرك أنطاكية وسائر المشرق
والرئيس الأعلى للكنيسة السريانية
الأرثوذكسية في العالم

أيّها الحضور الكريم

يُسعدني أن أرحّب بكم جميعًا في مقرّنا البطريركي هنا بالعطشانة في مستهلّ هذا المؤتمر الذي ينظّمه كلّ من المركز الهنغاري لدراسات المسيحيّة المشرقيّة والمركز المشرقي للدراسات.

نلتقي اليوم في ظلّ تحوّلات جذريّة ووجوديّة تمرّ بها منطقتنا والكثير من دول العالم، حيث سقطت الكثير من المفاهيم وتضعضعت نُظمٌ كثيرة تاركةً الإنسان في حالة من الارتباك وعدم اليقين بما ينتظر بشريّتنا من مستقبل قاتمٍ مهدَّدٍ بالانفجار في أيّة لحظة.

وقد أظهر وباءُ كورونا الاختلالَ الكبير وعدم التكافؤ بين دول وشعوب العالم.

وفي ظلّ التهافت الكبير على الحصول على اللقاحات وغيرها من أساليب الوقاية، كادت بعض الدول - حتّى الصديقة منها – أن تُعلِنَ حربًا على بعضها البعض.

فانكشفت هشاشة نُظُمِنا الإنسانيّة والسياسية وحتّى الدينية.

واليوم، يعيش العالم مأساة الحرب في أوروبا، التي هي في ظاهرها تَقاتُلٌ روسيٌّ-أوكرانيٌّ ولكنّها في جوهرها تنافُسٌ على قيادة العالم والاستيلاء على ثرواته.

وأمّا الضحيّة فهو مرّةً أخرى الإنسانُ المُسالِمُ الذي يسعى إلى الحصول على لقمة العيش.

أمّا في منطقتنا هذه التي ابتُلِيَت بالحروب والخصومات منذ أجيال، فالإنسان يفقد كرامته كلَّ يوم وهو يسعى جاهدًا لتدبير احتياجاته الضروريّة للحياة.

والمسيحيّ - ربّما أكثر من غيره - يشعر بالخوف ممّا ينتظره، وذلك بسبب التجربة التي مرّ بها خلال السنين القليلة الماضية ونعني الهجمات الهمجية للجماعات الإرهابيّة التكفيريّة التي لم توفّر البشر ولا الحجر في محاولة منها لطَمْس كلّ ما يميّز هذه البلاد من إرث حضاريّ ماديّ أو روحيّ أو معنويّ. فسارَعَ المسيحيّون قبل غيرهم للهجرة، وهكذا يكاد مشرقُنا هذا يخلو من مسيحيّيه الذين أسهموا في بناء حضارته، وتركوا فيه بصماتٍ لا تُمحى على مرّ العصور.

وبدون شكّ، فإنّ هذا الغياب المسيحيّ لا يضرّ فقط بالمسيحيّة المشرقيّة التي تجسّد اليوم القِيَمَ المسيحيّة الحقيقيّة بعد ما أصاب الغرب من ضعف، وما انتشر فيه من تيّارات ماديّة وإلحاديّة، بل هو ضربة للمجتمع المشرقيّ بأكمله: فالمُسلِمُ أيضًا بحاجة إلى استمرار الوجود المسيحيّ في منطقتنا لئلاّ تُصبحَ هذه البلاد ذاتَ لونٍ واحدٍ يؤدّي إلى انغلاقٍ على الذات ومزيدٍ من التعصّب الدينيّ.

فالوجودُ المسيحيُّ في المشرق ضرورةٌ مُلِحَّةٌ لأبناء المنطقة بمختلف انتماءاتهم وذلك لما للمسيحيّين من حضور تاريخيٍّ تنويريٍّ في المنطقة تجلّى بأفضل صوره من خلال دورهم في تأسيس دواوين الدولة الأمويّة في دمشق، ونشاطهم العلميّ والثقافيّ في ظلال الدولة العبّاسيّة في بغداد، وخاصّة حركة التأليف والترجمة التي قادها علماء سريان.

وكذلك دورهم الفعّال في إعادة إحياء اللغة العربية وآدابها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

ولا ننسى دورَهم في الحياة السياسيّة في المنطقة من خلال إسهامهم في تأسيس الأحزاب والحركات السياسيّة مثل حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب القومي السوري الاجتماعي.

وكان ولا يزال للمدارس والجامعات المسيحيّة الدور البارز في تنشئة أجيال من العلماء والمثقّفين، سواء في القرون الأولى ضمن الأديرة، أو في العصور المتأخّرة من خلال المؤسسات التعليميّة التي أنشأتها البعثات التبشيرية.

أيّها الحضور الكريم،

إنّ أهميّة هذا اللقاء تكمن في كونه اللقاء الأوّل الذي يَجمَع أكاديميّين ومختصّين يقدّمون أبحاثهم حول الوجود المسيحي ومستقبله في المشرق في ضوء ما تعرّضت له منطقتنا من أحداث دامية وهجمات إرهابية يمكن وصفها بالتطهير الديني، وقد وُصِفَتْ من قِبَل البعض بالإبادة الجماعيّة نظرًا للنتائج الكارثيّة التي أفرزتها بحقّ عدد كبير من شعوب المنطقة، ولكن بشكل خاص بحقّ المسيحيّين والإزيديّين وغيرهم من الأقليّات الدينيّة، ممّا أدّى إلى هجرة الملايين منهم من بلاد كانت موطن آبائهم وأجدادهم منذ قديم الزمان.

ومَن بقي منهم لم يَعُد يشعر بالأمان، ممّا يؤدّي إلى تقوقعهم على نفسه وانعزالهم عن محيطهم.

وهنا يكمن خطرٌ كبيرٌ، فالانفتاح على الآخر هو المطلوب في هذه الظروف وليس العكس.

أمام هذه الصورة القاتمة للوجود المسيحيّ في المشرق، فإن بقاءَ المسيحيّة في هذه البلاد وتعزيزَها لتكون فاعلةً ومؤثّرةً مسؤوليّةٌ تتشارك بها أكثر من جهة، ولكن على وجه الخصوص:

1 - حكومات دول المنطقة التي لها مصلحةٌ كبرى ببقاء المسيحيّين والاستفادة من إمكانيّاتهم وانفتاحهم، وذلك من خلال ضمان مساحة كافية تمكّنهم من العيش الحرّ الكريم على أساس من المواطنة، متساوين بالحقوق والواجبات مع باقي مكوّنات المجتمع.

2 - الكنيسة بكل تفرّعاتها التي يجب أن تبثّ روح الرجاء بين أبنائها، وخاصّة في ظلّ الظروف المعيشيّة الصعبة التي تمرّ بها البلاد، فتقدّم لهم المعونة من خلال استيعابِ أكبر عدد ممكن من الطلّاب في مدارس الكنيسة الخاصّة ومؤسّساتها التعليمية.

وخلق فرص عمل في مشاريع صغيرة تؤسّسها الكنيسة.

ومن المعلوم أنّ إمكانيّاتِ كنائسنا محدودةٌ؛ وهنا يأتي دور الجمعيّات الخيريّة والمؤسّسات الكنسيّة والإنسانيّة التي تدعم مشاريع الكنيسة بدرجات متفاوتة.

ونحن نقدّم شكرنا لكلّ هذه الجهات الممولّة، ونخصّ بالشكر والتقدير شعبَ وحكومةَ هنغاريا المجر التي تعمل منذ سنين على تعزيز الوجود المسيحيّ هنا في المشرق وفي

أماكن أخرى من العالم، من خلال عمل مؤسسة Hungary Helps التابعة لوزارة الخارجية الهنغارية.

ويُسعِدنا أن نرحّب برئيس Hungary Helps سعادة الوزير تريستان أزبي، الذي لبّى دعوتنا لحضور هذا المؤتمر. ولا بدّ من التنويه بأنّ المجر تكاد تكون الدولة الوحيدة التي تقدّم المساعدة مباشرةً عن طريق الكنائس المحلية.

أيّها الحضور الكريم،

نشكر لكم وجودكم معنا ومشاركتكم في هذا المؤتمر الذي ينظمّه كلّ من المركز الهنغاري لدراسات المسيحية المشرقية ومركز المشرق للدراسات، متمنّين للمؤتمر كلّ النجاح.

H.E. Mr Tristan Azbej State Secretary for the Aid to Persecuted Christians

Your Holiness, Most Reverend Fathers, Excellencies, Dear Participants,

It is my great honor to greet the participants of the conference, first of all His Holiness Ignatius Aphrem II, a true friend of Hungary.

I am grateful to him for the cooperation and the opportunity to have this conference here today.

I would also like to express my gratitude to Professor Ghassan Shami and to wish him all the best for this Hungarian Center for Levantine Christianity.

There is a word that has the same meaning all over the world. Although the adjectives attached to this phrase may differ, it means the same in the Middle East, Africa, Asia or Europe.

This word is solidarity. For us Christians all over the world this concept has a special significance especially nowadays when our brothers and sisters are being faced with challenges, threats and attacks.

Throughout our history, we Hungarians have fought many times in order to defend our Christian faith and Hungarian identity.

We protected our southern borders from the Ottoman Empire for centuries defending whit this heroic resistance not only Hungary but the entire Christian Europe, and in the 20th century we were the victims of the anti-church communist dictatorship.

In this Levantine region Christian communities face completely different problems than we do in the heart of Europe.

There are certainly many people here in this room who have heard harrowing stories or have painful personal experiences.

Due the ongoing conflicts and economic crises emigration is becoming here an increasingly concerning phenomenon, especially among young people that leads to overall uncertainty in the entire region.

The direct impacts of these dangerous demographic and social developments are expected to be felt not only in a longer but also in a shorter term.

However, the disintegration of local communities is not a self-evident, spontaneous social phenomenon.

In the past decade, Daesh here in the Middle East, while Boko Haram and other extremist terrorist organizations in Africa have been spreading systematic destruction.

Destruction in human lives and centuries-old cultural heritage.

In Syria and Iraq entire communities and ethnic groups have been brought to the brink of extinction and disappearance, because certain groups have been trying to implement these destructive ideologies.

Western liberal politicians who consider themselves omniscient, instead of speaking openly about the attacks on Levantine Christians, cover up the reality and attribute these anomalies to other phenomena, such as climate change.

According to them, abduction and execution of priests, or torching churches is a consequence of increasing temperatures.

They fabricate ridiculous argumentations in order to avoid to talk about tragic Christian fates in the Levant.

We in Hungary do not want to hide behind false and indefensible theories, we do not want to sweep the problem under the rug.

We will not keep quiet and we will not let others to hide the truth, namely that the persecution of Christians is the biggest human rights crisis of our time, which - despite its brutality and volume – is unfairly neglected from the agenda of diplomatic and human rights related events.

We will not allow Europe or the so-called developed world to hide this catastrophe which is happening in front of our eyes in your neighborhood, in Syria and Iraq, in a politically correct gloom.

It is clear to us: This region is the cradle of Christianity, and we are aware that the presence of Christianity, Christian culture and civilization is of vital importance not only for our brethren and sisters living here, but also for Christianity all over the world.

That is the reason why we bear the fate of the Christians living here in our hearts and though we are living between different circumstances we do we pledge spiritual solidarity with them.

We clearly see that the only answer to destruction or crises and challenges perseverance and staying in the homeland.

To support these efforts mentioned above five years ago the Government of Hungary established its international humanitarian aid program, the Hungary Helps Program which has already helped more than half a million people in various crisis zones to stay in their homeland or to return there.

Since the outbreak of the migration crisis in 2015, we have been following one principle in this regard: assistance should be taken where it is needed, and not to send millions of people on their way, making them rootless and let them drift in the world.

Dear Participants,

Here today at this important conference, we have the opportunity to assess what the future may hold for the region from a scientific, demographic, anthropological, cultural and religious point of view.

The premise is simple: the world must learn about the recent crimes committed against Christians.

The persecution of Christians must be understood as a forecast of larger international events.

The world must acknowledge that the persecution of Christian communities, families, children living in the Middle East and some parts of Africa, have impacts that reach far beyond of these conflict zones, in fact, they endanger our common values and heritage.

For this reason, we, Lebanese, Syrians, Iraqis, Canadians and Hungarians altogether keep repeating: this tendency must be stopped.

We Hungarians are a Central European people and we are not many.

Our influence, territory, population, and army may not be so much significant.

Despite this, we have already provided assistance through more than 190 projects to half a million people throughout the world.

If Hungary Helps Program is to be considered a success, it is because we are doing what local Christian leaders think we should do for them and what they consider vital for their communities.

I have learned from them that the most essential thing is to help their survival in their homelands while helping others return to their home countries as well.

We Hungarians wish the Levantine, Syrian, and Iraqi Christians to return as soon as possible to the land where their ancestors have previously lived for centuries.

Today, five years after the establishment of the Hungary Helps Program, we are no longer alone.

Dozens of international governmental and civil organizations, scientific societies and humanitarian relief organizations have joined the solidarity of Hungarians, from Central Europe all the way to the United States.

Dear friends,

we have been glad to support the creation of this Hungarian Centre for Levantine Christianity of the Syriac Orthodox Church of Antioch.

The project aimed at establishing a centre that would provide a platform for dialogue, knowledge and cultural exchange for diverse religious groups in the Levant, who share different views and consequently find themselves in conflict.

The facility shall also function as a research centre, where studies will mostly concentrate on the history, the cultural contributions, the humanitarian effects and the saints of Levantine Christianity.

I wish all the success to this endeavor, because I firmly believe that the key to a community›s survival is its faith and culture.

You Holiness, Ladies and gentlemen, Most Reverend Fathers,

I brought here a message of solidarity from Hungary and the Hungarian people to you and your communities: You are not alone! We will give and bring all the help we can to make this region become a flourishing jewel of the world again!

الديناميّات الديموغرافيّة لمسيحيّي المشرق

د. شوقي عطيه[1]

تتأثر ديموغرافية الشعوب بثلاثة عوامل أساسية تعرف بمركبات النمو. هذه العوامل هي: الولادات (الخصوبة) والوفيات والهجرة. أي تغيّر، بأي عامل من العوامل الثلاثة، يؤدي إلى ديناميّة ديموغرافية قد توصل إلى زيادة أو نقصان عدد السكان. إلا أن الزيادة والنقصان، وهما ما يظهران للعيان، لا يشكّلان كل الدينامية الديموغرافية. فنحن نضيف لعدد السكان، بُناهم الديموغرافية لناحية العمر والجنس أساساً.

الـولادة والوفاة ظاهرتان بيولوجيتان طبيعيتان، الخصوبة ظاهرة ثقافية وبيولوجية أما الهجرة فظاهرة مركبة تؤثر فيها العوامل البشرية الصنع، إما هرباً من مكان إقامتهم، أو بحثاً عن مكان إقامة أفضل. وهذه الظاهرة وإن مصطنعة، فهي قديمة بقِدم البشر أنفسهم. هذا في المبدأ، إلا أن الواقع أكثر تعقيداً من هذا. فالخصوبة والوفاة والهجرة كلها تتأثر بعدد كبير من العوامل المتداخلة التي تؤثر بها مباشرة. وعليه، نرى أن جماعات إنسانية أكثر خصوبة من الأخرى (الخصوبة التفاضلية) وأن جماعات أكثر عرضة للموت من أخرى. من الطبيعي أن الموت حتمي، إلا أن ما يهمنا هنا هو عدد السنوات المعاشة والتي يعبّر عنها بتوقّع الحياة عند الولادة (أو أمل الحياة عند الولادة). أما الهجرة، فهي تكثر عند الجماعات غير المستقرة. وعدم الاستقرار ينتج عن وضعها الاقتصادي أو الاجتماعي أو السياسي، بالإضافة إلى ما قد يهدّد استقرار جميع البشر كالعوامل الطبيعية مثلاً.

بعد كل ما تقدم، ندرك أن أي حجم لأي جماعة بشرية مرتبط بالعوامل الثلاثة الأساسية في الديموغرافيا: فزيادة الخصوبة وتراجع الوفيات وانخفاض حجم الهجرة المغادِرة تؤدي

---

(1) . أستاذ الديموغرافيا في معهد العلوم الاجتماعية – الجامعة اللبنانية ورئيس مختبر الديموغرافيا في مركز أبحاث المعهد. Chattieh@ul.edu.lb

إلى زيادة عددها، والعكس صحيح. تؤثر الثقافة بشكل مباشر على العوامل الديموغرافية، والثقافة بدورها تتأثر بالاجتماع والاقتصاد والسياسة. عليه، فإن تكاتف هذه العوامل مع بعضها بعضاً سيخلق ديناميّة ديموغرافية متمايزة بتمايز الثقافة. وبما أن الاجتماع البشري يتألف من جماعات فرعية تزداد خصوصية كلما تباعدت ثقافياً عن بعضها بعضاً، نرى عندها تمايزاً ديموغرافياً يتراوح بين غير المرئي إلى الواضح بالمشاهدة العيانيّة فحسب. ما أقوله ليس بجديد على أحد، فالتمايز الديموغرافي واضح في مجتمعاتنا، إلا أن سبب هذا التمايز، أو فهمنا له، يقع ضمن خانة التنميط والخطأ الشائع. وإذا أردنا أن نعبر عن هذا التنميط بعبارات بسيطة نقول أن: المسلمين أكثر خصوبة من المسيحيين. في الملاحظة البسيطة، هذه الفرضية صحيحة. إلا أن التعمّق فيها يوصلنا إلى نتائج أكثر تعقيداً. المسلمون أكثر خصوبة بسبب تراكمات ثقافية خلال القرن الأخير اختلفت عن تلك التي حصلت عند المسيحيين. وهنا أعود إلى ما قلت عما تفعله الثقافة في الديموغرافيا، لأزيد: الدين ما هو إلا أحد المكوّنات الثقافية. وعندما نضيف التعليم والعمل والسياسة إلى الدين، وكل ما ينتج عنها من تغيرات ثقافية خاصة تدخل وتؤثّر على الثقافة الأساسية للجماعات، نكون هنا أمام خصوصيات ديموغرافية تختلف بين جماعة وأخرى.

هكذا، فإن سبب التمايز الديموغرافي بين دين وآخر داخل المشرق، وبين طائفة وأخرى داخل الدين الواحد ما هو إلا التراكمات الثقافية التي خضعت لها كل جماعة، إثنية كانت أو طائفية. ومع تراكم المتغيرات التي أثّرت على الواقع المعاش، وبالتالي على الثقافة، لكل جماعة من الجماعات لا بد أن تتغير المخرجات الديموغرافية لهذه الجماعة. وبما أن مسيحيي المشرق كانوا الأكثر تعرّضاً للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ظهرت النتيجة بديناميّات ديموغرافية واضحة.

تسعى هذه الورقة البحثية إلى وصف واقع التحولات الديموغرافية التي ظهرت عند مسيحيي المشرق وربطها في سياق تاريخي بجملة المتغيرات التي تعرضوا لها منذ اتفاقية سايكس – بيكو؛ الاتفاقية التي رسمت المنطقة بحدودها المصطنعة، ولغاية اليوم. وللقيام بذلك سنستخدم المنهج التاريخي بالأسلوب الوصفي، بالإضافة إلى التحليل الديموغرافي لأبرز التحولات التي خضع لها مسيحيو المشرق، أي الأردن وفلسطين والعراق وسورية ولبنان، مع التركيز خاصة على ما حصل ويحصل في الدول الثلاث الأخيرة. والتقنية الأساسية التي سنعتمدها هي تحليل المعطيات الثانوية من دراسات إحصائية أو ديموغرافية تاريخية.

كما سنعتمد على تحليل المعطيات الأولية في حالة لبنان من خلال تحليل معطيات لوائح الشطب (الناخبين) العائدة إلى انتخابات 2022 النيابية.

لا بد هنا إلا أن نشير إلى الصعوبة التاريخية في هذا النوع من الدراسات التي تعتمد على تحليل المصادر الثانوية للمعطيات، بسبب غياب المصادر الرئيسة، أو ندرتها في أفضل الأحوال. فالدراسات الديموغرافية، المتفاوتة الجودة متوفرة، إلا أن الدراسات التي تتخصص في العلاقة بين الدين أو الإثنية والديموغرافيا غير متوفرة. وهذا ما يدفعنا إلى الاعتماد على ما يمكن أن نحصل عليه من معطيات، حتى لو لم تكن دقيقة بما لا يقبل الشك. أشار يوسف كرباج (Courbage, 1999) إلى هذه المشكلة منذ أكثر من عشرين عاماً، والوضع ما زال على حاله.

ديموغرافيا المشرق خلال قرن

قبل قرن وبضع سنوات خلت، لم يكن تقسيم سكان المشرق على ما هو عليه اليوم. ولم تكن بعض دوله قد نشأت على ما نعرفه بعد. كان سكان المشرق أقل بكثير مما هم عليه اليوم. إلا أن بناهم الأساسية لناحية التكوين الطائفي والإثني تكاد تكون كما كانت عليه، أقلّه لناحية عدد المكونات لا حجمها أو نسبتها مقارنة بغيرها.

يعتبر الوصول إلى أعداد السكان عند بداية الاستعمار (الانتداب) الفرنسي- الإنكليزي، أي في بداية عشرينيات القرن العشرين، من المهام السهلة. لقد قامت كل من بريطانيا وفرنسا بتعدادات شاملة للدول التي انتدبت عليها كإجراء طبيعي يقوم به أي مستعمر على المقاطعات التي سيبسط نفوذه عليها. ذلك أن معرفة عدد السكان من ضروريات السيطرة. إلا أن الواقع أن بريطانيا وفرنسا لم تكونا تهتمان فقط بمعرفة عدد سكان كل دولة، لا بل سعت كل منهما، من خلال التعداد، إلى تبيان التوزيع الطائفي والإثني لكل دولة من الدول. وليس سراً إن قلنا أن كل منهما كانت تعرف معظم الواقع منذ عقود خلت. ففرنسا مثلاً قامت، من خلال قنصلياتها أو بعثاتها المختلفة، بعدد كبير من الإحصاءات المتفاوتة الدقة في لبنان تبينت من خلالها نسب توزيع الطوائف المختلفة فيه. (عطيه، 2014)

هكذا، ما أن بدأت بريطانيا وفرنسا تطبّق قرارات الانتداب على الدول الخمس، حتى كانت نتائج التعدادات قد صدرت ونُشرت[1].

(1) . يشكك الكثيرون في صحة التعدادات الأولى لعدد من الأسباب، منها عدم شمولها على الجميع إما سهواً

بلغ عدد سكان المشرق في حينها ما يقارب الـ 6 ملايين نسمة، وكان سكان لواء الاسكندرون من ضمن هذا العدد قبل أن يتم سلخه عن سورية بعد عقد من الزمن. (جدول 1)

جدول 1: توزع سكان دول المشرق على الديانات الأساسية مع بداية تطبيق الانتداب

الدولة	الأردن (1)	سورية (2)	(3) لبنان	(4) العراق	فلسطين (5)	المجموع	النسبة
الطائفة							
المسلمون	229000	1278600	273291	2635000	591046	5006937	84.07%
المسيحيون	18000	167662	323268	80000	73024	661954	11.12%
اليهود	0	12642	0	88000	83794	184436	3.10%
مختلف	3000	0	8436	30000	9318	0	0.8%
أجانب[1]	0	51316	0	0	0	51316	0.86%
المجموع	250000	1510220	604995	2833000	757182	5955397	100.00%
النسبة	4.20%	25.36%	10.16%	47.57%	12.71%	100.00%	
(70 صفحة ،2004 ،الشاعر) (Augustin, 1924, p. 74) (Jaulin, 2009, p. 195) (Weulersse, 1934, pp. 7374-) (Augustin, 1924, p. 78)							

في ما يتعلق بتوزيع السكان بين الأديان، بلغت نسبة المسيحيين في المشرق ما يقارب الـ 11.12 %، حيث كانت أعلى نسبة للمسيحيين في دولة لبنان الكبير، إذ كانوا يشكلون أكثرية السكان بنسبة بلغت 53.4 % وكان معظم المسيحيين اللبنانيين من الموارنة. والدولة الثانية لناحية نسبة المسيحيين كانت سورية حيث ناهزت نسبتهم 13 %، وكانت النسبة الأكبر للمسيحيين تعود للروم الأرثوذكس فيها.

أو عمداً (هذا العمد أتى من المنظمين ومن المعدودين) بالإضافة إلى تعمد الدولتين العظميين إلى زيادة نسبة مكون سكاني على آخر لأسباب ستتضح في ما بعد.

(1) . المقصود بالأجانب هم المواطنون لبلدان أجنبية، غالباً أوروبيّة، لم يدخلوا في التعدادات بهوياتهم الطائفية.

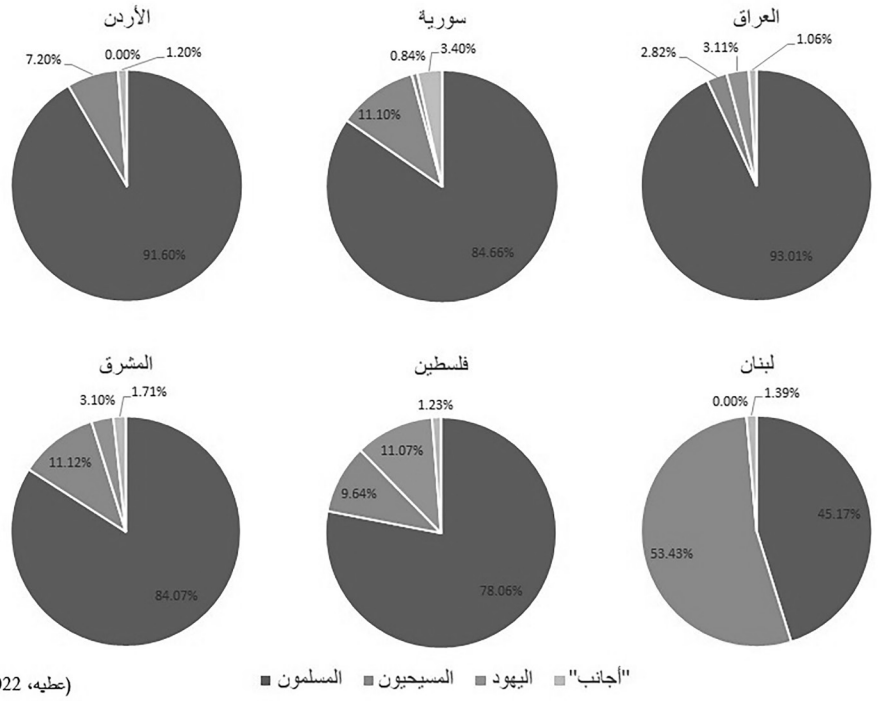

(عطيه، 2022)

رسم بياني 1: توزع سكان المشرق على دوله حسب الأديان من المجموع، 1920-1922 [1]

بدأت نسبة المسيحيين تتراجع مقارنة بباقي الأديان والطوائف، إن كان في المشرق أو في دوله، ابتداءً من ذلك التاريخ. لم يمنع تراجع هذه النسبة بعض الديناميّات الديموغرافية التي طرأت على بعض دول المشرق، وخاصة الهجرة الوافدة للأرمن في عشرينيات القرن العشرين. فقد بلغ عدد المهاجرين الأرمن إلى سورية ولبنان أكثر من 150 ألف نسمة، وذلك منذ عام 1914 إلى عام 1927، علماً أن الأعداد الكبرى دخلت البلاد في بداية العشرينيات. غادر من هؤلاء حوالي 30 ألفاً إلى فرنسا والولايات المتحدة وغيرها، وبقي منهم حوالي 120 ألف فرد. (Augustin, 1924, pp. 73-74) لن نتحدث هنا عن هجرة الأشوريين والسريان لأنها كانت ضمن دول المشرق، وخاصة من العراق إلى سورية ولبنان، بحيث لن تحدث أي إضافة إلى نسبة مسيحيي المشرق؛ لا بل على العكس فقد هاجرت نسبة لا بأس بها إلى خارج العراق باتجاه الغرب، وخاصة الولايات المتحدة الأميركية التي هي من أبرز الدول التي يقصدها أشوريو العراق لليوم. (Hughes, 2017, p. 49)

(1) . المصادر نفسها من الجدول. الرسم للباحث.

تضاعف عدد السكان في المشرق خلال قرن من الزمن إلى أن أصبح اليوم يزيد عن 85 مليون نسمة، أي ما يشكل نسبة نمو سنوي بمقدار 2.7 % وهي من الأعلى في العالم[1]. إلا أن نسب النمو تتفاوت بين المسيحيين والمسلمين، إذ كانت 1.57% سنوياً للمسيحيين و2.84 % للمسلمين[2]. يفسّر هذا التفاوت الكبير في نسب النمو لأديان سكان المشرق خلال قرن من الزمن، انخفاض نسبة المسيحيين التي تدنّت من 11.1% عام 1922 إلى 3.6 % حالياً. (جدول 2)

جدول 2: توزع سكان دول المشرق حسب الدين، 2022

	عدد السكان	نسبة المسلمين	نسبة المسيحيين	عدد المسلمين	عدد المسيحيين
سورية	18250000	96.3	3.7	17574750	675250
لبنان	4840000	67.6	32.4	3271840	1568160
لبنان في سوريين لاجئين	1500000	92	8	1380000	120000
فلسطين	7252816	99	1	7180288	72528
الأردن	11271778	97.5	2.5	10989984	281794
العراق	42248900	99	0.64%	41826411	260000
المشرق	85363494	96.32%	3.62%	82223272	2977732
(2022 ،عطيه) :أرقامه[3] وحساب الجدول تنفيذ :المصادر سورية: (ARDA, 2020) - (US Department of State, 2020) - (UNHCR, 2019) لبنان: (US Department of State, 2019) - (CAS, 2020, p. 2019) فلسطين: (Minority Rights Group International, 2022) – والقوى السكان احصاءات مديرية) :العراق (11 صفحة ،2020 ،العاملة) - (Index Mundi, 2022)- (Dumont & Montenay, 2002, p. 4) (2022 ،العامة الإحصاءات دائرة) :الأردن - (Index Mundi, 2022)					

(1) . أي أن عدد السكان يزداد بمقدار 2.7% سنوياً منذ 1922 ولغاية اليوم.

(2) . تتأثر نسبة النمو السكاني السنوي بمركبات النمو الثلاثة (ولادات – وفيات - هجرة) وهو ما سنتوسع فيه لاحقاً.

(3) . تعددت مصادر الأرقام التي تكوّن منها هذا الجدول، كما هو واضح في لائحة المصادر الخاصة به. نشير هنا

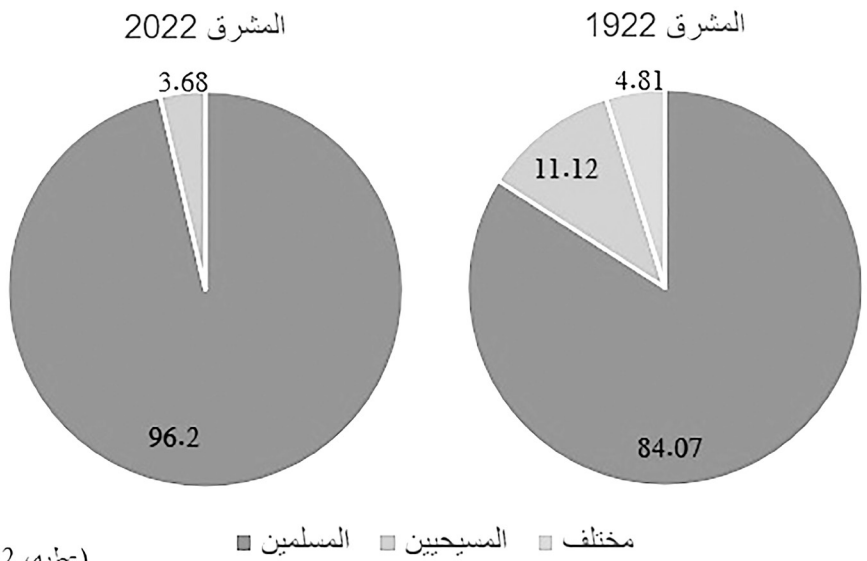

(عطيه، 2022)

رسم بياني 2: نسب المسيحيين في المشرق بين 1922 و2022

إلى الأمور الأساسية التالية:

تعاني الأرقام الديموغرافية في جميع دول المشرق من فقدان المصداقية والشفافية، وخاصة عندما تصدر عن الجهات الرسمية المخوّلة بذلك، حتى أن في الكثير من الأحيان نفضل الاستعانة بأرقام مكاتب الإحصاء الأجنبية. حتى الأردن مثلاً، وهو الأكثر دقة في هذا المجال، يشير إلى أن نسبة المسيحيين فيه هي 8%: قد يكون هذا الأمر صحيحاً قبل الأزمة السورية. إلا أنه بعيد كل البعد عن الصحة اليوم. الأمر نفسه بالنسبة للبنان حيث تصنّف بعد المصادر بأن نسبة المسيحيين 33% أو 35% أو 39%. حتى أن الدولية للمعلومات نشرت دراسة عام 2018 تبين أن عدد سكان لبنان بلغ 5.5 مليون وأن 30% منهم مسيحيون، لم أعتمد على هذه الأرقام بسبب التفاوت الكبير (0.7 مليون نسمة) بين الدولية للمعلومات وإدارة الإحصاء المركزي، حيث من الممكن أن الدولية للمعلومات قامت بحساب السوريين والفلسطينيين في المخيمات؟

كان الوصول إلى عدد تقريبي لمسيحيي العراق هو الأكثر صعوبة، فالتقديرات تشير إلى أن عدد المسحيين في العراق يتراوح بين 200 و350 ألفاً على عدد سكان 40 مليون نسمة في عام 2020. فكل مركز أبحاث يقدم رقماً. عليه اعتمدنا على رقم وسطي هو 266 ألفاً وقمنا بإعادة اسقاطه على عدد السكان المتوقع لعام 2022 وهو 42 مليون نسمة.

بعد مقارنة عدة مواقع ومصادر علمية في ما يتعلق بنسبة المسيحيين اعتمدنا على هذه النسب التي هي الأقرب إلى الواقع.

قمنا بحساب عدد المسيحيين والمسلمين نسبة لعدد السكان الرسمي (من الدوائر الرسمية) في كل دولة، وبعدها حسبنا نسبة المسيحيين في المشرق.

في الحقيقة، إن النسبة 3.8 % تعبّر عن أعلى رقم ممكن للمسيحيين في المشرق. فبعد اطلاعنا على عدد كبير من المصادر أخذنا الأرقام الأعلى والتي هي الأقرب إلى الواقعية والموضوعية. ذلك أن أعداد المسيحيين في العراق تراوحت مثلاً، وحسب المصادر، بين الـ250 و350 ألفاً لعدد سكان بلغ 40 مليون عام 2020 ونسبة 1 % من مجموع السكان في العام نفسه في مصادر أخرى.

لا يعود تراجع نسبة المسيحيين في المشرق إلى سبب واحد دون غيره، بل يأتي نتيجة تضامن عدة عوامل. فتراجع النسبة لا يعني تراجع العدد، بل على العكس فقد ارتفع عدد المسيحيين من 662 ألفاً إلى 3.14 مليون نسمة. إلا أن نسبة النمو المنخفضة مقابل النسبة المرتفعة عند المسلمين ستنعكس مع الوقت انخفاضاً في نسب المسيحيين. السبب الأول في هذا الاختلاف بين نسبتي النمو يعود إلى ارتفاع خصوبة المسلمين تاريخياً عن خصوبة المسيحيين. إلا أن الخصوبة التفاضلية هذه ليست السبب الوحيد، بل تأتي عوامل أخرى لتزيد الهوة بين نسبتي النمو المذكورتين. ومن أبرز العوامل، بالإضافة إلى الخصوبة، نذكر: الهجرة، كعامل مباشر، والتعمّر كعامل غير مباشر.

سنتطرق هنا إلى أبرز العوامل التي أدّت إلى تفاوت في نمو المسيحيين والمسلمين في ثلاث من دول المشرق وهي لبنان وسورية والعراق وذلك للأسباب التالية:

تحتوي هذه الدول على أكبر عدد من المسيحيين.

قامت هذه الدول تاريخياً بتعداد السكان على أساس طائفي.

تعاني هذه الدول، حالياً، من مشاكل مركبة ذات طابع طائفي أو إثني- طائفي.

عانى المسيحيون في هذه الدول من أزمات دفعتهم إلى الهجرة الجماعية إلى الخارج.

وفي العودة لمسألة عدم دقة التعدادات، وخاصة تلك المتعلقة بتوزع السكان على المكونات الدينية والعرقية، يمكننا عرض تحليل للبيانات الأولية من لبنان، وذلك من خلال استخدام المعطيات الخاصة بالانتخابات أو ما يُعرف بلوائح الشطب. تُعتبر هذه اللوائح المصدر الوحيد المتاح أمام الباحثين لمعرفة واقع الطوائف في لبنان، إلا أن استخدامها محدود وذلك لأنها لا تعرض مجمل السكان، بل تكتفي بعرض من أتمّ سن الاقتراع أي الحادية والعشرين من العمر، أي أنها مقتصرة على ما نسبته 65% من مجموع السكان المقدّر

عام 2020 (CAS، 2020، صفحة 25). أضف إلى ذلك، ما يمكن أن يشوب هذه اللوائح من أخطاء كالتسجيل المزدوج أو تسجيل المغتربين وغيرها. ومع ذلك، يقوم الباحث في المجال الديموغرافي بالاعتماد على ما يتوفر لديه من معطيات. توضّح لنا هذه المعطيات أن نسبة المسيحيين تقرب الـ 34.5% من مجموع الناخبين المسجلين. وقد توزعت هذه النسبة على الطوائف اللبنانية حيث كانت أعلى نسبة للموارنة الذين يشكلون 19.3% من الناخبين اللبنانيين و56% من الناخبين المسيحيين في لبنان. نلاحظ الانخفاض الواضح في نسب المسيحيين لمجموع الناخبين عما كانوا عليه في عام 2005، إذ كانت نسبة الناخبين المسيحيين تقارب الـ 40% لتصبح 34.5% عام 2022. (جدول 3)

جدول 3: توزع الناخبين على الطوائف، 2005 و2022، لبنان[1]

	5002	2202	النمو السنوي%		
الطائفة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	
سنة	586108	%9096.62	1680711	%3115.92	52.2
شيعة	810397	%3204.62	7523611	%6913.92	82.2
دروز	928961	%2456.5	108122	%4095.5	85.1
علويون	40832	%5297.0	25093	%3489.0	59.2
المسلمون	6338871	%0045.95	1794952	%6504.56	12.2
موارنة	665076	%5523.22	172667	%7313.91	97.0
روم ارثوذكس	703732	%8009.7	597362	%9846.6	26.0
روم كاثوليك	582751	%6632.5	141171	%6313.4	5.0
ارمن ارثوذكس	01809	%4320.3	72048	%9711.2	64.0-
ارمن كاثوليك	51202	%0376.0	97991	%6305.0	70.0-
انجيليون	34471	%7085.0	33471	%4934.0	
سريان ارثوذكس			89161	%3804.0	
سريان كاثوليك			43921	%0623.0	
لاتين			25901	%0672.0	
كلدان			1643	%2780.0	
اشوريون			6471	%0440.0	
مختلف	92951	%3035.0	701	%7200.0	
أقباط ارثوذكس		%0000.0	92	%7000.0	
المسيحيون	5559021	%3072.04	3708631	%9184.43	37.0
اسرائيليون	8965	%7981.0	3444	%0211.0	
لا دينيون		%0000.0	81	%5000.0	
	9853003	%0000.001	5057693	%0000.001	

(1) . مصدر هذه المعطيات: لوائح الشطب، وزارة الداخلية

من الواضح أن الطوائف اللبنانية لا تنمو سكانياً بالتساوي، فالطوائف المسلمة أسرع

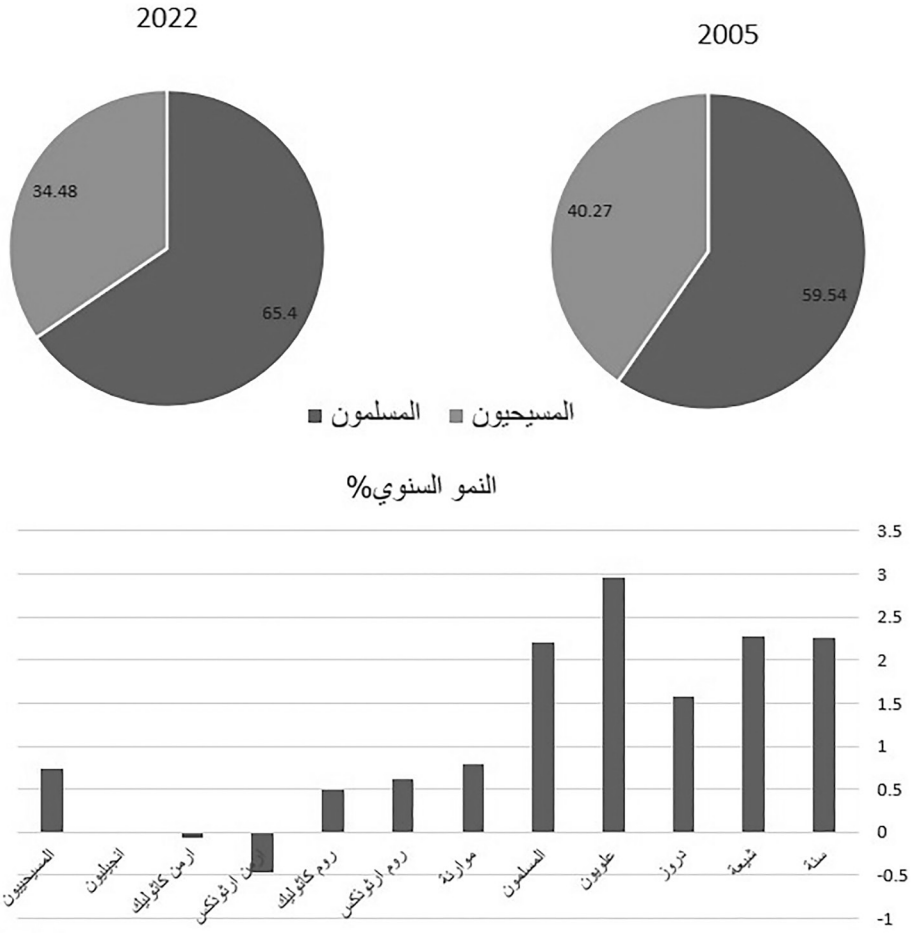

(عطيه، 2022)

رسم بياني 3: نسب الناخبين بين المسيحين والمسلمين ونسبة نمو عدد الناخبين عند الطوائف، لبنان 2005-2022

كما نشير إلى أن عدداً من الطوائف اللبنانية قد سجّلت نمواً سلبياً في عدد ناخبيها، حيث كان النمو عند الأرمن الأرثوذكس 0.46- % وعند الأرمن الكاثوليك 0.07- %.

يكفي لتبيان الاختلافات بين نسب النمو عند الطوائف أن نعرض نسبة الذين يدخلون سنوياً إلى لوائح الشطب عند المسيحيين والمسلمين. وللقيام بذلك اعتمدنا على الفئات الأصغر سناً ضمن الناخبين، أي مواليد 1990 إلى 2000، لأنهم الأقل عرضة للوفاة بالإضافة

إلى كونهم يتعرضون للاحتمالات نفسها في ما يتعلق بالهجرة. وعليه، نجد أن كل سنة من هذه السنوات يدخل ما متوسطه 78969 ناخباً جديداً إلى لوائح الشطب. (رسم 4)

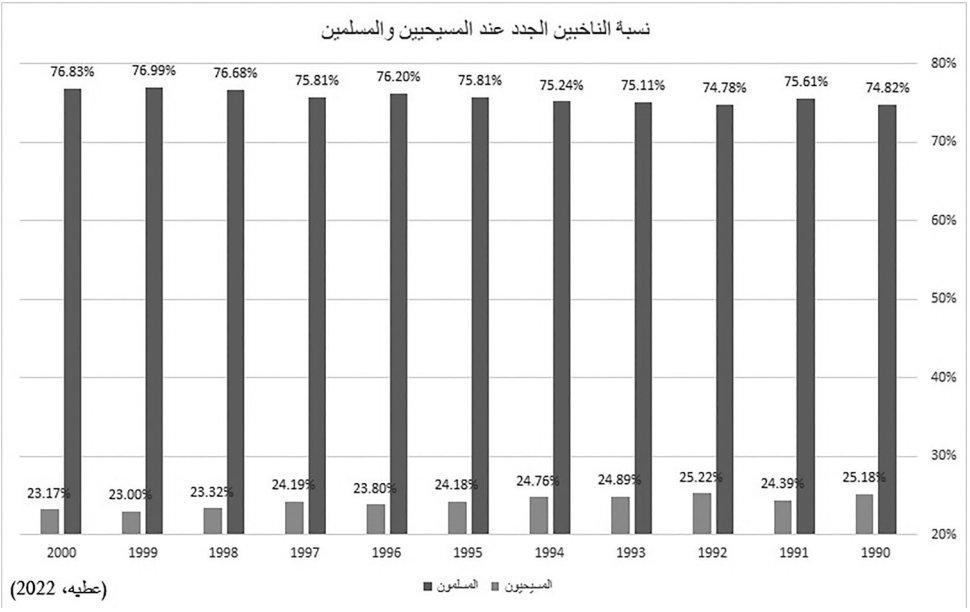

رسم بياني 4: توزع الناخبين الجدد حسب الدين، لبنان، 1990-2000

كما هو واضح في الرسم 4 أعلاه، فإن الناخبين المسيحيين الجدد لا يتعدّون الـ25% من مجموع الناخبين الجدد؛ لا بل إن هذه النسبة تتناقص سنة بعد سنة لتصل إلى 23% في العام 2000.

يدل تحليل لوائح الشطب على أن نسبة المسيحيين في لبنان مقبلة على المزيد من التناقص مع مرور الزمن، وهذا يعود إلى عدد من العوامل. معظم هذه العوامل مشتركة مع ما يمرّ به مسيحيو سورية والعراق مع اختلاف أساسي هو أن المسيحيين في لبنان لا يزالون شركاء بالمناصفة في معظم مقامات السلطة، وإن كان وصول نوابهم إلى المجلس النيابي يرتبط بالمحيط المسلم في الدوائر ذات الأغلبية المسلمة، وهو واقع لن يغيّر فيه أي قانون انتخابي مهما كان مفّصلاً على مقاس أحزاب أو أفراد.

وفي سياق تطرقنا للعوامل التي أدّت إلى تناقص نسبة المسيحيين سنقوم بعرض كل عامل على حدة، ثم تبيان واقعه وخلفياته الاجتماعية - الثقافية في كل بلد من البلدان الثلاث.

2 - أسباب انخفاض نسب المسيحيين في المشرق

لا يمكن ربط نسبة انخفاض حجم مسيحيي المشرق مقارنة بمجموع السكان بسبب واحد فحسب، بل هو ناتج عن تضافر مجموعة من العوامل، حتى أن بعض هذه العوامل يمارس تأثيراً على عوامل أخرى لينشأ ما يشبه الحلقة المفرغة.

1.2 الخصوبة

تعتبر الخصوبة العامل المباشر والأساسي الذي يؤدي إلى تناقص أو تزايد عدد السكان. وحين يتألف السكان من مجموعات متمايزة بين بعضها بعضاً، لناحية الطبقة أو العرق أو الطائفة أو الإثنية، يمكن لاختلاف الخصوبة بين هذه المجموعات أن يسبب اختلالاً في نمو الجماعات بحيث تنمو واحدة منها أسرع مما تنمو الأخرى. هذا ما يعرف بالخصوبة التفاضلية. (برسا، 1989، الصفحات 129-130)

للتعرف على التأثير الذي يمارسه الدين، باعتباره جزءاً أساسياً من الثقافة، على الخصوبة، نقدم أربع فرضيات أساسية:

- الأولى وهي فرضية الخصائص Characteristics Hypothesis، تعتبر أن الخصوبة التفاضلية بين الأديان والطوائف تعود إلى اختلاف خصائص هذه الجماعات، أي إلى الاختلافات الديموغرافية الاجتماعية والاقتصادية بين جماعة دينية وأخرى. (Moulasha & Rama Rao, 1999, p. 3047)

- الفرضية الثانية وهي الخصوصية اللاهوتية Particularized Theology[1]، تذهب إلى أن الأسباب الكامنة وراء الخصوبة التفاضلية تعود إلى العقيدة الدينية. هكذا، فاختلاف الخصوبة سببه اختلاف الدين. وبهذا يعلل أنصار هذه الفرضية أن سبب كون المسلمين أكثر خصوبة، يكمن في الإسلام نفسه. (Moulasha & Rama Rao, 1999, p. 3047)

- الثالثة وتعرف باسم فرضية حالة أو وضع الأقليات Minrotiy Group Status، تقول بأن خصوبة الجماعات الصغرى، أو الأقليات، تتأثر بشكل مباشر بأوضاعهم داخل المجتمع. هكذا، فإن خصوبة الجماعات الصغرى تنخفض مقارنة بالكبرى عندما تتثاقف الأقليات مع الأكثريات، وعندما تتحقق المساواة (بين الجماعات الكبرى والصغرى) ويسمح بالتدرج

الاجتماعي وعندما لا تكون عقيدة الجماعة الصغرى تشجع أو تدفع إلى زيادة الخصوبة. (Moulasha & Rama Rao, 1999, p. 3047)

- الفرضية الرابعة وهي التفاعلية Interaction Hypothesis (Chamie, 1976) التي قدمها جوزيف شامي عام 1976. وهي الأقرب إلى ما نتبعه في عملنا، إذ تنحو إلى أن الخصوبة التفاضلية تنتج عن التفاعل بين الدين والمستوى الاقتصادي - الاجتماعي للمجموعات. فالخصوبة تتقارب بين الجماعات الدينية المختلفة عند الفئات الدنيا والعليا، وتتباعد عند المستويات الاقتصادية - الاجتماعية المتوسطة للجماعات الدينية المختلفة. ويضيف شامي إلى أن هذه الفرضية تصحّ فقط في المجتمعات التي بدأت تخضع للتحول الديموغرافي(1) Demographic Transition لأن المجتمعات السابقة لهذا التحول لا يوجد فيها أي تأثير للدين حيث تكون الخصوبة مرتفعة عند الجميع مهما كان معتقدهم. ((Chamie، 1976) Moulasha) و Rama Rao، 1999، صفحة 3047). ففي القرن التاسع عشر كانت الخصوبة مرتفعة عند جميع أبناء المشرق بغض النظر عن طائفتهم، حيث لم تكن أي دولة قد دخلت في مرحلة التحول الديموغرافي بعد. بدأ هذا الأمر يتغير تدريجياً اعتباراً من نهاية القرن التاسع عشر، وأصبح واضحاً في القرن العشرين.

تفسر فرضية شامي Chamie ما يحصل في دول المشرق. فالدين ليس المؤثر الوحيد على الخصوبة. صحيح أن المسلمين لا يزالون أعلى خصوبة، إلا أن التفسير المركب الذي قدمته فرضية شامي يمكن أن تقدم فهماً أعمق لهذه الظاهرة. ففي دراسة لمركزPEW حول توقعات النمو السكاني وعلاقته بالأديان في العالم توصّل المركز إلى أن النمو لن يكون نفسه بين المسلمين والمسيحيين، فخصوبة المسلمين لا تزال أعلى. ففي مصر مثلاً تبلغ خصوبة المسلمين 2.7 ولداً لكل امرأة مقابل 1.9 أولاد لكل امرأة مسيحية. هذا سيؤدي إلى زيادة مستمرة في نسبة المسلمين مقارنة بالمسيحيين. (Pew Research Center, 2015) ينتشر هذا الواقع في كل الدول العربية وفي دول المشرق. ففي العراق، قبل بداية التحول

(1) . تقوم نظرية التحول الديموغرافي باختصار على أن المجتمعات الإنسانية كانت كلها ذات خصوبة مرتفعة ووفاتية مرتفعة. مرت بعض الدول بسلسلة تغيرات اجتماعية واقتصادية أدت إلى انخفاض حاد بالوفيات مع بقاء الخصوبة كما هي. هذا ما أدى إلى نمو سكاني مرتفع. في المرحلة اللاحقة قامت المجتمعات بتخفيض الخصوبة طوعاً لتتماشى مع انخفاض الوفاتية، ما ساهم في استقرار النمو السكاني. إلا أن عدداً من المجتمعات استمر في خفض خصوبته، الأمر الذي نتج عنه نمو سكاني سلبي.

الديموغرافي، كانت الخصوبة مرتفعة عند المسيحيين والمسلمين على حد سواء. فنسبة المسيحيين زادت في العراق من 3% عام 1922 إلى 3.3% عام 1947. (بطاطو، ح.، 1995، صفحة 60) وحافظوا على هذه النسبة حتى تعداد 1957 لا بل سجلوا نسبة نمو طبيعية تقارب الـ 3.3% وهي ليست ببعيدة عن نسبة النمو عند المسلمين التي كانت 3.5%، وهذا ما يؤكد ما قلناه حول صحة فرضية جوزيف شامي على العراق. (عطيه، ديموغرافيا المشرق، 2019، صفحة 292)

في الحقيقة لا يمكن أن نشير إلى انخفاض خصوبة مسيحيي العراق، عن مثيلتها لدى المسلمين، إلا في الفترة الحديثة بسبب ازدياد أعمال العنف التي تستهدف المسيحيين والأقليات الأخرى في العراق، وذلك بعد احتلال العراق وما نتج وينتج عنه لليوم(1).

تعاني سورية من المشكلة نفسها لناحية غياب دراسات مباشرة حول العلاقة بين الخصوبة والطائفة، ما يضطرنا إلى الاستعانة بدراسات إحصائية في غير مكانها، أي تفسير نمو الطوائف وفقاً لمتطلبات هذه الدراسة. وفي مقارنة بين نتائج التعداد الذي أجري عام 1922 وذلك الذي أجري عام 1953 نجد أن نمو المسيحيين (4.33%) كان أكثر من نمو المسلمين (3.71%) (De Vaumas, 1955, p. 75). إلا أن هذا النمو لم يكن نمواً طبيعياً، بل هو مضخّم بسبب موجات الهجرة الأرمنية والسريانية والكلدانية التي قدمت إلى سورية في هذه الفترة.

(1) . تعود هذه المعلومة إلى مقابلة أجريت مع رجل دين مسيحي عراقي، أتحفظ عن ذكر المصدر لأن المقابلة لم تكن مخصصة لهذه الدراسة.

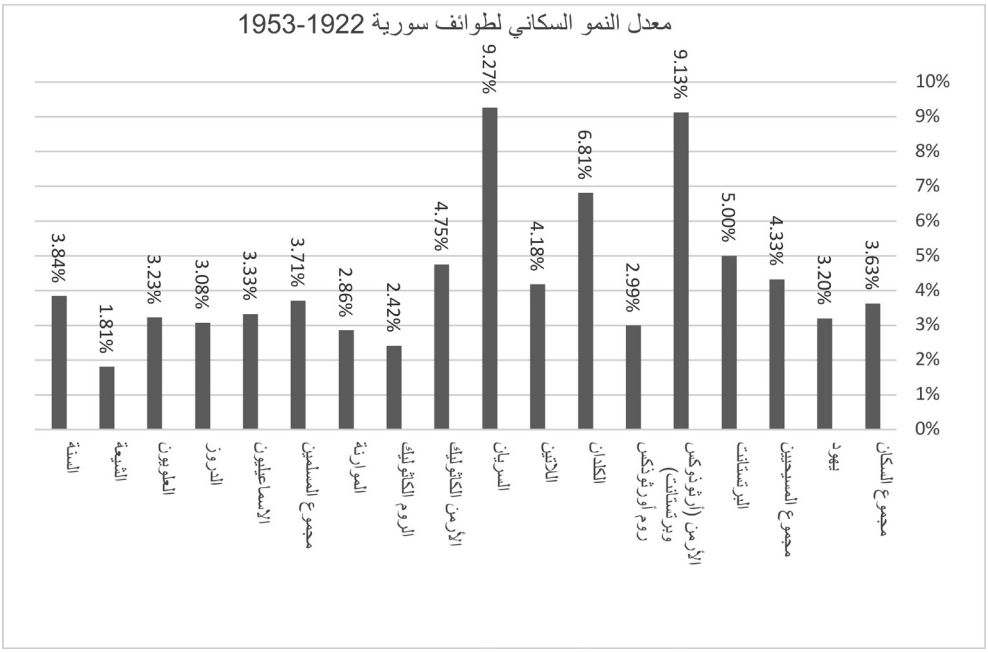

رسم بياني 5: معدل النمو السكاني لطوائف سورية 1922-1953

لكي نفهم النمو الطبيعي الذي حصل عند الطوائف، يجب أن نقارن الأرقام بين الطوائف التي لم تتأثر بموجات هجرة مكثفة. فإذا قارنّا النمو عند المسلمين السنّة (3.84%) والروم الأرثوذكس (2.99%) لتبيّن معنا أن الخصوبة التفاضلية كانت تلعب دوراً في التأثير على نسب المسيحيين في سوريا منذ منتصف القرن العشرين. وبما أن هذا النمط قد وجد في وقتها فلا بد إلا أنه تعاظم مع الوقت وفقاً لفرضية Chamie.

إلا أن الخصوبة التفاضلية كانت أكثر وضوحاً في لبنان بين طوائفه المختلفة. يعود ذلك إلى عدة أسباب: أولاً، وجود عدد من الدراسات التي سمحت لنا باكتشاف هذا الواقع. وثانياً، والأهم، كون طوائف لبنان لا تعتبر أكثريات في مقابل أقليات. بل هي مجموعة من الأقليات: الكبرى والمتوسطة والصغرى. وهذه الطوائف أكثر تقارباً بين بعضها بعضاً للناحية الاجتماعية-الاقتصادية عما هي عليه في سورية والعراق.

أوضح جوزيف شامي في دراسة تعود إلى عام 1971 واقع الخصوبة التفاضلية في لبنان، قبل أن يصل إلى وضع فرضيته عام 1976، وذلك بدراسة أجراها على الطوائف اللبنانية مع

إدخال عدد من المتغيرات الأساسية في الحسبان. (Chamie, Religious Differentials in Fertility: Lebanon, 1971, 1977)

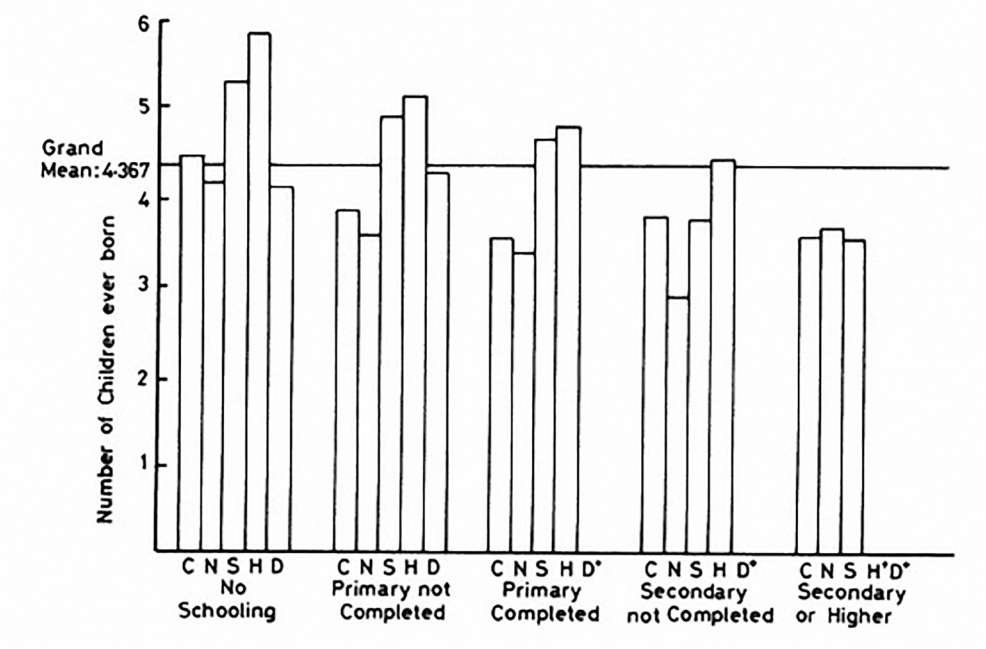

رسم بياني 6: تأثير المستوى الدراسي على خصوبة المرأة وفقاً للطوائف، لبنان 1791[1]

هكذا يتبين أن النساء من الطائفة السنّية ومن الطوائف المسيحية يتشابهن في خصوبتهن عند المستويات التعليمية المتقدمة، ويختلفن بشكل واضح عند المستويات الأقل تقدّماً.

لم تتوقف هذه الظاهرة الديموغرافية في لبنان، بل هي لا تزال مستمرة لليوم، حيث انخفضت الخصوبة عند جميع اللبنانيين. إلا أن انخفاضها كان أكثر وضوحاً عند المسيحيين. وفي دراسة ميدانية أجريتها عام 2009 على 550 أسرة من مختلف الطوائف والمناطق اللبنانية،

(1) . أخذ الرسم كما هو من دراسة جوزيف شامي. (Chamie, Religious Differentials in Fertility: Lebanon, 1971, 1977)

نشرت نتائجها في كتاب السكان في لبنان، وهو بالأصل أطروحة الدكتوراه الخاصة بي، تبيّن عدداً كبيراً من المعطيات الخاصة بالخصوبة التفاضلية في لبنان سنعرض بعضها هنا.

من أهم المؤشرات الدالّة على ما ستكون عليه الخصوبة، نذكر العمر عند الزواج الأول، إذ مع ارتفاعه تنخفض الخصوبة. وأتت نتائج الدراسة لتبيّن أن العمر عند الزواج الأول للمسلمين هو أدنى من مثيله عند المسيحيين، وذلك عند كل الطوائف. حيث بلغ مثلاً 27.13 عاماً عند الشيعة مقابل 32.04 عاماً عند الكاثوليك.

رسم بياني 7: متوسط العمر عند الزواج الأول – متوسط عدد الأولاد للأسرة الواحدة في السنة الأخيرة – متوسط عدد أفراد الأسرة، دراسة ميدانية – لبنان 2009 (عطيه، السكان في لبنان، 2014)

تظهر الاختلافات أيضاً بين الطوائف لناحية متوسط عدد الأفراد في الأسرة الواحدة، وهو وإن كان مؤشراً مركباً بين الخصوبة والوضع الاقتصادي، يعطي دلالة حول الاختلاف في الخصوبة. هكذا نجد أن متوسط عدد الأفراد عند السنّة هو 5.4 بينما هو 3.6 عند الطوائف الأرمنية و3.8 عند الأرثوذكس.

ومع هذا، وتناغماً مع فرضية شامي، بيّنت نتائج الأطروحة أن السبب الأساس والأهم في الخصوبة التفاضلية بين طوائف لبنان هو المستوى التعليمي، وما أدى إلى تراكم تاريخي اقتصادي - اجتماعي بين طوائف ذهبت إلى التعليم الحديث قبل غيرها بعقود. (عطيه، السكان في لبنان، 2014)

صحيح أن هذه الهوّة في التعليم قد ردمت، إلا أن السلوك الانجابي يصبح من ضمن الخصائص المذكورة في الفرضية الأولى، والتي تعيد انتاج نفسها عند كل جماعة من الجماعات. هكذا اعتبر المسيحيون في لبنان أن الخصوبة المنخفضة هي دليل تحضّر، ولحقهم في ذلك المسلمون وإن متأخرين.

2.2 الهجرة

تلعب الهجرة الدور الأساس في الديناميّات الديموغرافية في المشرق. تُحدث موجات الهجرة المنظمة في السكان تحولات فورية يلزم للنمو الطبيعي (الولادات والهجرة) عقود من الزمن لكي توازنها. لم تكن الهجرة المسيحية دائماً مغادرة للمشرق، لا بل على العكس، فأهم أسباب الزيادة العددية والنسبية لمسيحي المشرق خلال مراحل الانتداب الفرنسي على سورية ولبنان تعود لهجرة مسيحية منظمة إلى هاتين الدولتين.

تمثّلت المرحلة الأولى من الهجرة الوافدة إلى لبنان وسورية بقدوم عشرات آلاف الأرمن الهاربين من الاضطهاد التركي خلال عقدين من الزمن. أدّت هذه الموجات إلى زيادة ملحوظة في نسبة المسيحيين وأعدادهم في لبنان. ففي حين بلغت نسبة المسيحيين المسجلين بأنهم من طوائف مختلفة 2.1% (عددهم 12651) ارتفعت هذه النسبة إلى 6.8% وعددهم إلى 53436 نسمة عام 1932. (عطيه، السكان في لبنان، 2014). وفي الحقيقة فإن هذه الهجرة هي ما حافظ على تفوّق نسبة المسيحيين على المسلمين في آخر تعداد أجري في لبنان عام 1932. من هنا ندرك لماذا لم تعمد سلطات الانتداب، ومن بعدها الحكومات اللبنانية، إلى إجراء أي تعداد شامل منذ ذلك التاريخ.

أما في سورية، وبالإضافة إلى موجة الهجرة الأرمنية الأولى في الربع الأول من القرن العشرين، فقد شهدت، بعد سلخ لواء الاسكندرون عنها، موجة هجرة أرمنية ومسيحية جديدة تمثّلت في 30 ألف لاجئ، 25 ألفاً منهم من الأرمن. وبالعودة إلى الرسم 5 أعلاه، نتأكد من هذا الأمر من خلال ارتفاع معدلات النمو عند الأرمن والأشوريين والسريان. ويعود السبب في ذلك إلى العام 1933، حيث طالت أعمال عنف كلاً من السريان والكلدان والأشوريين في العراق، وذلك إثر استقالة لواء أشوري من الجيش العراقي بعد أن رُفضت مطالب بطريركهم مار شمعون الثالث والعشرين في اعتبار الأشوريين شعباً، والاعتراف به زعيماً دينياً ودنيوياً عليهم. بعد رفض السلطات العراقية هذه المطالب واستقالة اللواء، وقعت مواجهات بينه وبين الجيش العراقي. وكان أن لجأ الكثيرون من الأشوريين إلى سورية حيث

عاشوا هناك كسوريين في الحسكة وحلب والقامشلي وبقوا فيها إلى اليوم. ويقدّر عدد الأشوريين والسريان الذين نزحوا من العراق بأكثر من 33 ألف شخص استقروا بأغلبيتهم في سورية، كما استقر قسم منهم في بيروت في حي ما زال يحمل اسمهم إلى اليوم. (ديب، ك.، 2013، صفحة 50) (الجبين، إ.، 2014)

إذا كانت الهجرة الوافدة إلى سورية قبل الاستقلال قد ساهمت في الحفاظ على ثبات نسبة المسيحيين فيها لا بل على زيادة نموهم، فإن الوضع تغير بعد الاستقلال وما مرّت به البلاد من عدم الاستقرار. ففي بداية الستينيات بلغت الهجرة المغادرة لسورية حوالي النصف مليون نسمة، وقد قصدت هذه الهجرة لبنان أو أوروبا، وكان اللافت أن نصف هذه الهجرة مكوّن من المسيحيين. هكذا انخفضت نسبة المسيحيين السوريين بشكل ملحوظ، يقدّره بعض الباحثين بالنصف خلال بضع سنوات. ففي حين كانت نسبة المسيحيين عام 1953 تتجاوز الـ13% من مجموع السكان، لم تعد هذه النسبة تتجاوز الـ8%. وعلى أثر هذه الهجرة لم يعد يندر أن تجد أحياءً هاجرت بأكملها في مدن مثل حلب حيث تضاءل عدد المسيحيين من 123000 إلى 88000 بين 1943 و1960. (Seurat, 1980, p. 39)

صحيح أن الهجرة المدفوعة بأسباب طائفية ستتراجع بعد العام 1970 في سورية، إلا أنها كانت قد أثّرت على نسبة المسيحيين من المجتمع السوري بشكل واضح، حتى أصبحت نسبة المسيحيين في سورية عام 1978 لا تتجاوز 6.6%، أي أنها تراجعت بمقدار النصف في ربع قرن. (Bianquis & Al Dbiyat, 1995, p. 87)

بقيت الهجرة تشكّل عامل استنزاف لمسيحيي سورية، ففي تقرير منشور عام 2002 أشارت مؤسسة الإغاثة الكاثوليكية للشرق الأدنى CNEWA إلى أن نسبة المسيحيين المغادرين لسورية من مجموع المغادرين هي أعلى بكثير من نسبة المسيحيين بالنسبة لسكان سورية. (CNEWA، 2002). تفاقُم الوضع بعد الحرب في سورية وظهور تنظيم داعش وما ترافق معه من أعمال إرهابية أدت إلى تهجير مئات الآلاف من السوريين من أراضيهم. قلّصت هذه المتغيرات نسبة المسيحيين في سورية، عام 2014، إلى 5% من مجموع السكان البالغ 21 مليوناً. وإذا نظرنا إلى نسبة المسيحيين بين اللاجئين السوريين خارج سورية نجد أن نسبتهم تقارب الـ 8% أي أنها أعلى من نسبتهم داخل البلد، وهذا ما يؤكد الاستنزاف الديموغرافي الذي عانى منه المسيحيون خلال سنوات الحرب في سورية. هكذا، نجد أن الباقين في سورية من المسيحيين هو نصف العدد الذي كان موجوداً قبل

بداية الأزمة. وأكثر المسيحيين تأثراً هم الأرمن الذين كان عددهم في حلب يناهز الـ 150 ألفاً لم يبق منهم اليوم إلا بضعة آلاف. وقد هاجر معظم الأرمن إلى أرمينيا أو إلى الولايات المتحدة وكندا. (Balanche, 2018, pp. 20-22)

إذا كانت الهجرة المسيحية المغادرة للعراق توجهت في مراحلها الأولى إلى سورية ولبنان، فإنها بدأت، ومنذ الستينيات، تقصد الغرب، وخاصة الولايات المتحدة التي أصبحت وجهة مفضلة لها. (Hughes, 2017, p. 49). تسارعت موجات الهجرة العراقية، وخاصة بين المسيحيين بعد الغزو عام 2003، إذ تشير الإحصاءات إلى أن عدداً يتراوح بين 10 و40 ألف مسيحي غادروا العراق في شهر تشرين الأول من عام 2005. وفي الفترة الممتدة بين تموز 2006 وآذار 2007 قامت المؤسسة الكلدانية في أميركا CFA بمعالجة بيانات 12 ألف لاجئ مسيحي عراقي، فتبين معها أن 90% من الإجابات أكدت أن السبب الأساسي لمغادرتهم العراق كان هرباً من الاضطهاد الديني. (Hughes, 2017, p. 52)

تسارعت موجات الهجرة والنزوح بعد تقدم داعش وسيطرتها على ثلث مساحة العراق. وإذا كان أبناء الأقليات الدينية والعرقية هم أول من هجر مسكنه، إلا أن أبناء السنّة لم يتأخروا عن اللحاق بهم لما عانوه من صعوبة عيش في ظل حكم داعش. (هيغل، ل.، 2016، الصفحات 9-13). كانت نسبة المسيحيين في العراق في أقصاها عند بداية الانتداب البريطاني. إلا أن مسيحيي العراق سرعان ما بدأوا موجة هجرة إلى الخارج وخاصة الأشوريين منهم. استقرت نسبة المسيحيين في العراق بعد الاستقلال، مروراً بكل الخضّات السياسية التي مرّت بها البلاد، وصولاً إلى بداية العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، وذلك عند مستوى الـ 3%. إلا أن ما مرّ به العراق، ومناطق الأقليات عامة، والأقليات المسيحية خاصة، في السنوات الأخيرة، أدى إلى موجة هجرة مغادرة تسبّبت بخفض نسبة المسيحيين في العراق إلى حدود الـ 1% لأول مرة في تاريخه. لم تتوقف موجات الهجرة بعد هزيمة داعش، لا بل بقيت على وتيرتها، ما خفّض نسبة المسيحيين إلى ما دون الـ 1% اليوم. ويعود السبب الأساسي في استمرار الهجرة إلى فقدان المسيحيين لحسّ الانتماء إلى العراق، وإلى تشجيع المهاجرين السابقين للعراقيين المسيحيين الذين بقوا في العراق إلى مغادرته. (Hindy, 2019, p. 26)

لعبت الهجرة في لبنان، منذ أيام المتصرفية، دوراً أساسياً في صياغة المجتمع. فالهجرة في لبنان، القديم والحديث، ظاهرة تاريخية دائمة متراكمة. فهي لم تتوقف إلا لأسباب طارئة

كالأزمة العالمية بعد 1929 أو الحروب العالمية أو جائحة الكوفيد. طالت الهجرة جميع الطوائف اللبنانية من دون تمييز، وإن كان المسيحيون أكثر جهوزية للهجرة في البداية نظراً لمستواهم التعليمي المرتفع. إلا أن سرعان ما أصبحت المستويات التعليمية متشابهة عند الجميع. هنا يلعب التراكم دوراً في تشجيع هجرة جماعات أكثر من غيرها حيث تلتحق بأقارب لهم سبقوهم إلى البلاد المستقبلة للهجرة.

لا يمكن أن نعتبر أن إحدى الجماعات اللبنانية قد عانت من اضطهاد مستدام داخل البلد، بل يمكن أنها عانت بعض المشكلات داخل مناطق دون أخرى، الأمر الذي أدى إلى إعادة توزيع الطوائف اللبنانية داخل البلد، ولم تدفعها إلى مغادرته نهائياً. فنظريات الهجرة تشير إلى أن حركة الهجرة تمر بمراحل وتنتقل حركة المهاجرين وفقاً لمنطق جغرافي محدد، بحيث يلجؤون أولاً إلى المناطق الأقرب لهم. أما أثناء ما اصطلح على اعتباره بفترة الإحباط المسيحي من عام 1990 إلى عام 2005، كانت حركة الهجرة إلى الخارج مرتفعة عند الجميع. ولكنها أكثر ارتفاعاً لدى الموارنة تحديداً. ففي إعادة قراءة لنتائج دراسة أجرتها الدولية للمعلومات عام 2001 على عينة من 100 ألف مهاجر، وتبين فيها للوهلة الأولى أن المسلمين والمسيحيين يهاجرون بنسب متفاوتة، يمكن أن نعرض النتائج بطريقة مختلفة لتبيان حقيقة معينة.

جدول 4: مقارنة بين نسب طوائف اللبنانيين المغادرين والمقيمين، 2001 و2006

الطائفة	المهاجرين نسبة	المقيمين نسبة 2006
موارنة	30.00%	19.24%
أرثوذكس روم	6.60%	6.78%
مختلف كاثوليك	5.10%	5.00%
أرمن	4.60%	2.80%
شيعة	30.40%	29.17%
سنة	18.30%	29.24%
دروز	5.30%	5.42%
المصدر: (CNEWA, 2002) - (للمعلومات الدولية، 2007، صفحة 3)		

يظهر الجدول 4 أعلاه أن جميع نسب المغادرين والمقيمين متشابهة، لا بل تكاد تكون متساوية باستثناء نسبة الموارنة المغادرين، حيث بلغ الفرق بين نسبة المغادرين والمقيمين حوإلى 10.76% لصالح المغادرين. يعوض هذا الفارق نسبة السنّة حيث يبلغ الفرق بين

المغادرين والمقيمين 10.23%، ولكن هذه المرة لصالح المقيمين. وكأن الهجرة في هذه الفترة كانت تعبيراً صادقاً عن إحباط ماروني وليس مسيحياً في ظل القوة السنّية التي تجسدت خاصة من 1992 إلى 2005، قبل أن تصبح بدورها إحباطاً كما يعبّر عنه الكثيرون بعد هذه الفترة.

3-2 التعمّر

تتضافر مجموعة من العوامل الأخرى لتكبح دينامية التزايد المسيحي في المشرق، وهي بمعظمها مرتبطة بالخصوبة والهجرة. فانخفاض الخصوبة، مقترناً بهجرة مرتفعة، وخاصة عند الفئات الشابة، يؤدي إلى تعمّر السكان، بحيث تزداد نسبة المسنّية مقارنة ببقية الفئات. يتجلى هذا الأمر بوضوح في لبنان الذي يعتبر اليوم أكثر المجتمعات العربية تعمّراً بنسبة مسنين تزيد عن 12% (CAS، 2020، صفحة 26). إلا أن واقع الأمر يبيّن أن الجماعات المسيحية في لبنان أكثر تعمّراً من الجماعات المسلمة. ففي الدراسة الميدانية التي أجريتها عام 2009 تبيّن أن هناك فروقاً واضحة بين الأعمار المتوسطة والوسيطة للطوائف في لبنان. ففي حين كان العمر الوسيط للسنّة 25 عاماً كان العمر الوسيط للأرثوذكس والأرمن يتخطى الـ 35 عاماً.

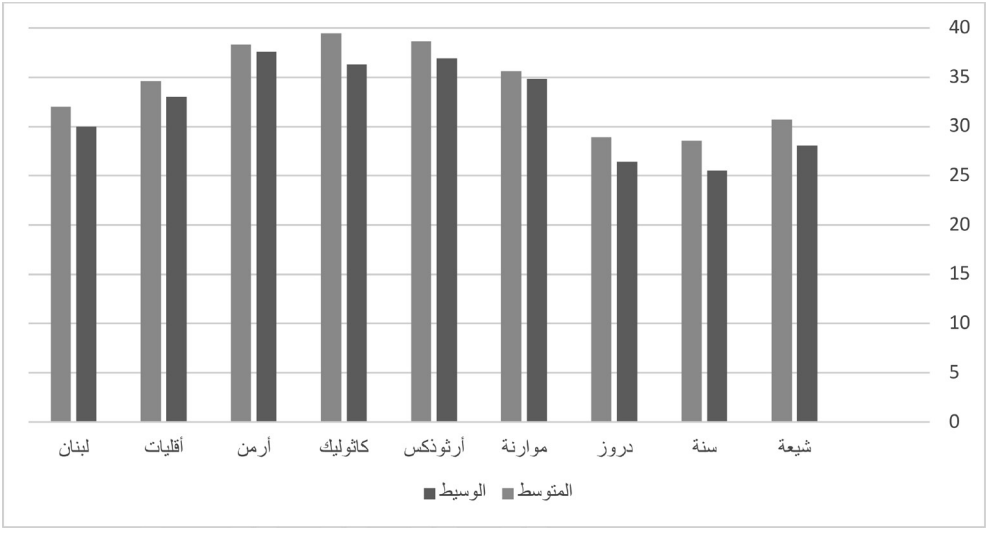

رسم بياني 8: الأعمار الوسيطة والمتوسطة للطوائف في لبنان، 2009 (عطيه، السكان في لبنان، 2014، صفحة 125)

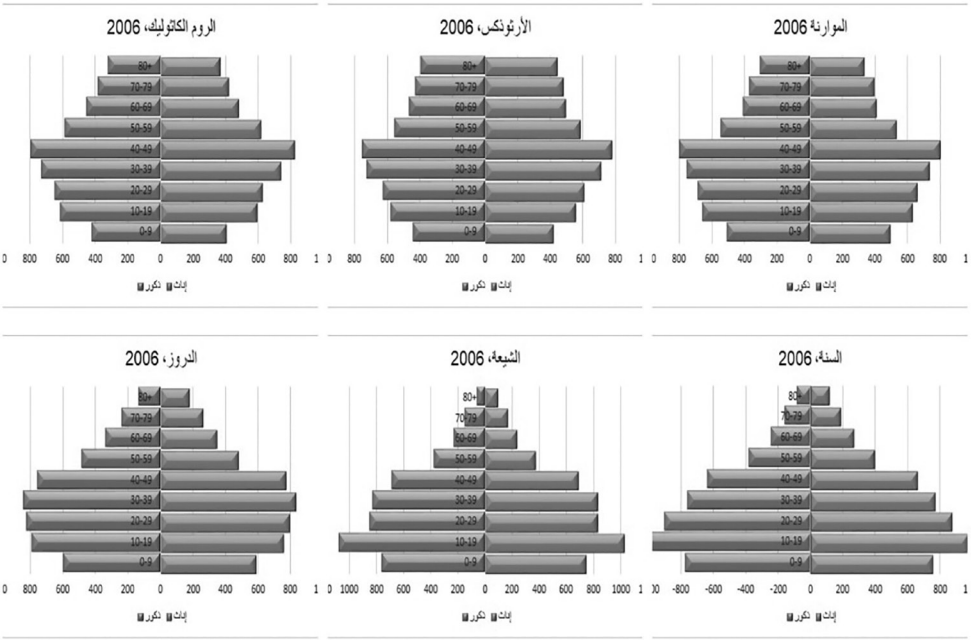

رسم بياني 9: أهرام الأعمار بالفئات العشرية للطوائف الكبرى في لبنان، 2007 (الدولية للمعلومات، 2007، الصفحات 4-7)

أتت هذه الأرقام لتؤكد ما قدمته الدولية للمعلومات قبل ذلك بثلاث سنوات حول اختلاف البنى العمرية للبنانيين. فالأهرام ذات القواعد العريضة (خصوبة مرتفعة – مجتمع فتي) كلها تعود للطوائف المسلمة، أما الأهرام ذات القواعد الضيقة والوسط المنتفخ (خصوبة منخفضة – مجتمع يتجه للهرم) تعود كلها إلى الطوائف المسيحية. هكذا، نرى أن المسيحيين في لبنان أكثر تعمّراً، الأمر الذي سينعكس سلباً على خصوبتهم، خاصة إذا قارنا الأمر مع ارتفاع العمر عند الزواج الأول المذكور سابقاً.

تنتشر ظاهرة التعمّر في كل المجتمعات التي تعاني من انخفاض الخصوبة وارتفاع هجرة الشباب، وهي بالتالي ستطول مسيحيي العراق وسورية، وإن بدرجة أقل حدّة مما يحصل في لبنان.

من خلال كل ما تقدم، لا يمكننا أن نرسم إلا صورة سوداوية لمستقبل المسيحيين في المشرق. فالدراسات اللبنانية أشارت منذ عام 2007 إلى أن نسبة المسيحيين في لبنان لن

تتجاوز الـ 27% للفرضيات الأكثر تفاؤلاً والـ 12% للفرضيات الأكثر تشاؤماً. (الدولية للمعلومات، 2007، الصفحات 8-9)

أما في سورية والعراق، فإن التوقعات القريبة (قبل 2030) ترجّح وصول نسبة مسيحيي العراق إلى حدود الصفر ومسيحيي سورية إلى أقل من 2.5%. (The Economist, 2016)

3 - في المحصّلة

في المحصلة لكل ما تقدم، ستستمر أعداد المسيحيين ونسبهم في كل دول المشرق بالتراجع، وصولاً إلى الاضمحلال عاجلاً أو آجلاً. لا يمكن تخيّل أي نتيجة لانخفاض الخصوبة ولاستمرار الهجرة إلا هذه النتيجة. فالظواهر الديموغرافية تصبح مركّبة مع الوقت: انخفاض الخصوبة وارتفاع الهجرة يؤديان إلى تعمّر السكان وإلى المزيد من تراجع الخصوبة.

لا تكمن الحلول لهذه المشكلة في تجاهلها، ولا في الاستسلام لها. بالطبع لا تكمن الحلول في محاولة التحاذق عليها ونشر دراسات تؤكد أن المسيحيين عاودوا الزيادة وسترتفع نسبهم في المستقبل المنظور[1]. تبدأ الحلول في اكتشاف أسباب المشكلات. وأسبابها تكمن في:

انخفاض الوعي الديموغرافي والمقترن بالحس القومي، وذلك على الصعيدين العام (الدولة) والخاص (الدين).

ضعف المحفّزات المقدمة للشباب المسيحي في المشرق للزواج أولاً وللإنجاب ثانياً.

اقتران الخصوبة المرتفعة بمفاهيم التخلف والدونية.

سيادة مفهوم الأقلية والتمسك به عوضاً عن المكوّن، الأمر الذي يبقي أبناء الجماعات الصغرى ضمن مفهوم الدول الطائفية، ويلغي مفهوم دولة المواطنة إلى الأبد.

غياب دولة المواطنة وغياب مفهوم المواطنة أصلاً.

استمرار التعامل مع المكوّنات الصغرى بدونية (دساتير – ممارسات – قوانين..)

(1) . راجع ما كتبناه في هذا السياق عن دراسة أجريت عام 2013 بعنوان الواقع السكاني في لبنان، وكيف استقبلتها الأحزاب والقوى المسيحية بالتهليل والتصفيق في كتاب ديموغرافيا المشرق من صفحة 264 إلى صفحة 269.

وعليه، لن أدخل في اقتراحات لهذه المشكلات، لأنني أكيد أن عشرات قبلي قاموا بذلك، وبقيت حبراً على ورق. أنما سأسمح لنفسي أن أقدّم اقتراحين أو تمنّيين لا بد من تنفيذهما للحفاظ على ما تبقّى من المسيحيين في المشرق:

أولاً لا بد أن نعرف من تبقّى أصلاً، من خلال القيام بدراسات ومسوح تأخذ في عين الاعتبار المتغيرات الأساسية التي سبق وتحدثنا عنها. دراسات تبيّن فعلياً خصوبة المسيحيين وأعدادهم، والأسباب التي تدفعهم للهجرة أو البقاء.

ثانياً لا بد للمسيحيين إلا أن يدركوا، هم وكل أبناء المشرق، أنهم أولاً وآخراً أبناء له. هم مواطنون وليسوا أبناء طوائف، لا ذمّية ولا ملوكية. وحين يتمكّنون من التصرف والعيش على هذا الأساس، فإن معظم المشكلات المذكورة أعلاه ستنتفي من أصلها.

شوقي عطيه

السامرية

2022-11-3

لائحة المراجع

الجبين، إ. (05 04, 2014). الآشوريون في سوريا الضلع السامي المنسي وبقايا حضارة عملاقة. تم الاسترداد من العرب: https://alarab.co.uk/%D8%A7%D9 86-%88%D9%8A%D9%88%D8%B1%D9%84%D8%A2%D8%B4%D9% 8A%D8%A7-%88%D8%B1%D9%8A-%D8%B3%D9%81%D9%%D9 84%D8%B9-%84%D8%B6%D9%%D8%A7%D9 8A-%85%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%%D8%A7%D9 8A-%86%D8%B3%D9%85%D9%84%D9%%D8%A7%D9 8A%82%D8%A7%D9%88%D8%A8%D9%%D9

الدولية للمعلومات. (2007, أيلول). نهاية لبنان كما نعرفه. الشهرية(47).

برسا, ر. (1989). معجم مصطلحات الديموغرافيا. (ح. ن. الله, Trans.) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بطاطو، ح. (1995). العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية (الإصدار 2). (ع. الرزاز، المترجمون) بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

دائرة الإحصاءات العامة. (2022). دائرة الإحصاءات العامة. Retrieved from dosweb. dos.gov.jo: http://dosweb.dos.gov.jo/

ديب، ك. (2013). موجز تأريخ العراق. بيروت: دار الفارابي.

شوقي عطيه. (2014). السكان في لبنان. بيروت: دار نلسن.

عطيه, ش. (2019). ديموغرافيا المشرق. جونية: مركز المشرق للأبحاث والدراسات.

مديرية احصاءات السكان والقوى العاملة. (2020). تقديرات سكان العراق 2020. بغداد: مديرية احصاءات السكان والقوى العاملة. Retrieved from https://cosit.gov. iq/documents/population/projection/%D8%AA%D9 8A%82%D8%AF%D9%

ARDA. (2020). Syria: Largest Religious Groups (1900 - 2050). Retrieved from TheArda.com: https://www.thearda.com/world-religion/national-profiles?u=217c

Augustin, B. (1924). Les populations de la Syrie et de la Palestine d'après les derniers recensements. Annales de géographie(181), 73-79.

Balanche, F. (2018). Secterianism in Syria's Civil War. Washington: The Washington Institute for Near East Policy.

Bianquis, A.-M., & Al Dbiyat, M. (1995, 2 1). La Population Syrienne: Un Tournant Démographique? Méditerranée(81), 81-90.

CAS. (2020). Labour Force and Household Living Conditions Survey 2018-2019. Beirut: CAS.

Chamie, J. (1976). Religious Fertility Differentials in Lebanon. Michigan: University of Michigan.

Chamie, J. (1977, July). Religious Differentials in Fertility: Lebanon, 1971. Population Studies, 365-382.

CNEWA. (2002, January). Christian Emigration Report: Lebanon and Syria. Retrieved from CNEWA.org: https://cnewa.org/christian-emigration-report-lebanon-and-syria/

Courbage, Y. (1999). Economic and Political Issues of Fertility Transition in the Arab World. 353-380. Retrieved from https://www.jstor.org/stable/27503652

De Vaumas, E. (1955). Asie. Annales De Geographie, 64(341), 74-80.

Dumont, G.-F., & Montenay, Y. (2002). LIrak Géoploitique et Populations. Population et Avenir(660), pp. 4-7.

Hindy, E. A. (2019). Report on the Situation of Christians in Iraq. Beirut: .Adyan

Hughes, E. E. (2017, February). When the Nation is Under Threat: The Assyrian and Chaldean-American Diaspora and the complicated Politics of .65-Refugee Resettlement. St. Antony›s International Review, 44

Index Mundi. (2022). Iraq Religions. Retrieved from IndexMundi.com: https://www.indexmundi.com/iraq/religions.html

Index Mundi. (2022). Jordan Religions. Retrieved from Indexmundi.com: https://www.indexmundi.com/jordan/religions.html

Jaulin, T. (2009). Démographie et politique au Liban sous le Mandat. .210-Histoire et Mesure, 29(1), 189

Minority Rights Group International. (2022). Palestine. Retrieved from /MinorityRights.org: https://minorityrights.org/country/palestine

Moulasha, K., & Rama Rao, G. (1999). Religion-Specific Differentials in ,(43-Fertility and Family Planning. Economic and Political Weekly, 34(42 .3051-3047

Pew Research Center. (2015). The Future Of World Religions: Population Washington: Pew Research Center. Retrieved .2050-Growth Projections, 2010 middle-east-north-/02/04/from https://www.pewresearch.org/religion/2015 /africa

Seurat, M. (1980). La Syrie d'aujourd'hui. Aix-En-Provence: Institut de recherches et d›études sur les mondes arabes et musulmans. Récupéré sur https://books.openedition.org/iremam/731#ftn12

The Economist. (2016, January 2). And then there were none. Retrieved from Economist.com: https://www.economist.com/middle-east-and-and-then-there-were-none/02/01/africa/2016

UNHCR. (2019, 1 24). Refugee SItuation. Retrieved from Operational Portal of the Syira Crisis Response: https://data2.unhcr.org/en/situations/syria

US Department of State. (2019). 2019 Report on International Religious Freedom: Lebanon. Retrieved from State.gov: https://www.state.gov//reports/2019-report-on-international-religious-freedom/lebanon

US Department of State. (2020). 2020 Report on International Religious Freedom: Syria. Retrieved from State.gov: https://www.state.gov//reports/2020-report-on-international-religious-freedom/syria

Weulersse, J. (1934). Problèmes D'Irak. Annales De Géographie, 43(241), 49-75.

الجبين، إ. (05 04, 2014). الآشوريون في سوريا الضلع السامي المنسي وبقايا حضارة عملاقة. تم الاسترداد من العرب: https://alarab.co.uk/%D8%A7%D9%86-%88%D9%8A%D9%88%D8%B1%D9%84%D8%A2%D8%B4%D9%8A%D8%A7-%88%D8%B1%D9%8A-%D8%B3%D9%81%D9%%D98%4%D8%B9-%84%D8%B6%D9%%D8%A7%D98A-%85%D9%84%D8%B3%D8%A7%D9%%D8%A7%D98A-%86%D8%B3%D9%85%D9%84%D8%A7%D9%%D8%A7%D98A%82%D8%A7%D9%88%D8%A8%D9%%D9

الدولية للمعلومات. (2007, أيلول). نهاية لبنان كما نعرفه. الشهرية(47).

برسا, ر. (1989). معجم مصطلحات الديموغرافيا. (ح. ن. الله, Trans.) بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

بطاطو، ح. (1995). العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية من العهد العثماني حتى قيام الجمهورية (الإصدار 2). (ع. الرزاز، المترجمون) بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية.

دائرة الإحصاءات العامة. (2022). دائرة الإحصاءات العامة. .Retrieved from dosweb /dos.gov.jo: http://dosweb.dos.gov.jo

ديب، ك. (2013). موجز تأريخ العراق. بيروت: دار الفارابي.

شوقي عطيه. (2014). السكان في لبنان. بيروت: دار نلسن.

عطيه, ش. (2019). ديموغرافيا المشرق. جونية: مركز المشرق للأبحاث والدراسات.

مديرية احصاءات السكان والقوى العاملة. (2020). تقديرات سكان العراق 2020. بغداد: مديرية احصاءات السكان والقوى العاملة. .Retrieved from https://cosit.gov 8A%82%D8%AF%D9%iq/documents/population/projection/%D8%AA%D9 20%86%83%D8%A7%D9%%D8%B1%D8%A7%D8%AA%20%D8%B3%D9 pdf.202020%82%84%D8%B9%D8%B1%D8%A7%D9%%D8%A7%D9

هيغل، ل. (2016). أزمة النزوح في العراق: الأمن والحماية. لندن: مركز سيسفاير لحقوق المدنيين.

وهيب الشاعر. (2004). الأردن.. إلى أين؟ الهوية الوطنية والاستحقاقات المستقبلية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

صامدون هنا!
المسيحيون في مستقبل المشرق

د. كمال ديب

ملخّص:

هل وصل مسيحيو المشرق إلى مرحلة الاندثار السياسي والاقتصادي والثقافي بعدما انحدرت نسبتهم من 80 بالمئة قبل 1500 عام إلى أقل من 10 بالمئة من السكان حالياً؟

إذا كان من سبب مباشر للقلق من تسارع الانحدار، فهو ما يسمّى الربيع العربي عام 2011 وما تلاه من حروب وأزمات في سورية والعراق مستمرة حتى اليوم.

والقلق على مصير المسيحيين في المشرق أساسه الحفاظ على التنوّع ضمن دولة الرعاية المدنية التي لا تفرّق بين أبنائها عرقياً ومذهبياً، فلا تشريعات للذمية من ناحية، ولا منحى غربي لا يحترم التراث المشرقي من ناحية أخرى.

والواجب هو إطلاق ناقوس خطر وتقديم خارطة طريق إلى المسؤولين في المشرق، من قادة سياسيين وروحيين وأصحاب أعمال.

ورسالة إلى العالم العربي ليعمل ثقافياً واجتماعياً لمواجهة التحديّات.

وإلى مسلمي المشرق الذين يحملون مسؤولية أخلاقية في المحافظة على التنوّع الديني والعرقي وخاصة الوجود المسيحي المتواصل هنا منذ ألفي عام.

ذلك أنّ انهيار مسيحيي المشرق سينعكس سلباً على صورة الإسلام كديانة متسامحة وذبولهم يمثّل بداية عهد كنائس الصمت في سائر المشرق موطن المسيح ومهد المسيحية، فتخنق صوت الكنائس ورنينَ أجراسها رياحُ الأصولية والتطرّف وغياب التسامح.

لقد أعطى المشرق العالم الصورة الحضارية والمزيج الثقافي كأفضل نموذج لما يمكن أن تكون عليه المواطنية في المجتمعات المعاصرة وكمساهم بارز في النتاج الحضاري والثقافي واللغوي العربي والعالمي.

أليس حريّاً بكل المشرقيين أن يحافظوا على هذا النموذج؟

- أبواب الدراسة

- تدهور ديموغرافية مسيحيي المشرق

- ماذا حصل في الفترة 2010 – 2020؟

- وضع مسيحيي المشرق عام 2022

- مستقبل مسيحيي المشرق

- ترشيد علاقة مسيحيي المشرق مع أوروبا وأميركا

تعريفات جغرافية

المشرق: هذا المصطلح يضم بلاد الشام وبلاد ما بين النهرين.

أُطلق على سبحة مدن احترفت التجارة وتغلغل عبرها الرحالة الأوروبيون.

وكانت هذه المدن مراكز انصهار ثقافي تجاورت اللغات والعادات والديانات.

وثمّة تحديدان للمشرق الأول جغرافي وينحصر بشرق المتوسط أو ما يسمى تاريخياً بلاد الشام، والثاني حضاري يضم إضافة إلى بلاد الشام، بلاد ما بين النهرين وذلك بسبب التواصل الثقافي والعمراني الذي امتد من ساحل الشرق المتوسط غرباً مروراً بحلب شمالاً ثم إلى الموصل شرقاً ونزولاً في حوضي دجلة والفرات.

وما أبناء الحضارات الكنعانية والبابلية والآشورية والآرامية إلا تشعبات نواة أصلية سامية انطلقت من ساحل سورية الغربي.

ويمتد ساحل المشرق الغربي على البحر المتوسط مسافة 600 كيلومتر من الإسكندرون شمالاً إلى غزة جنوباً، وعرضاً من بيروت إلى البصرة على مسافة 1400 كيلومتر.

ويقيم في المشرق حسب تقديرات الأمم المتحدة ما يقارب 80 مليون نسمة[1].

ويزيّن ساحله الغربي مدن تاريخية أبرزها الإسكندرون واللاذقية وطرطوس وطرابلس وبيروت وصيدا وصور وعكا ويافا وغزة.

(1) هذا يشمل لواء الإسكندرون في تركيا والجمهورية العربية السورية والجمهورية اللبنانية والمملكة الهاشمية الأردنية وفلسطين (كيان إسرائيل والضفة الغربية المحتلة وغزة).

أدّت هذه المدن ولا تزال دوراً هاماً كمرافىء ومراكز تجارية لمدن الداخل الاسطورية مثال الموصل وبغداد والبصرة وأنطاكيا وحلب وحماة وحمص وبعلبك ودمشق والقدس وعمـّان[1].

المشرق العربي: ثمة مفهوم آخر هو المشرق العربي ويُقسم العالم العربي إلى قسمين، مشرق ومغرب.

فالدول إلى الغرب من مصر، أي ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا، هي المغرب العربي.

وباقي الدول إلى الشرق ومن ضمنها مصر والجزيرة العربية فهي المشرق العربي.

الشرق الأوسط: مصطلح الشرق الأوسط الذي بات سائداً اليوم يعود إلى بدايات القرن العشرين في الوثائق الرسمية للاستعمار البريطاني ثم الأميركي للدلالة على منطقة جغرافية تضم إضافة إلى المشرق العربي تركيا وإسرائيل وإيران وغيرها من الدول.

فهو مصطلح استعماري أوروبي يجعل أوروبا مركز العالم، أخذت الحركة الصهيونية في فلسطين تستخدمه لأنّه فضفاض يسمح بضَم اسم إسرائيل إلى المنطقة ويمسخ هوية شعوب المنطقة.

أمّا الشرق الأوسط الكبير فهو مصطلح ابتدعه اليمين الأميركي المحافظ في أميركا منذ العام 1991 لوضع خريطة جغرافية سياسية تبتلع المنطقة العربية وتعمل على طمس مقوّماتها الثقافية والحضارية وتذويب كيانات المنطقة في منطقة جغرافية أوسع تمتد من حدود الصين إلى المغرب.

وفي العام 1994 نشر رئيس حكومة إسرائيل السابق شيمون بيريز كتابه الشرق الأوسط الجديد وأخذ رؤساء أميركا يتداولون مصطلح الشرق الأوسط الكبير.

المشرقية المسيحية: تغطي مساحة جغرافية شاملة السلطة الكنسية للبطريركيات التي انبثقت من أنطاكيا مدينة الله في شمال سورية.

فعبارة المشرق أتت في لقب بطاركة الكنائس المشرقية (بطريرك أنطاكية وسائر المشرق).

(1) Philip Hitti, History of Syria including Lebanon and Palestine, New Your, MacMillan, 1951.

ولكن سلطتها تمتد خارج البلدان المستقلة إلى مساحات شاسعة أصبحت اليوم في جنوب تركيا (من الإسكندرون وأنطاكيا شرقاً مروراُ بمرعش ونصيبين وصولاُ إلى ديار بكر) وفي إيران، إضافة إلى جيوب مسيحية مشرقية في الباكستان وشرق الهند (منطقة كيريلا - بومباي).

المسيحية العربية: وهي تقتصر على المشرق العربي باستثناء الجزيرة العربية (السعودية واليمن والخليج)، وتغيب عن دول المغرب العربي غرب مصر.

وفي حال تواجد مسيحيون عرب في الجزيرة العربية وفي المغرب العربي فيكونوا جاليات أو عمالة وليسوا أصيلين فيها كما هم في العراق وسورية ولبنان وفلسطين ومصر.

بعد وفاة النبي العربي عام 632، عاد بعض القبائل إلى المسيحية ومنهم بنو عقيل سكان اليمامة فجرّد عليهم الخليفة أبو بكر حملة عسكرية.

كما عاد قسم كبير من بني كلب إلى المسيحية فقاد القائد خالد بن الوليد حملة عسكرية ضدهم، أفضت إلى مجزرة حيث قُتل جميع الأسرى في معركة دومة الجندل.

ثم أخرج الخليفة عمر بن الخطاب حديثًا شريفاً مفاده أنه لا يجتمع في جزيرة العرب دينان، ولذلك خيّرت القبائل بين الإسلام أو الهجرة إذا بقيوا على مسيحيتهم، فأسلم قسم منهم وهاجر القسم الآخر إلى بلاد الشام.

ورغم إجلاء مسيحيي نجران وعُمان في اليمن، فقد بقيت جيوب مسيحية في القرون التالية حتى القرن الخامس عشر على الأقل.

تدهور ديمغرافية مسيحيّي المشرق

شرّع اتفاق سايكس بيكو بين فرنسا وبريطانيا عام 1916 لولادة كيانات ضعيفة في المشرق في عشرينيات القرن العشرين متعددة الطوائف والأعراق على أنقاض السلطنة العثمانية.

والأهم أنّ فرنسا رسمت كيانات طائفية في سورية ولبنان ولكنّها لم تنجح سوى في لبنان حيث أقامت دولة بغالبيّةٍ ضئيلة مسيحية.

ومنذ أواخر ستينيات القرن العشرين انحدر هذا اللبنان على كافة الأصعدة حتى سقط عام 1976، فنشأت مكانه عام 1990 دولة أخرى لا تشبه تلك التي أعلنتها فرنسا، للمسلمين

فيها اليد العليا في شؤون البلاد ومصيرها، فيما انخفضت نسبة المسيحيين من 80 بالمئة من عدد سكان دولة جبل لبنان عام 1908 إلى أقل ثلاثين بالمئة في الجمهورية الثانية منذ 1990.

أما في سورية والعراق حيث قامت دول وطنية فقد انتعش الوجود المسيحي ولو لحين، ثم انحدر بشكل رهيب في العقدين الأولين من القرن الحادي والعشرين ووصل إلى الحضيض اليوم.

لم تكن مصادفة أن يطمأن الأب طوم سكينغ (أستاذ في الجامعة اليسوعية بيروت) أنّ لا خوف على مسيحيي المشرق من الاندثار لأنّ المسيحية ليست عدداً بل هي رسالة(1).

ذلك أنّ وضع مسيحيي المشرق بات مهدداً اليوم.

إذ حتى في العام 2010 كان عددهم لا يزال 7 ملايين نسمة (11 بالمئة من عدد السكان، هبط إلى 4 ملايين بعد حروب سورية والعراق والربيع العربي، منهم 1.5 مليوناً في لبنان وأقل من مليون في كل من سوري والعراق وأعداد أقل في الأردن وفلسطين.

إذ حتى في الأردن كانت نسبتهم إلى السكان 20 بالمئة عام 1930 انحدرت إلى أقل من 5 بالمئة اليوم.

ويُقارن هبوط نسبة المسيحيين في المشرق اليوم بديمغرافيتهم التاريخية.

إذ في القرن السابع عشيّة الفتح الإسلامي عام 632م كانت نسبتهم 95 بالمئة من السكان وعددهم 13 مليوناً، توزّعوا إلى 9.1 مليوناً في بلاد الرافدين و4 ملايين في سورية ولبنان (إضافة إلى 2.5 مليوناً في مصر).

ولكن في الفترة الممتدة من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر تناقص عددهم باستمرار حتى وصل إلى 7 ملايين نسمة عام 1071، فيما ازداد عدد المسلمين باضطراد.

ومع الحروب الصليبية (1099 إلى 1291) والانهيار المتواصل للامبراطورية البيزنطية وبسبب الحكم المملوكي المتزمّت ضد المسيحيين، وصل عددهم حدّ الانقراض (بعدما انقرضوا فعلاً وتماماً في الجزيرة العربية وشمال أفريقيا باستثناء مصر).

(1) Carole Dagher, Bring Down the Walls, p. 67.

فعددهم في بداية القرن السادس عشر في المشرق انحدر إلى 400 ألفاً من اصل عدد سكان ذلك الوقت بلغ 5.7 مليون نسمة، أي إلى 7 بالمئة من السكان.

إلا أنّ الحقبة العثمانية شهدت عودة ازدهار مسيحيي المشرق وخاصة بسبب انفتاح الباب العالي على أوروبا وسياسة الامتيازات للامبراطوريات الصاعدة مثل فرنسا وبريطانيا وإيطاليا والنمسا وروسيا.

ما فتح الباب للدول الأوروبية في التعامل والتجوّل بحرية في أراضي السلطنة ومع مرور الوقت في إدعّاء حق الدفاع عن مواطنيها من تجّار وإرساليات ومن ثم حق الدفاع عن الأقليات المسيحية المشرقية التي تتبع مذاهب تلك الدول (الكاثوليك لفرنسا والنمسا والأرثوذكس لروسيا والبروتستانت لبريطانيا وأميركا، إلخ.).

ومع هذه العلاقات، ازدهرت التجارة والتربية والتعليم في المشرق، فتحسّن الوضع الديمغرافي للمسيحيين في ظل السلطنة العثمانية، حتى ارتفعت نسبتهم إلى السكان إلى 15 بالمئة في بلاد الشام وشمال العراق ومصر، وإلى 81 بالمئة في متصرفية جبل لبنان (في الفترة 1861 إلى 1912).

وتكراراً لهذه التجربة التاريخية، فالانقراض ليس حتمياً وعوامل النهوض والتكاثر لا تزال متوفّرة.

***

العوامل الرئيسية المسؤولة عن تراجع نسبة المسيحيين في القرن الأخير (1920-2020) معروفة: فالهجرةُ هي العاملَ الرئيسي والأول.

إذ رغم جذور المسيحيين في المشرق والتي تعود إلى القرون الأولى للمسيحية قبل ألفي سنة، فثمـّة أسباب قاهرة دفعتهم إلى الهجرة.

منها الوضع الاقتصادي الصعب، وهو يحتل المرتبة الأولى، وتضاؤل الحريات وتدهور النظام الديمقراطي وصعود الأصوليات الإسلامية في لبنان والمنطقة ما عطّل المسيرة نحو الدولة المدنية.

كما كان ثمـة هجرة داخلية، ويلي عامل الهجرة والنزوح، تراجع ولادات الأسر المسيحية منذ نيل دول المشرق الاستقلال عن الاستعمار الغرب في أواسط القرن العشرين، ثم العامل

الثالث هو وقوع المسيحيين ضحايا الحروب في الربع قرن الأخير (نتائج حرب لبنان 1975 – 1990 وما تلاها من هجرة، والغزو الأميركي للعراق عام 2003 والحرب على سورية منذ 2011.

ماذا حصل في الفترة 2010-2020؟

في كانون الثاني 2009 دخل البيت الأبيض رئيس أميركي جديد، وفي جعبته خطوات جديدة لتطبيق استراتيجية أميركا القديمة وهي خلق طوق إسلامي يردع الصين وروسيا.

وفي هذه الخطوات الجديدة إسقاط عدد من الدول العربية وتحويلها إلى نظام حكم إسلامي على النمط التركي الذي يمثّله رجب طيب إردوغان وفريقه.

لم تكن صدفة أنّ هذا الرئيس الأميركي الجديد كان باراك أوباما وأنّه من أصل إفريقي ومسلم، كجزء من أدوات تنفيذ الاستراتيجية.

فقد عشق العرب بسذاجة أوباما دون أن يدركوا أنّ إدارته سوف تجلب الكوارث والحروب عليهم.

فهو باشر عمله كرئيس بالحضور إلى القاهرة وإسطنبول باكراً ذلك العام حيث ألقى خطابات مهّدت لإشعال العالم العربي بموجة انتفاضة دينية غايتها أن تنتهي باكتمال القوس الإسلامي الموعود الذي سيشكّل حاجزاً غربياً في وجه الصين وروسيا.

هذه الخطة القديمة كانت ولا تزال تعتبر مسيحيي المشرق مجرّد بيدق يمكن نزعه من مكانه بدون رفّة جفن collateral damage كمشهد جانبي لا أكثر.

في خطاب القاهرة في الرابع من حزيران 2009، ما إن قال أوباما السلام عليكم بالعربية حتى انطلقت عاصفة تصفيق طويلة من الحضور.

ثم أخذ أوباما يكيل المديح لجامعة الأزهر الإسلامية في القاهرة وكان محور خطابه علاقة أميركا بالإسلام.

وفجأة أخذ أوباما يطمئن أقباط مصر وموارنة لبنان:

The richness of religious diversity must be upheld, whether it is for Maronites in Lebanon or the Copts in Egypt.

ووقتها استغرب البعض: لماذا يريد أوباما في هذا التوقيت بالذات طمأنة المسيحيين العرب وتحديداً موارنة لبنان وأقباط مصر؟ والحقيقة أنّ الخطاب والتوقيت لم يأتيا من فراغ، بل كانا ضمن سياسة أميركية قديمة تجاه العالم الإسلامي وقد حان وقت تنفيذها في المنطقة العربية، ما احتاج إلى طمأنة الأقليات الخائفة التي سيجعلها المشروع الأميركي في وضع ذمّي في دولة مسلمة (كان الفرنسيون أكثر صراحة بلومهم المباشر لمسيحيي المشرق: لماذا لا تهاجرون إلى الغرب بدل البقاء في ديار الإسلام؟).

يعود المشروع الأميركي إلى مطلع الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بعد الحرب العالمية الثانية وتحديداً العام 1949.

في العام 1951 كتب المؤرخ برنارد لويس في فصلية أكاديمية بريطانية عن ضرورة استعمال الإسلام كأداة فعّالة لمحاربة الشيوعية الملحدة.

ذلك أنّ الكتلة الاشتراكية في شرق أوروبا والاتحاد السوفياتي والصين كانت تطوّقها شعوب على دين الإسلام - بدءاً من ولاية اليوغور في الصين مروراً بولايات وسط آسيا السوفياتية (قرغيزستان وأوزبكستان وتركمنستان وتاجكستان)، ثم أفغانستان وإيران وجبال القفقاس وتركيا، وصولاً إلى البوسنة وكوسوفو في يوغسلافيا، وهذا في قلب أوروبا.

أمّا في العالم العربي والذي اعتبرته الاستراتيجية الأميركية خط دفاعٍ ثانٍ في وجه الصين وروسيا، فقد تموضعت الحركة الوهابية في المملكة العربية السعودية عام 1932 مقارنة بالمشرق حيث كان التوجّه هو نحو دولة مدنية عبّرت عن نفسها بنمو الفكر القومي العلماني في سوريا ولبنان والعراق.

ومن رحم العلمانيين في بلاد الشام ظهر حزب البعث وحركة القوميين والحزب السوري القومي.

وفي مصر لم يُكتب النجاح لحركة الأخوان المسلمين بل انتصر خط جمال عبد الناصر القومي العربي الذي كان له حضوره القوي في بلدان العرب من اليمن إلى مصر وسورية والعراق والجزائر، واشعل الشعور القومي ثورات محلية تطالب بالوحدة العربية وهي مفهوم يناقض رغبة أميركا الاستراتيجية.

واستلم حزب البعث الحكم في سورية والعراق، وقامت ثورات في اليمن والجزائر وليبيا وانتشرت حركات عروبية في دول عربية أخرى.

في تلك الأثناء كان الإسلام السياسي المدعوم أميركياً يحقّق نجاحات في آسيا.

فبعد إسقاط الزعيم الوطني أحمد سوكارنو في إندونيسيا وهو أحد زعماء كتلة عدم الانحياز عام 1965 على أيدي قائد الجيش سوهارتو والإسلاميين وخلال شهور قتل الإنقلابيون ما يزيد عن مليون أندونيسي بتهمة الانتماء إلى اليسار والشيوعية واتجهت البلاد نحو الإسلام.

وفي عام 1976، انطلقت حركة إسلامية مسلّحة في الباكستان ضد الرئيس ذوالفقار علي بوتو العلماني النزعة وبطل دول عدم الانحياز مع عبدالناصر وجوزف تيتو وجواهر لال نهرو وشو إن لاي.

وعندما أمر بوتو الجيش فرض الأمن في الباكستان قام قائد الجيش الجنرال ضياء الحق بانقلاب عسكري ضدّه أطاح بالنظام الديمقراطي وأعدم بوتو عام 1977 (وكان ضياء الحق أميركي الهوى التحق بدورات طويلة في أميركا وقاد قوات باكستانية لدعم الملك حسين ضد المقاومة الفلسطينية في الأردن في 1969 و1970).

وعندما أصبح ضياء الحق دكتاتوراً أعلن الباكستان دولة إسلامية وأنّ سياسته الخارجية هي التقرّب من الولايات المتحدة.

وهكذا أصبح ثلث سكان العالم الإسلامي موالياً للولايات المتحدة بمنحى ديني إسلامي.

وبعد الباكستان جاء دور أفغانستان المجاورة. فأفغانستان كانت تحت حكم شيوعي تدعمه موسكو.

وفي 1978 ظهرت فيها معارضة إسلامية مسلّحة أدّت إلى تدخّل عسكري روسي.

ما أعطى فرصة لواشنطن لإشعال فيتنام إسلامية ضد روسيا، وأصبحت الباكستان تحت ضياء الحق رأس الحربة الأميركية في أفغانستان بمساعدة وتمويل من السعودية ودول الخليج.

حتى نجح المسعى الأميركي عام 1988 بضرب روسيا في أفغانستان التي سيطر عليها تنظيم الطالبان وأعادها إلى عصور الظلام لتستمرّ الحرب عقوداً، وفي إيران، وصل الإسلاميون إلى الحكم وفرضوا أيضاً نظاماً إسلامياً.

وعندما سقطت الكتلة الاشتراكية في شرق أوروبا في أواخر الثمانينيات، أخذت ترتسمت معالم الطوق الإسلامي الذي يسير في الفلك الأميركي ويشكّل صمام أمان للغرب في وجه روسيا والصين.

إذ منذ 1990 وُلدت دول في وسط آسيا على أنقاض الدولة السوفياتية بأغلبية مسلمة (قرغيزيا وأوزبكستان وتاجكستان وتركمنستان).

وحتى الداخل الروسي لم ينجو من الصحوة الإسلامية، ففي التسعينيات أشتعلت انتفاضة إسلامية في أراضي روسيا من الشيشان إلى داغستان وأصبحت ولاية أذربيجان - الأقرب جغرافياً من موسكو - دولة مستقلة مسلمة على علاقة وثيقة بالناتو، مع جارتها الكبرى تركيا عضوة الناتو حيث وصل الإسلاميون إلى الحكم فيها أيضاً.

وكذلك في آسيا حيث خزّان الإسلام الأكبر (اندونيسيا والباكستان وأفغانستان).

وامتدّ هذا القوس إلى قلب أوروبا، حيث غرقت يوغسلافيا في حرب أهلية كان عنوانها الكاذب في الإعلام الغربي منح مسلمي البوسنة وكوسوفو حق تقرير المصير.

ورغم أنّ رئيس يوغسلافيا سلوبودان ميلوسوفيتش وافق على تدخّل أميركا وقبل باتفاقية دايتون التي عملياً قسّمت يوغسلافيا إلى ستّ دول، فقد كان ذلك مكيدة من إدارة الرئيس الأميركي بيل كلنتون.

إذ بعد ذلك دكّت طائرات الناتو بلغراد 78 يوماً عام 1999، ظلماً وعدواناً وخلقت توتراً بين المسيحيين الأرثوذكس والمسلمين ما ترك جرحاً عميقاً.

ثم تم اعتقال الرئيس ميلوسوفيتش وجرّه إلى محكمة العدل الدولية في لاهاي لمحاكمته بجرائم حرب، حتى توفي في الزنزانة عام 2006.

في المنطقة العربية، بدأ أفول القوى العلمانية عام 1967 عندما استطاعت إسرائيل هزيمة مصر وسورية.

وفي السنوات الثلاثة التي تلت، تراجع عبدالناصر عن مواقفه المبدئية وتصالح مع عرب أميركا وقبِل بمبادرة روجرز الأميركية وعيّن أنور السادات، اليميني والإسلامي الهوى، نائباً له عام 1969(1).

وتوفي عبد الناصر عام 1970 في أسوأ وضع عربي حيث بدأت تنهار المنظومة القومية ومعها صروح الثقافة والأدب والسينما.

واشتعلت حرب أهلية في الأردن بين المقاومة الفلسطينية والجيش الأردني وبدأت ملامح حرب كبرى في لبنان بمعارك بين الفلسطينيين والجيش اللبناني.

ثم كان السادات - مثل ضياء الحق - أميركي الهوى، فهو جاء بـانفتاح اقتصادي مزيّف وربط نظامه بالعرب المحافظين كالسعودية، وقضى على تراث عبد الناصر بحركة تطهير في أيار 1971 وطلّق موسكو عام 1972 وصالح إسرائيل عام 1978 وشجّع تنظيمات الأخوان المسلمين لتعاونوه ضد اليسار المصري.

واتخّذ لنفسه لقب الرئيس المؤمن رافضاً أن يزايد أحد على إسلاميته، ففرض التديّن على الشعب (كما فعل حكم الإسلاميين في تركيا وإيران) واتهم أي معارض لحكمه بأنّه شيوعي (دول شيوعيين كان يردّد كل أسبوع ضد معارضيه أو منتقديه).

وظنّ أنّه سيضبط الجماعات الإسلامية، حتى اغتالوه في تشرين الأول 1981.

وكما في مصر كذلك في سورية، حيث اقتحمت جماعة الأخوان الساحة السورية بقوّة عام 1976 في انتفاضة مسلّحة هدّدت كيان الدولة في صراع مرير استمرّ خمس سنوات حسمته معركة حمص في شباط 1982.

جاء تقدّمُ الإسلاميين في العالم العربي على حساب القوى الديمقراطية والعلمانية والأقليات.

فهو لم يحصل أبداً في دول محافظة تدعمها أميركا، وعلى سبيل المثال كان تنظيم الأخوان في الأردن من أقوى وأكبر جماعات الأخوان في العالم العربي ومع ذلك لم يحصل أن هددّوا النظام فيه يوماً.

---

(1) كان السادات حتى قبل ثورة يوليو 1952 منتمياً للأخوان المسلمين ثم أصبح رئيساً لمنظمة المؤتمر الإسلامي المرعية من السعودية عام 1955.

ظهرت تنظيمات خطيرة في مصر في عهد حسني مبارك ارتكبت أعمال عنف واسعة أضّرت بالبلاد وبمصالحها الاقتصادية الحيوية.

واندلعت حرب أهلية بين الإسلاميين والجيش الجزائري عام 1991 استمرت لسنوات، وطغى التيار الإسلامي في المخيمات الفلسطينية في لبنان وسورية والأراضي المحتلة، وانتشرت حركات وجماعات أصولية في الدول العربية بعضها يتخذ مركزه في أوروبا أو أميركا.

ثم احتلّت أميركا العراق عام 2003 وصوّرت الغزو بأنّه للقضاء على شخص صدام وابتدعت كذبة أسلحة الدمار الشامل في حين كان الهدف تدمير العراق كدولة علمانية وتفتيت جيشه وقطاعه العام ونهب ثرواته، وتمزيقه إلى أقاليم إثنية ومذهبية وتسليمه إلى أصوليات شيعية وسنيّة.

واتجه السودان نحو الفكفكة بضغط أميركي غربي حتى تم تقسيمه عام 2011 إلى دولتين بالخداع والترهيب.

في حين أنّ ما يربط السودانيين كان أقوى بكثير من أسباب التقسيم، وحتى بعد التقسيم بقيت العربية هي اللغة السائدة والرسمية في الدولتين، وحتى كبار مسؤولي جنوب السودان ووسائل إعلامه لا يستعملون سوى اللغة العربية، وفي الجنوب نسبة كبيرة جدّاً من المسلمين.

وكان يمكن إصلاح الدولة الواحدة بالحوار لولا صعود الأصوليات المشبوهة وخلق نظام يعتمد الشريعة نغّص حياة السودانيين.

أمّا ليبيا فكانت حكومتها تظن أنّ تقديم تنازلات وأموال للغرب يكفي ليشملها العطف الأميركي.

إلا أنّها سقطت بأيدي الجماعات الإسلامية المسلّحة عام 2011 بدعم الناتو لأنّ التنازلات لم تكن كافية بل كان المطلوب الرضوخ الكامل.

وقُتل الرئيس معمّر القذافي وغرقت البلاد في اقتتال دامٍ لا يزال مستمراً عند كتابة هذه السطور.

في السنوات التي سبقت الربيع العربي وتلته، كثُرَ المحللون العرب والأجانب الذين يبشرّون أنّ المنطقة العربية ستنتهي إلى نظام إسلامي محافظ بعد ثلاثين عاماً من الحروب وتُلزم المذاهب الإسلامية بإسلام وسطي جديد.

وكان مصدر هذا التبشير هو الولايات المتحدة بإدارة الرئيس أوباما الذي استبشر بتركيا كنموذج يتبعه العرب بتمويل من قطر.

وكان يعني ذلك أن ينسى المثقفون العرب حلمهم بالدولة المدنية والعلمانية.

وما حصل في مطلع 2011 أنّ الربيع العربي الموعود كان خريف أصوليات خلق سلسلة دول إسلامية تتكامل مع إيران وتركيا وإسرائيل في اعتمادها الرجعة الدينية أساساً.

وحتى إيران هتفت لهذا الربيع العربي وأيدّت صعود الأخوان المسلمين.

حيث ذكر مرشد الثورة الإسلامية علي خامنئي في مطلع 2011 أنّ الربيع العربي هو استمرار للثورة الإسلامية في إيران.

وكذلك تعاملت إيران الرسمية بإيجابية كبيرة مع وصول الإسلاميين إلى الحكم في مصر وتونس وليبيا وغيرها (ويمكن لمَن يشاهد فضائية العالم الإيرانية أن يلاحظ أنّها منبر حي لإسلاميي مصر وليبيا وتونس، إلى درجة أنّ المحطة تتصدّى للضيوف في فقراتها الحوارية إذا تعرّضوا للرئيس المصري السابق محمد المرسي وسواه من الإسلاميين).

ومن نافل القول إنّ الحركات الدينية صبّت في النهاية لغير صالح تقدّم المجتمعات وتطويرها، وتنضح عن رجعة غير تنويرية.

عندما قلق مسيحيو المشرق من صعود الإسلاميين وأعمالهم العنيفة شكوا للديبلوماسيين الأوروبيين عن ظلام مستقبل الأقليات إزاء صعود الإسلام.

فأجاب الديبلوماسيون الغربيون بسؤال: ولماذا ما زلتم أنتم هنا؟ ماذا تفعلون؟ كل دول الغرب تفتح أبوابها لهجرتكم.

***

في أوج الصحوة الإسلامية التي سرّعت في انحسار مسيحي المشرق، كان من الهزل في العامين 2011 و2012 اللذين شهدا الربيع العربي والحرب السورية وظهور التكفيريين الكثيف في سورية والعراق، أن يشهد المراقب تهافت أصوات كثيرة وفي مقدّمها شخصيات مسيحية، عبر وسائل إعلامية مكتوبة ومرئية ومسموعة وفي الصالونات، تطمئن الرأي العام والأقلية المسيحية في المشرق بأنّ لا خوف عليكم إذا وصلت الجماعات الإسلامية إلى الحكم في مشارق العالم العربي ومغاربه أو كما قال سمير جعجع قائد حزب القوات اللبنانية في مقابلة: فليحكم الأخوان إذا كان وصولهم ديمقراطياً[1] أو ما قاله شارل جبور مسؤول الجهاز الإعلامي في نفس الحزب: إذا كان داعش ضد حزب الله فأنا مع داعش[2].

تطوّر هذا المنطق وتشّعبت وسائل طمأنة المسيحيين بدءاً بمشاركة شكلية للجماعات الإسلامية في الأعياد المسيحية في المقاعد الأمامية، إلى إشادة شخصيات مسيحية وأقلام مسيحية بتاريخ مديد عاش فيه المسيحيون بسلام في ظل دولة إسلامية.

وتنطّح سياسيون مسيحيون في برامج توك شو وتنافس كتبَة مقالات للدفاع عن صعود الإسلاميين في المنطقة، وتُّدبيج مقالات مطلعها لمَ لا.

ولكن الواقع الذي فرضته الأحداث لم يكن يبشّر بالخير، بل هدّد المتنوّرين والمثقفين المسلمين وسائر المسيحيين في المنطقة.

والمعلومات – بل أطنان منها - تراكمت منذ 2011 حتى اليوم عن خروج المسيحيين من ديارهم في العراق ومصر ولبنان وسورية والأردن وفلسطين بأعداد متزايدة، وما حصل كان رجعة إلى عصور الظلمات والتطرف والتكفير.

لقد كثرت التصريحات والبيانات والمقالات التي دعت مسيحيي المشرق للالتحاق بـ الثورة ضد أنظمة اعتبرتها استبدادية وتكلّمت باسمهم (دون الاستناد إلى استفتاء أو دراسة

---

(1) جريدة الأخبار 4 شباط 2012: سمير جعجع: بعض الغرب يريد احتراق سوريا مقابلة نادر فواز مع سمير جعجع: يحكم من يحكم، المهم ضمانة أمور ثلاثة: الديموقراطية، حقوق المرأة والاقتصاد الحرّ. في منطقة كلها مسلمون، ماذا تنتظرون؟ أن يحكم الإخوان المسيحيون؟ الإخوان المسلمون طبعاً، ولا ضير في ذلك طالما العناوين الثلاثة لن تمسّ.

(2) شارل جبور: هل داعش ضد النظام السوري؟ نعم.

هل داعش ضد إيران؟ نعم.

هل داعش ضد حزب الله؟ نعم. إذاً أنا مع داعش على تويتر، (31 تشرين الأول 2013).

عن اتجاهات الرأي العام المسيحي) فجعلتهم انّهم في حيرة من أمرهم إزاء الانتفاضات التي تثور على أنظمة استبدادية وتحاول استعادة حقوق الإنسان العربي في الحرية والكرامة[1].

وخلصت الدعوات إلى أنّ مسيحيي الشرق لا يستطيعون من حيث المبدأ إلاّ أن يكونوا، ليس فقط إلى جانب هذه الانتفاضات الثورية، بل في أساسها أيضاً. ولتجميل الطعم، استعرضت هذه الدعوات سوابق تاريخية كان للمسيحيين دور قيادي وأساسي فيها:

الانتفاضة العربية ضد التتريك.

- الانتفاضة العربية ضد الاستعمار الأوروبي (الفرنسي والبريطاني).

- الانتفاضة العربية ضد الاحتلال الصهيوني لفسلطين.

وقياساً بمنح جزرة تجميل الواقع، كانت العصا جاهزة في تحذير المسيحيين من تأييد أنظمة الاستبداد (ويقصد دائماً الدول العربية الجمهورية) لأنّ ذلك يتناقض مع الأدوار التاريخية التي قام بها المسيحيون.

ولكن لنتمعّن قليلاً في دعوات المسيحيين لدعم الهجوم الإسلامي تحت عنوان مساهمتهم في السوابق التاريخية الثلاثة:

النهوض العربي ضد التتريك والذي كان مسيحيو المشرق في أساسه، كان مبنيّاً على فكر قومي علماني وليس على صحوة دينية إسلامية.

في حين كانت الطبقات الوسطى العربية منسجمة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً مع الحكم.

أمّا في الربيع العربي عام 2011، فلم يكن ثمّة مؤشّر أنّ انتفاضات مصر واليمن وليبيا وتونس وسورية كانت على أسس فكر قومي علماني.

بل كان الطابع الديني الإسلامي هو الطاغي وهذا لا يشجع مشاركة المسيحيين ولا يمكن تشبيهه بعصر نهضة جديد للعرب.

(1) أنظر مثلاً مقال محمد السمّاك، مسيحيو الشرق والانتفاضات العربية قضايا النهار، 10 أيلول 2011.

الصراع العربي ضد الاستعمار في القرن العشرين قاد النضال العربي رجال مثل جمال عبدالناصر في مصر وعبدالكريم قاسم في العراق وأحزاب وحركات قومية عربية يسارية، كالقوميين العرب والبعث والشيوعيين والناصريين.

وكان في هذه الحركات عدد كبير من المفكّرين المسيحيين، أمّا في الربيع العربي عام 2011 فقوات الحلف الأطلسي الغربية ومعها قوات بعض الدول العربية التابعة المتعاملة معها قصفت وضربت في ليبيا وكأنّها هي وليّة أمر الربيع العربي.

كما أنّ تركيا، العضوة الهامة في الحلف الأطلسي، كانت رأس الحربة في الحرب على سورية، ما يعني أنّ هذا الربيع العربي لم يكن ضد الاستعمار الغربي.

لا بل أنّ طابعه العام هو أنّ الذين أداروا هذه التحركات في الشارع كان لهم امتدادات غربية وأطلسية مخيفة تبشّر بعودة الاستعمار بأبشع صوره.

وثالثاً وهنا بيت القصيد، ذكّرت الدعوات الخبيثة المسيحيين بدورهم في الانتفاضة ضد الاحتلال الصهيوني في فلسطين.

ولكن في أحداث الربيع العربي لم يرفع الحراك في مصر وليبيا وتونس وسورية شعار فلسطين أو علم فلسطين.

لا بل على العكس، فإنّ القوى الإقليمية والغربية اشترطت دعم ثوّار الربيع العربي بالإعلام والمال بالضبط لقاء عدم رفع راية فلسطين، والإبقاء على الثورة ضمن نطاق مطلبي ضيّق.

ولذلك فإذا كانت القضية الفلسطينية والقدس قد جمعت المسلمين والمسيحيين حول همّ عربي مشترك في الماضي، فإنّ تغييبها في الربيع العربي أثار علامة استفهام كبيرة.

لم تكن انتفاضات الربيع العربي في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين حول حقوق إنسان وديمقراطية ضد أنظمة استبداد (وما أكثر أنظمة الاستبداد في العالم العربي وخاصة تلك الحليفة لأميركا والتي لم تقم فيها انتفاضات).

بل الوضع هو أنّ المنطقة العربية وقعت بين مطرقة غربية تقودها أميركا وإسرائيل وسندان رجعي محلي هدّد المنطقة العربية بالسقوط في قبضة صحوة إسلامية تبدو متعدّدة الأطياف

ولكنّها تصبّ في النهاية في إطار ديني ومذهبي خلقه الغرب لاستكمال الطوق حول روسيا والصين.

ومسيحيو المشرق وقعوا بين هذه المطرقة الغربية التي لا تكترث لمصيرهم والسندان الديني المجلس وداعميه من انتلجنسيا مرتهنة.

وكانت المهمة استكمال وقوع العالم العربي في قبضة الإسلاميين، فمن إيران (1979) إلى العراق (بعد سقوط البعث عام 2003) ومن المغرب إلى السودان ودول الجزيرة العربية، أصبح الفكر الديني أو الطائفي هو المهيمن، فجاءت أحداث العقد الأول من القرن الحادي والعشرين تريد سقوط مصر وليبيا وتونس وسورية بين فكي الحركات الإسلامية.

لقد انتقد المفكر اللبناني جورج قرم مراراً توصيف الصراع على أنّه بين شرق مسلم وغرب مسيحي، واعتبر ذلك أوهاماً وخرافات[1].

إذ ليس ثمّة خلاف بين العالمين حول جوهر الديانتين ولا على الاقتصاد، فالعالم الإسلامي بأسره منضو ومتأقلم جيدّاً مع النظام الرأسمالي المعولم الذي تتزّعمه أميركا.

والاستراتيجية الغربية تدعم إسلاماً معتدلاً بعيداً عن القومية العربية وعن الفكر العلماني لا يتبنّى قضية فلسطين.

فيتسلّم هذا الإسلام الحكم في العالم العربي إسوة بالإسلام المعتدل الذي يحكم تركيا العضوة في الحلف الأطلسي والساعية إلى قيادة المسلمين.

وضع مسيحيي المشرق عام 2022

أحداث العقدين الأول والثاني من القرن الحادي والعشرين أدّت إلى عدم الاستقرار السياسي الذي فتح أبواب الهجرة الكثيفة من لبنان وسورية والعراق.

حتى بلغ عدد الذين تركوا العراق وسورية اليوم ما يناهز 7 إلى 9 ملايين نسمة بينهم نسبة كبيرة من المسيحيين تكاد تصل إلى 15 بالمئة أي مليون و250 ألفاً.

زد على ذلك عدد الذين غادروا لبنان منذ 1975 إلى 2022 وقد فاق المليون نسمة ونسبة المسيحيين في هذا النزيف من لبنان هي النصف، ما مجموعه ما يناهز المليونين.

(1) Georges Corm, Orient-Occident, la fracture imaginaire, Paris, Éditions La Découverte, 2004.

الكنائس المشرقية تبدو مكيلة اليدين أمام هذا النزيف البشري، فنكبة الهجرة المسيحية قد حصلت والمغتربات باتت تعجّ بأعداد هائلة من المهاجرين الجدد من لبنان وسورية والعراق.

ولذلك فالحاجة أصبحت مزدوجة: (1) صمود من بقي في أرضه وقريته وبلده و(2) مساعدة المغتربين للحفاظ على ثقافتهم وهويتهم ولغتهم العربية من الاضمحلال والذوبان في المجتمعات الجديدة[1].

ولكن لا يكتفي الباحث بتشخيص ذبول مسيحية المشرق في ملف الهجرة وحسب. إذ في الداخل أيضاً، ثمـّة بونٌ في سلوك الإنجاب والتناسل بين المسيحيين والمسلمين، سببه الفروقات الاقتصادية، أحدث انقلاباً في التحولات الديمغرافية وقلّص عدد المسيحيين منذ عقود.

فأي مراجعة عابرة ستظهر أنّ دول المشرق كانت تخضع لتحولات ديمغرافية عميقة على الأقل مرّة كل 25 سنة (أي كل جيل).

كما أنّ الأزمات الاقتصادية أخّرت سن الزواج لدى كل الطوائف وكان وقعها أكبر شأناً في صفوف المسيحيين في لبنان وسورية والعراق.

أمّا في الأردن وفلسطين فقد كان وقع ذلك يشبه الكارثة لقلّة عددهم أساساً.

أضف ظاهرة الهَجرِ (الافتراق) بين المرأة والرجل في العائلات المسيحية بسبب تعقيدات الطلاق وتكاليفه، حتى اقتصر تنفيذه على الميسورين.

وعانى مَن هم قادرون على الإنجاب في ظروف هجر الزوجية، فلا يقدرون في هذا الظرف أن يتزوّجوا ثانية وينجبوا.

إذاً نسبة الإنجاب لدى المقيمين من المسيحيين لا تعوّض حجم الهجرة.

(1) خاصة إذا كانت تلك المجتمعات بأغلبية مسيحية تسهّل الاندماج. وهذا حال معظم بلدان الاغتراب حيث الأغلبية الساحقة لدول أميركا اللاتينية هم من الكاثوليك، في حين أنّ نسبة مرتفعة من سكان الولايات المتحدة وأوستراليا وكندا هي أيضاً كاثوليكية.

نعم، صحيح أنّ نسبة الإنجاب قد انخفضت لدى جميع الطوائف في العقود الأخيرة بسبب ازدياد نسبة التعليم لدى المرأة وإقامة القسم الأكبر من الشعب في المدن الكبرى ولكن الوقع على المسيحيين كان أعمق.

وهذا جدول عن فروقات الإنجاب وفق الطوائف في لبنان مثلاً:

معدّل عدد الأطفال في العائلة اللبنانية حسب الطوائف			
المذهب	1959	1971	1987
سنّة	6.6	4.4	4.2
شيعة	7.5	5.2	5.1
دروز	8.2	3.7	3.9
روم كاثوليك	5.7	3.7	3.3
موارنة	5.0	3.5	3.3
روم أرثوذكس	5.0	3.3	3.4

المصدر: 73-Carole Dagher, Bring Down the Walls, p.72.

واصل الانخفاض في حجم الأسرة المشرقية، فبات من النادر انجاب المرأة لعدد كبير من الأولاد وليس بسبب فروقات الدين (ليس صحيحاً قول البعض إنّ المسلمين ينجبون أكثر لا لسبب سوى كونهم مسلمين)، بل لأسباب موضوعية علميّة تتعلّق بالمستوى المعيشي وتطوّر التربية والتعليم ودخول المرأة سوق العمل وتأخر سن الزواج والوضع الاقتصادي.

وهذه العوامل انطبقت على كل الطوائف بدون استثناء.

فالمسيحيون والمسلمون في المناطق الريفية في سورية والعراق ولبنان تساووا في نسبة الإنجاب بسبب أوضاعهم الاقتصادية والمعيشية ومستوى التعليم والإصرار على إنجاب الصبيان دون البنات.

حتى بلغ متوسّط عدد الأطفال في العائلة الواحدة في أرياف هذه الدول بين 5 و8، مقارنة بطفلين أو ثلاثة في المدن.

ثمّ أنّ مدارس المسيحيين قد تراجعت كثيراً عدداً ونوعية بعد خسارة موقعها في سورية والعراق وفلسطين، في حين انتشرت العلوم والمعارف واللغات لدى كل المسلمين.

وحتى في لبنان بات المسلمون أكثر فرانكوفونية وربحت اللغة الإنكليزية في صفوف المسيحيين وخاصة بعد تراجع الجامعة اليسوعية وصعود جامعة اللويزة وجامعة البلمند والجامعة اللبنانية الأميركية وغيرها.

كما خسر المسيحيّون موقعاً ميّزهم في الوظيفة والإدارة العامة والمؤسسات التربوية والطبية والاجتماعية في مدن المشرق.

وهذا التراجع وقع أيضاً في المؤسسات الصناعية، أضف إلى ذلك أنّ جهد مائة عام من المثقفين المسيحيين لنشر ثقافة الدولة المدنية بهدف تغيير المجتمع بصورة جذريّة في المشرق قد ذهب هباءً إلى حدّ كبير.

وهو وضع مأسوي ليس سببه مقاومة المسلمين بقدر ما ساهم فيه سلباً زعماء مسيحيون تقليديون وأحزاب مسيحية ورجال دين مسيحيون.

لقد بيّنت تقارير الإسكوا (المجلس الاقتصادي والاجتماعي لغرب آسيا) أنّ مستوى البطالة في بلدان المشرق ارتفعت في العقود الثلاثة الأخيرة كما ارتفعت نسبة الفقر.

وأظهرت دراسات أخرى أنّ تأمين السكن وأساسيات الحياة أصبحت من الصعوبات التي يواجهها الشباب وسبباً في تأخّر الزواج والإنجاب.

وقد أصاب الوضع الاقتصادي المعيشي الأقلية المسيحية بدرجة أعلى مما أصاب المسلمين.

فالمتفق عليه أنّ معدّل الإنجاب لدى مسيحيي المشرق قد تراجع أكثر من تراجعه لدى المسلمين منذ التسعينيات لأسباب تعلّقت بالقلق على المستقبل والأزمة الاقتصادية.

ومن آثار تراجع الوجود والنفوذ المسيحيَين بيعهم للأراضي والعقارات التي يملكونها كعائلات أو تملكها الكنيسة.

وهذا البيع حصل بشكل مضطرد منذ بداية التسعينات، وعلى سبيل المثال، لقد خرج الجانب المسيحي من الحرب اللبنانية عام 1990 منهكاً ومنقسماً ولكن أيضاً أكثر فقراً ونكبةً اقتصاديةً من الجانب المسلم، الذي استند بشكل أو بآخر على الدعم المادي من السعودية وإيران وتحويلات الأبناء من دول الخليج العربي وغرب أفريقيا ومناطق الانتشار الأخرى.

ومن الأدّلة على ذلك الصعود الصاروخي لجيل مترسمل برز فيه أشخاص مثل رفيق الحريري ونجيب ميقاتي وغيرهما، ووقوف هذا الجيل وراء نهضة اقتصادية تجارية وتربوية في أوساط المسلمين عموما حيث برز رجال أعمال شيعة بأموال من أفريقيا والمغتربات، كما ظهرت في دمشق وحلب واللاذقية شركات ومصارف يملكها مسلمون.

وفيما يلي وضع المسيحيين في بلاد المشرق عام 2022:

أولاً، مسيحيو لبنان

لبنان هو البارومتر الذي توزن فيه أوضاع مسيحيي المشرق، فقد وصل المسيحيون فيه اليوم إلى أدنى مستوى في نفوذهم ووجودهم منذ 1920 يكاد يناهز نسبة 27-30 بالمئة من عدد السكان المقيمين.

فتراجع مسيحيي لبنان يؤدي حتماً إلى تضعضع معنويات الأقليات المسيحية في العراق وسورية وفلسطين والأردن.

ذلك أنّ لبنان هو المتنفس الوحيد لمسيحية مشرقية رائدة وحرّة ونشطة، ما منح مسيحيي المشرق شعوراً بالاطمئنان والفخر على مساهمتهم في الثقافة والاقتصاد والتسامح والانفتاح نحو الغرب.

فينظرون إلى مصير حلب في شمال سورية التي كانت تضاهي بيروت في تعدديتها وانفتاحها ونشاطها ثم خمد نورها، ويخشون لبيروت مصيراً مشابهاً.

حافظ مسيحيو لبنان على تفوقّهم العددي في القطاع المصرفي واستمرّوا فاعلين في القطاعات الخدماتية والتجارة التي شكّلت 70 بالمئة من قيمة الإنتاج المحلي القائم.

إلا أنّ الأزمة المالية والاقتصادية المريرة التي شهدها لبنان من 2019 إلى اليوم وضعت هذا القطاع العريق في حالة موت سريري وهاجر العديد من كادراته.

وأدّت هجرة المتعلمين إلى انخفاض فاضح في مستوى التربية والتعليم في المدارس والجامعات.

ونزيف الأدمغة موضوع متواصل في لبنان حيث هاجر عدد كبير من الهيئة التعليمية والاختصاصيين الأكاديميين لبنان منذ 1975 إلى اليوم، حتى فاق عددهم 250 ألفاً، ويشكّلون 25 بالمئة من كل المهاجرين من لبنان في الربع الأخير من القرن العشرين.

ودلالة على فداحة الأمر، أنّ نسبة أصحاب الاختصاص والأكاديميين والأساتذة قد بلغت 37 بالمئة من مجموع المهاجرين منذ 1990 وفقاً لوزارة الشؤون الاجتماعية[1].

يعيش لبنان اليوم مفاعلات اتفاق الطائف حيث تراجعت سلطة المسيحيين وتدهورت صلاحيات مسؤوليهم في الدولة، وولدت مشكلة جديدة أنّ سلطة المسلمين التي رجح كفّها بموجب الدستور الجديد كانت بوجهين: سني وشيعي.

ما أدخل لبنان في صراع مذهبي على مراكز النفوذ وتصفية تَركة المسيحيين وكأنّها تفليسة. ولهذا فعندما انفجر وتحطّم مرفأ بيروت في آب 2020 وتدمّرت الأحياء المسيحية من حوله، تعمّم المصاب أنّ لبنان كلّه قد خسر.

مع أنّ النتيجة أنّ القوى الشيعية والسنيّة حافظت على مواقعها ومتانة وجودها بفضل ثقلها الديمغرافي وامتداداتها الإقليمية، فيما لا قدرة للمسيحيين سوى التراجع والقوقعة أو اللجوء لهذا أو ذاك من الطرفين المسلمين.

لقد قدَّرَت عدّة مراجع نسبة المسيحيين المقيمين في لبنان بثلث عدد السكان في لبنان عام 2000، ولكن باتت جميع التقديرات تشير إلى أن عددهم عام 2022 لا يتجاوز 27 بالمئة، فيما تشير دراسة ليوسف الدويهي[2] إلى أنّ نسبة الموارنة المسجّلين (ومنهم غير مقيم) قد تدّنت إلى 19 بالمئة من السكان.

ثانياً، مسيحيو سورية

إذا كان ثمّة علامة استفهام حول مستقبل مسيحيي لبنان مع احتمالات صموده وعودة نهوضه في ظل الوعي والحرية والديمقراطية، فليس ثمّة تفاؤل بالنسبة لمسيحيي سورية وأغلبيتهم من الروم الأرثوذكس ثم الكاثوليك والسريان والأرمن، في ظل ظروف الحرب الدامية التي بدأت في سورية عام 2011 ولمّا تنتهي[3].

(1) وزارة الشؤون الاجتماعية، الجمهورية اللبنانية بالتنسيق مع صندوق الامم المتحدة للنشاط السكاني، بيروت 1994 – 1996.

(2) يوسف الدويهي، النهار، 13 تشرين الثاني 2006.

(3) ينتمي السوريون المسيحيون إلى كنائس - طوائف متعددة: الروم الأرثوذكس وهم الطائفة الأكبر من مسيحيي سورية ويعدون 550 ألفاً. الأرمن الأرثوذكس 350 ألفاً. الروم الكاثوليك 190 ألفاً. السريان الأرثوذكس 180 ألفاً. الموارنة 100 ألفاً. السريان الكاثوليك والأرمن الكاثوليك 70 آلافاً لكل طائفة. البروتستانت 40 ألفاً. اللاتين

في القرنين الماضيين لجأ مئات الألوف من مسيحيي سورية إلى لبنان سواء بعد ولادة كنيسة الروم الكاثوليك الملكيين عام 1724 أو بعد الحرب الأهلية عام 1860 والتي كانت دمشق مسرحاً لها أيضاً.

ونسبة كبيرة من مسيحيي لبنان تجد جذورها في مدينة حلب وجوارها وفي وادي النصارى إلى الشمال من لبنان وفي مدينة دمشق ومنطقتها وسهل حوران جنوب دمشق، حتى أن المسيحيين جاؤوا لبنان من مناطق في شمال سورية هجروها بعدما أصبحت جزءاً من تركيا، مثل كيليكيا ولواء الإسكندرون.

ليس سرّاً أن ازدهار الأقلية المسيحية في سورية عاد إلى علمانية نظامها السياسي النسبي على علاته منذ الاستقلال والجلاء عام 1946 إلى العام 2010.

ولكن حرب سورية التي اشتعلت عام 2011، ولم تنتهِ بعد عند كتابة هذه السطور، هدّدت الوجود المسيحي في سورية وهو وجود شكّل حوالي مليون ونصف المليون مواطن من أصل 22 مليوناً (تقديرات عام 2010).

وفي حال نجحت حملة زعزعة سورية في ضرب استقرارها السياسي والاقتصادي ووحدتها الجغرافية ودفعها إلى كيان تطرف مذهبي، فإنّ مَن بقي من مسيحيي سورية سيفضّل الهجرة على البقاء في ظل نظام يسيطر عليه الأخوان المسلمون والتكفيريين وحلفاؤهم، إذ حتى لو كان بعض حلفاء الأخوان قد خرجوا بزيّ ليبرالي وتظاهروا بمعارضة مدنية لحكومة الرئيس بشار الأسد، فهم من أدوات الديكور في حرب إعلامية عاتية.

---

25 ألفاً. والكلدان 25 ألفاً.انتشرت المسيحية في سورية أثناء القرن الميلادي الأول، وأهم محطات الانتشار كانت اعتناق بولس الطرسوسي المسيحية عند أبواب دمشق واتخاذ الديانة الجديدة اسم المسيحية في مدينة انطاكيا. وتسمي كنائس كثيرة نفسها بالإنطاكية كالموارنة والروم الأرثوذكس والكاثوليك والسريان الأرثوذكس والكاثوليك. ويشكل المسيحيون في سورية حوالى 10 في المئة من السكان أي حوالى مليوني شخص، يتمركزون في الجزيرة الفراتية في الشرق والساحل الشمالي الغربي وسهل الغاب في الوسط وجبال قلمون شمال غربي دمشق وجبل سمعان شمال غربي حلب، وفي شكل مكثف في المدن الرئيسية حلب، حمص، اللاذقية، خصوصاً دمشق حيث مراكز بطريركيات الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك والسريان الأرثوذكس. وفي غياب إحصاءات رسمية عن الانتشار الديني للمواطنين السوريين تبقى مراكز عبادتهم مؤشراً إلى تمركزهم الجغرافي: معلولة، صيدنايا، وغيرها. وتعج مدن دمشق وحلب وطرطوس وصافيتا بأماكن عبادة مسيحية ومزارات تستجلب سياحاً وزواراً. (المصدر: بطرس لبكي، ورقة مشهد مختصر للمسيحيين في سورية والأردن، السبت 16 أيار 2009).

خلال حرب سورية، استند الذين يريدون قيام نظام إسلامي في سورية إلى نتائج ما حصل عام 2011 في تونس ومصر وليبيا وإلى حقيقة أنّ جبهات المعارضة السورية الرئيسية لم تُعلن مطلقاً أنّها مع العلمانية ولم تقدّم برنامج عمل لقيام دولة رعاية مدنية.

ورغم أنّ البعض انتشى في لبنان متوقعاً أن يفرّ مسيحيو سورية إلى لبنان كما فعلوا منذ القرن الثامن عشر فيزيدون الحجم الديمغرافي لمسيحيي فيه، إلا أنّ أزمة سورية ما لم تُسفر عن نصر مبين للقوى المدنية مرشحة لأن تحوّل سورية إلى نظام أخواني وتكفيري يمتد فوراً إلى الساحة اللبنانية - المستنفِرة والمنقسِمة على نفسها دوماً.

وحتى بدون فوزها في حرب سورية، فقد عاثت الجماعات التكفيرية قتلاً وتخريباً في سورية ودمّرت الكنائس وقتلت وهجّرت المسيحيين وخطفت رجال الدين المسيحيين، ووصلت إلى شرق لبنان وقصفت قرى لبنانية ودخلتها وقامت بتفجيرات في مدن لبنانية وفي ضاحية بيروت الجنوبية.

والعكس صحيح كما حصل عام 1860 عندما امتدت مجازر جبل لبنان إلى دمشق فدفع مسيحيو الشام الثمن.

وكما حصل عام 1975 عندما تشابكت أحداث لبنان وسورية فدخل الجيش السوري لبنان لمدّة 32 عاماً.

في تلك الأثناء ظهرت محاولات عدّة لتقليص ساحة النقاش حول تفاعلات الربيع العربي على سورية ولبنان، حيث برز في 2011 و2012 مَن يريد أن يُبعد موضوع الأقليات التي بلغ مجموعها 17 أقلية دينية و5 أقليات عرقية في كلا البلدين، عن أدوات البحث، لفهم ما يجري في البلدين (مثلاً صدرت اتهامات أنّ من يرفض حكم الأخوان في سورية فهو يؤيد الحكم العلوي أو أنّه يفضّل نظام حكم توافقي يكون فيه للمسيحيين حصّة كما في لبنان).

ولكن فيما تنشغل معظم الدول الديمقراطية العالم بمعالجة مسائل الأقليات داخل حدودها وتصرف الجهد والمال، يعمل أنصار قيام دولة إخوانية على إغفال هذا الموضوع وطمسه (أي ممنوع التكلّم عنه) لأنّ ذلك الحديث لا يصب في غايات الربيع العربي وينبش موضوع الأقليات.

ولذلك كان مطلوباً صرف النظر عن المشاعر الأقلوية، التي اعتبرها مَن يدعم نظام حكم إسلامي في سورية يمثّل أغلبية دينية فيها، نوعاً من العمالة.

رغم أن مشاعر الأقلية المسيحية هي مدنية أولاً وتعكس رغبة المسيحي في أن يعيش حياةً هادئة ويمارس الديانة المسيحية أو لا يمارسها فهو حر، وخوفه من الذميّة حقيقي، وعلاقته بالغرب ثقافياً وتاريخياً واغترابياً هو راهن.

أمام طموح الجماعات السياسية التي تلبس عباءة الدين، فالحاجة في لبنان وسورية هي إلى نظام توافقي حديث يحفظ تمثيل الأقليات.

وهذه الحاجة ضرورية إلى يوم يتمكّن فيه اللبنانيون والسوريون كمجتمع - لا كقيادات - الوصول إلى درجة من المدنية والوعي والزواج المختلط والثقافة والتربية تمكنّهم من تأسيس نظام علماني ديمقراطي حقيقي يذيب الشعور الذاتي لصالح مواطنة جامعة.

فلا يحق لأكثرية مسلمة في المشرق أن تقول لشقيقاتها الأقل عدداً أن تصمت (كحال السنّة في سورية تجاه الأقليات المسيحية والعلوية والدرزية والإسماعيلية والأرمنية، وحال المسلمين في لبنان تجاه المسيحيين، وحال المسلمين في مصر تجاه الأقباط).

وإلا فهذه الأغلبية الدينية إنّما تطمح إلى الاستيلاء على السلطة والثروة (أو هي فاعلة هذا) ولا تنوي الشراكة والمحبة.

ولذلك فالنخبة المسلمة مدعوة لإثبات ديمقراطيتها ومدنيتها وتوافق على ميثاق مدني يبني دولة عصرية لا تفرّق بين المواطنين، لا أن تسعى إلى دستور إسلامي وتهيمن على مفاتيح الحكم بشريعة إسلامية.

ولا يمكن دفن الرأس في التراب وعدم رؤية الحقيقة الواضحة أنّ الحرب على سورية منذ 2011 هي صراع إقليمي دولي لا علاقة لها بالدمقرطة.

وأنّ من يدفع الثمن أخيراً هو الشعب السوري والاقتصاد السوري.

فيتذوّق السوريون ما خبره اللبنانيون بأنّ الحرب تعني أن يخرج الإنسان من بيته، ويتهجّر في بلده ويموت ويتعرّض للأذيّة والإهانة جسدياً ومعنوياً، ويصبح سلعة للمساومة بين الدول، ويتدّمر اقتصاده وتصبح مدنه قاعاً صفصفاً.

ولذلك فالحرب المجنونة في سورية والتي بدأت بثورة كاذبة تدّعي إسقاط النظام هي مرفوضة من أساسها.

إذ ليس ثمّة أي ضوابط على مستقبل سورية في حال تغيّر النظام (أكان عبر غزو خارجي سافر أو مفاجآت تقلب مقاييس القوى على الأرض)، قد يشبه تحوّلاً إلى نظام محاصصة سياسي مشابه للبنان.

ذلك أنّ فلتان أي انتخابات في سورية ما بعد الحرب سيكرّر ما حصل في العراق من فدرلة وحرب داخلية دائمة وتفكك عرقي ومذهبي.

وفلتان الانتخابات سيحرّرها من ضوابط مانعة تفرضها عادة الدولة السيّدة على الترشّح الطائفي والعرقي.

وحتى لو خرجت لوائح سنيّة معتدلة من الطبقة الوسطى وجهر أشخاصها بالليبرالية ولوائح أخرى يدعمها إسلاميون.

ويؤدّي هذا الوضع إلى فوز هذه اللوائح بسبب الأغلبية العددية للسنّة في سورية ضد لوائح تدعمها الأقليات العلويّة والمسيحية والدرزية مجتمعة، حتى لو قدّمت هذه الأقليات نفسها في إطار وطني علماني جامع أو ضمن أحزاب قومية أو يسارية.

وهذا ما حصل في لبنان عند كل موسم انتخابي وأدّى إلى فشل الأحزاب العلمانية والمدنية العابرة للطوائف في الحصول على مقاعد بعد سبعين عاماً من استقلال لبنان.

ولهذا فإنّ الأقليات المذهبية في سورية وتلك المنتمية إلى الطبقات الجديدة توجّس من مستقبل مختلف غير مأمون العواقب، وتدعم الدولة المركزية ضد التكفيريين وتخاف من انزلاق مستعجل نحو انتخابات ودستور فدرالي وتغيير عشوائي غير مضمون.

لقد استطاعت سورية وقف المدّ الأصولي في الثمانينات، ولكن النعرة الدينية بقيت ناراً تحت الرماد.

وخوف الأقليات الدينية في سورية ليس من صعود أفراد الطبقة الوسطى من سنّة المدن إلى السلطة وخاصة إذا كان هؤلاء ينادون بنظام غربي ديمقراطي.

بل خاف المسيحيون والدروز والعلويون والمثقفون المسلمون والعلمانيون من تيارات التطرّف الديني.

ذلك أنّ التيارات الدينية تستغل أنّ السنّة المعتدلين يفتقرون إلى خلفية عقائدية علمانية، وأنّ آراء السنة المعتدلين تقتصر كرجال أعمال على شعارات ليبرالية عامة.

وهذا ما يسهّل للأصوليين بدفعهم جانباً، وهؤلاء يتراجعون ذعراً من تيار التشدّد ومن أجواء التديّن التي تحدّد إذا كان المرء مسلماً صالحاً أم لا.

ولذلك خافت الأقليات من تصاعد حركات أصوليّة سنية تحوّل سورية إلى نظام يشبه إيران والسعودية.

وثمة مخاطر أن يؤدّي التغيير المذهبي السريع إلى عنف حيث توقّع مراقبون سوريون أنّ أي انتخابات حرّة بدون ضمانات مسبقة تخلق مواجهة بين القوى المدنية – حزبية وغيرها - والإسلاميين في سورية.

في السنوات السابقة كان السؤال في سورية هو: ماذا سيحدث إذا سقط النظام؟ ماذا سيحصل للمثقفين السوريين وللأقليات الدينية الكبيرة نسبيّاً وللنساء الساعيات إلى التحرّر من مستقبل مظلم في حال حكم التطرّف؟ وهل سيؤدي سقوط النظام وحكم التكفيريين إلى تأزم دول المشرق الأخرى كلبنان والأردن والعراق[1].

(1) قدر عدد المسيحيين في الأردن بحوالى 220 ألف نسمة أي 4 في المئة من إجمالي السكان، يتوزعون كالآتي: روم أرثوذكس 120 ألفاً، روم كاثوليك 33 ألفاً، لاتين 50 ألفاً، بروتستانت 7 آلاف، أرمن أرثوذكس 5 آلاف، سريان أرثوذكس 3500، أقباط 1300، سريان كاثوليك 600. كانت أغلبية مسيحيي الأردن على المذهب الأرثوذكسي، ولكن منذ مطلع القرن العشرين دخلت مدارس وإرساليات كنائس أخرى ككنيسة الروم الكاثوليك الآتين من دمشق وحيفا وكنيسة اللاتين الآتين من بطريركيتهم في القدس وكنائس بروتستانتية آتية غالباً من فلسطين. فاعتنق قسم من الأرثوذكس مذاهب مسيحية أخرى. كما استقر في الأردن مع انفراط السلطنة العثمانية بضعة الآف من المسيحيين المنتمين إلى طوائف السريان والأرمن والأقباط. وسنة 1948 و1967 استوطن في الأردن موارنة من فلسطين. وإضافة إلى عمان، يسكن المسيحيون في عدد من المدن كأربد والزرقا ومادبا والسلط وغيرها من البلدات والقرى، حيث لهم كنائسهم وأديرتهم وأبرشياتهم ومدارسهم (المصدر: بطرس لبكي، ورقة مشهد مختصر للمسيحيين في سورية والأردن، السبت 16 أيار 2009).

ثالثاً، مسيحيو العراق

حال مسيحيي العراق هو الأسوأ بين كل مسيحيي المشرق، لقد عاشوا في بلاد الرافديين إلى أن جاء الاحتلال الأميركي عام 2003 فهدّد وجودهم.

إذ أنّ ما جرى في بغداد والموصل ومناطق أخرى منذ الاحتلال الأميركي عام 2003 من تفجيرات واغتيالات وعمليات اغتصاب النساء وحرق كنائس – وهو وضع شهد أيضاً صعود تنظيم داعش الإرهابي ويستمرّ إلى اليوم - بعث الخوف في صدور ملايين المواطنين.

خصوصاً أنّ العراق بعد الغزو الأميركي بات مشرّع الأبواب للتنظيمات الإسلامية المتطرّفة الساعية إلى تفريغه من جماعاته الدينية القديمة التي ساهمت في بناء حضارة علمية وفلسفية.

فمسيحيو العراق كانوا هنا منذ ألفي عام وشاركوا المسلمين منذ القرن الثامن في الميادين الاجتماعية والفكرية، والثقافية والاقتصادية والدينية لعدّة قرون، وتعرّضوا ويتعرّضون للضغط المتواصل لدفعهم إلى الهجرة[1].

مسيحيو العراق هم بأغلبيتهم أحفاد الامبراطوريات القديمة الأشورية والكلدانية، حافظوا على وجودهم المهم في بلاد ما بين النهرين منذ القرن الأول الميلادي وحتى الغزو الأميركي عام 2003.

ولكن خلال عشر سنوات تحت الاحتلال الأميركي انخفض عددهم إلى النصف - من 1.2 مليون نسمة إلى أقل من 600 ألفاً ثم إلى 400 ألفاً. حيث هرب مئات الألوف من مسيحيي العراق إلى سورية ولبنان والمغتربات البعيدة.

ثم أثناء الحرب السورية ومجازر الدواعش انخفض مجدداً عدد مسيحيي العراق وذاقوا الويلات.

ثمّة علامات استفهام كبرى حول مستقبل العراق المرتبط بالطوائف والأعراق وعلاقتها بالمشرق.

---

(1) سهيل قاشا، مسيحيو العراق، دار الوراق، 2009.

فماذا عن العلاقات بين العرب السنّة والعرب الشيعة في العراق، بين العرب والأكراد، بين المسلمين والمسيحيين، بين أكراد العراق وأكراد سورية، بين سنّة العراق وسنّة سورية؟ وما هو مصير الأقليات المسيحية وغير الإسلامية؟ وماذا عن دور إيران في العراق ودور تركيا واعتداءاتها المتواصلة على شمال العراق، وماذا عن مساعدة السعودية ودول الخليج لجماعات أصولية مسلّحة داخل العراق؟ وماذا عن المنحى الطائفي البغيض الذي أخذته السياسة المحلية في بغداد بين القوى السياسية الطائفية من حكام العراق؟

شابَ سنوات مقاومة الاحتلال الأميركي وتحرير العراق انعدام استقرار واندلاع شبه حرب أهلية قاتلة بين العراقيين صبغها الانتماء الطائفي وخاصة بين الشيعة والسنة.

وبقي الخلاف الداخلي مستعراً حتى بعد خروج الجيش الأميركي في نهاية 2011.

ورغم خطوات عديدة اكتملت نحو بناء النظام الديمقراطي، فإنّ تقارير منظمة الشفافية الدولية وصفت دولة العراق الجديدة بأنّها الأكثر فساداً من بين دول العالم وأنّ نظامها يشوبه العيوب ويراوح بين ديمقراطية غير سليمة ونظام سلطوي ليس أفضل من نظام البعث السابق.

كما أقرّت مراكز بحثية أنّ الاحتلال الأميركي للعراق لم يسهم في بناء الديمقراطية ولم يوقف الفساد.

وأنّ عراق ما بعد البعث لم يكن نموذجاً في الديمقراطية، بل رافق العمليات السياسية أجواء عنف وصدام طائفي أبطالها جماعات متطرّفة، بعضها يريد إقامة دولة إسلامية وأخرى تريد استعادة السلطة ليس للبعث السابق بل للعرب السنّة بدعم سعودي.

في حين استمّرت حال عدم الاستقرار والفساد بعد الانسحاب الأميركي، حتى اعتبر تقرير الدول الفاشلة العراق الدولة السابعة الأكثر اهتزازاً ولا استقراراً في العالم، وبالنسبة للجوار الإقليمي فثمّة أربعة مخاطر على كيان العراق:

من مفارقات الغزو والاحتلال الأميركي للعراق أنّ معظم العوائق التي منعت إيران الإسلامية من فرض نفوذها على العراق قد زالت وأصبح موقع طهران داخل العراق هام جدّاً على الصعيد الرسمي والشعبي بعدما ثبّت الدستور الجديد والعمليات الانتخابية حجم الشيعة ودورهم في الجمهورية الثانية.

واصلت السعودية والخليج دعم جماعات من العرب السنّة وبعضها كان مسلّحاً ما شكّل ضغطاً متواصلاً على الحكومة العراقية عند كل منعطف بتفجيرات قاتلة وأعمال عنف وقتل وخطف.

وصولاً إلى صعود تنظيم داعش وسيطرته على مناطق شاسعة من أراضي العراق لعدة سنوات.

وفي الشمال حيث إقليم كردستان العراق، واصلت تركيا شن الغارات وارتكاب تجاوزات واقتحامات داخل العراق.

أمّا في سورية على الجانب الشرقي فإنّ ضعف الدولة المركزية في دمشق سمح لمجموعات مسلّحة أتت من العراق وخاصة من تنظيم القاعدة أن تتسلّل للتخريب في سورية.

فصارت سورية في وضع مشابه للعراق، حيث تعرّض لتفجيرات يومية وتهديد متواصل من الدول العربية المحافظة.

والحلّ في العراق هو في دولة علمانية ديمقراطية مع توجّهات سياسة اجتماعية توزّع الضمانات الصحية والاجتماعية والتربوية على المواطنين، دولة رعاية ومؤسسات the new welfare state، دولة مبنية على أساس مدني حديث ومواطنيه فوق الانتماءات الجزئية فلا يعود العراقي مجرّد رقم مسلم أو مسيحيّ أو شيعيّ أو سنيّ أو عربيّ أو كرديّ أو أشوريّ أو أي من الأقليات العرقية والدينية الأخرى.

بل مواطن يتساوى في الحقوق والواجبات أمام دولة قانون ومؤسسات توزّع السلطات الدستورية من تنفيذية وتشريعية وقضائية.

فتكون دولة للجميع يجد كل عراقي فيها هويّته وانتماءه إلى الوطن العراقي وليس إلى العرق أو الطائفة.

رابعاً، مسيحيو مصر

مصر هي جزء من المشرق العربي الأوسع جغرافياً من المشرق، وفوق ذلك هي قلب العالم العربي ديمغرافياً وحضارياً والبلد الذي يضم العدد الأكبر من المسيحيين عربياً.

ولكن رغم أنّ عدد مسيحيي مصر فاق الملايين، فإنّ دورهم السياسي والاقتصادي هامشي مقارنة بدورهم في لبنان.

كما أنّ عدد المسيحيين في مصر أخذ يتراجع خلال العقدين السابقين من 11 مليون إلى أقل من 8 مليون نسمة.

مثّل الأقباط دوماً عشرة بالمئة من سكان مصر وهم جزء أساسي من الشعب المصري فمنهم اشتقّ اسم البلاد في اللغات الأجنبية[1]، وحافظوا على اللغة المصرية القديمة في شعائرهم وتعود جذورهم في بر مصر إلى زمن الفراعنة حيث تنصّروا قبل سبعمائة سنة من الفتح الإسلامي.

لم يكن ثمّة أدنى شك أنّ تسلّم الإسلاميين الحكم في القاهرة بعد ثورة يناير عام 2011 قد أدّى إلى مغادرة للأقباط بأعداد كبيرة وأنّ المغادرة كانت ستتسارع وتفوق وتيرة عامي 2011 و2012 لو بقيت السلطة بأيدي الأخوان بعد 2013.

ففي أقل من سنة واحدة بعد نجاح ما سمي بـثورة 25 يناير في بداية 2011 غادر مصر 200 ألف مواطن قبطي هرباً من أجواء القمع والاضطهاد والقتل الذي تصاعد وتضاعف ضد الأقباط.

وكان من المفترض أن تؤدي ثورة الربيع العربي إلى المزيد من الدمقرطة وحقوق المواطن والدولة المدنية.

وإذ كان متوقعاً في السنوات التي سبقت ثورة 25 يناير ركوب الأخوان المسلمين نظام الحكم في مصر، كان مفاجئاً صعود السفليين المنضوين في حزب النور، وهم جماعة متشدّدة تبالغ في تطرفها الديني، حصلت على نسبة عالية من الأصوات في انتخابات 2012 و2013.

ولم يمكن للأخوان المسلمين أو لأي سلطة حاكمة في مصر أن تُهمل وجود السلفيين ونفوذهم في الشارع وداخل البرلمان.

وهذه الجماعة المتطرفة لم تخفِ ألوانها كما فعل أخوان سورية ومصر (ادعاءاتهم بقبول المشاركة والدولة المدنية) بل أعلنت عام 2011 أنّها ضد أعياد المسيحيين وضد صناعة

(1) Copt, Gypt, Egypt, Gipsy also.

السياحة في بلد يعتمد اقتصاده على السياحة بشكل رئيسي وأنّها ستقيم شرطة المطوّعين للنهي عن المنكر (الخمر، السياحة، اللباس، إلخ).

وأنّها ضد التراث الفرعوني الكافر الذي جروء على حكم أرض النيل قبل الفتح الإسلامي وترك آثاراً تدعو إلى الشِرك وعبادة الأوثان.

والأسوأ بنظر السفليين في التراث المصري هي الأهرامات وتماثيل ملوك الفراعنة المحرّمة إسلامياً لأنّها قبور تمثّل شخوصاً وهو فن محرّم في الإسلام بنظرهم.

لقد حاول مسؤول في حزب النور طمأنة الرأي العام أنّ جماعته لن تنسف الآثارات كما فعل الطالبان في أفغانستان بل ستختمها بالشمع الأحمر حتى لا يزورها أحد وتبقى حاضرة في المجتمع.

أمّا عن سعيهم لحظر السياحة الأجنبية، فقد استبدلوه مرحلياً بكلام عن فرض زي محتشم على السائحات في الجيزة والأقصر (تغطية الرأس والأيدي والأرجل ومنع البنطلون).

ولقد وقعت محاولات مقلقة لحرق المتحف المصري القريب من ميدان التحرير.

كما حرق متطرفون إسلاميون معهد القاهرة الذي أسّسه نابليون بونابرت وكان يضم 200 ألف وثيقة أثرية كثير منها وثائق فلسلفية وأدبية إسلامية لا يمكن تعويضها.

في حين توقف عدد كبير من الفنادق المصرية عن بث محطات عديدة غربية للنزلاء على شاشات التلفزيون يمكن أن تقدّم أفلاماً أو برامج غير لائقة واستبدلتها بمحطات إسلامية فضائية.

والأسوأ أنّ محاولات الأقباط رفع أصواتهم في الشارع واجهته السلطات العسكرية بالدبابات والرصاص.

وساهمت وسائل الإعلام المصرية بالتحريض ضد تظاهرات الأقباط بتوجيه دعوات متكرّرة للمشاهدين للنزول إلى الشارع ودعم قوى الأمن التي كانت تطلق الرصاص الحي على المتظاهرين الأقباط.

وساهم مع الأسف في التحريض ضد الأقباط مذيعون ومذيعات كانوا إلى وقتٍ مضى يلهجون بثقافة ليبرالية واكتسبوا شهرة في واسعة.

ويمكن للمراقب أن يتوقّع كيف سيكون الوضع في ظل مجلس شعب وحكومة في مصر يسيطر عليهما الإسلاميون وماذا يتضمّن الدستور الذي لن يمرّ قبل أن توافق عليه الأغلبية الأصولية في البرلمان.

إنّ ما حدث في مصر ليس ثورة كما كانت حركة 23 يوليو 1952 ثورة، فقد سقط الرأس وهو حسني مبارك وبقي النظام الفاسد بكامل هيكليته في السياسة والاقتصاد والمواقع المدنية والدينية وفي الإدارة العامة والجيش، واحتلّ الإسلاميون المواقع الحسّاسة في هذا النظام نفسه.

في 3 تموز يوليو 2013 أطاح عبدالفتاح السيسي القائد الأعلى للقوات المسلحة بحكم الأخوان وأزاح الرئيس محمد مرسي الذي دخل السجن وحوكم بتهم التعامل مع قطر وإفشاء أسرار أمن الدولة.

وتوفي عام 2019، أمّا السيسي فقد تم انتخابه رئيساً لمصر في العام 2014 لمدّة اربع سنوات والتجديد له لفترة ثانية عام 2018.

خامساً، أهمية تونس

رغم أنّ تونس تقع في المغرب العربي وليس فيها أقلية مسيحية أصيلة، إلا أنّها دولة مؤثّرة في مستقبل مسيحيي المشرق تقدّم امتحاناً لما يجب أن تكون عليه الدول العربية ذات الأغلبية المسلمة.

فهي من أكثر البلدان العربية خصباً لتجربة الحداثة والتنوير، والمثقفون التوانسة هم زملاء لمثقفي المشرق العربي مسيحيين أو مسلمين.

ولذلك كانت محاولة إعادة تونس إلى عصر الظلمات عام 2011 ستنعكس سلباً على حركة التحرّر التمديني العربي.

لم يشهد أي بلد عربي وحتى لبنان تقدّماً اجتماعياً كما شهدت تونس، حيث المرأة سافرة برغبتها وحيث تعدّد الزيجات ممنوع منذ الخمسينات والجيش لا يتعاطى في السياسة بشكل صارم، وموزانة التربية والتعليم والصحة في تونس هي أضعاف نفقات الدفاع والأمن والمخابرات.

لقد كان همّ نظام الحكم في تونس منذ 1956 هو التمسّك بالسلطة وليس مراقبة الناس وثقافتها.

فتوازن تسلّط الحكم مع سعي الدولة إلى رفع مستوى المعشية وخلق ظروف انتعاش طبقة وسطى تونسية وطنية مثقفة كادت تختفي في لبنان.

لقد تحمّس العالم العربي بعفوية للحراك الشعبي في تونس الذي انطلق في تشرين الأول 2010، على أمل أنّه سيصب في مسيرة التحرّر والديمقراطية والحداثة.

ففي 14 كانون الثاني 2011، خرج الرئيس زين العابدين بن علي من تونس وهذا بحد ذاته كان إنجازاً مهمّاً.

ولكن بعد مرور عام أصبحت تونس في وضع هو الأسوأ منذ نيلها الاستقلال عن فرنسا بقيادة الرئيس الحبيب بورقيبة عام 1956.

وترحّم بعض التوانسة ليس على بن علي وعائلته وحاشيته الفاسدة التي نهبت الشعب التونسي على مدى عقود، بل على المكتسبات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي حققوها وتمتّعوا بها ثم رأوها تزول وتتهدّد شهراً بعد شهر أمام أعينهم.

قبل 2011 كانت تونس الدولة العربية الأكثر حداثة ومدنية وعلمانية – من إعلام حرفي وحقوق المرأة وسينما ومسرح وفنون وحياة اجتماعية متحرّرة واقتصاد مزدهر، الخ.

وأنّها البلد الذي بقي قلعة الليبرالية في حين استطاع الإسلام الأصولي منذ السبعينات زعزعة كل الدول العربية (حتى لبنان).

صحيح أنّ انتفاضة تونس كانت عفوية ولكن الصحيح أيضاً أنّ القوى الإسلامية التونسية التي كان دورها هامشياً في أسابيع الانتفاضة الأولى، ركبت موجتها وخطفتها ولم تكن قائدتها أو ملهمتها، بل وجّهتها لخدمة أهداف هذه القوى.

التوانسة الذي شاركوا في الانتفاضة بكوا تضيحاتهم لأنّها نجمت عن ظهور وضع أسوأ بكثير من الذي سبقه، لا علاقة له بأي ديمقراطية موعودة أو بربيع مزهر.

إذ خلال شهور بعد خروج زين بن علي، سيطر الإسلاميون على تونس عبر الإهانات وإذلال الناس على مستوى الشارع والحي والمدرسة ومكان العمل وضد النساء وأصحاب الرأي المختلف من شباب ومثقفين.

لطالما اعتبر الإسلاميون تونس قبل 2011 على أنّها أسوأ نموذج للذين يسيرون على نمط الحياة الغربية التي تتسرب إلى المجتمع العربي ومعها فساد خلقي مستورد برأيهم من أوروبا.

فحارب الإسلاميون نظام الحكم من منطلق ديني وكان أول عمل للحكومة الانتقالية هو إطلاق القادة الإسلاميين من السجون واستقبال المنفيين.

فعمل هؤلاء على فرض حصار سلفي على بيئتهم الاجتماعية المباشرة (حتى لو خرج راشد الغنوشي زعيم حركة النهضة الإسلامية بعباءة المدنية)، وخرجت منهم فرق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تطوف الشوارع وتراقب الناس وتؤذيهم وتشجّع على الالتحاق بصفوف الإسلاميين، وتأمر النساء بالحجاب واللباس المحتشم وتلقي قنابل حارقة على منازل معيّنة وتسيّر تظاهرات تنشد أنّ تونس الآن هي دولة إسلامية.

لقد قمع الحكّام الجدد الفنون والكتب والمهرجانات وأقفلوا الحانات، وعندما رفع الحكم الإسلامي الحظر عن الإنترنت بيّنت الأرقام أنّ الصفحات الأكثر مشاهدة كانت تلك التي تعرض أفلام البورنو وليس التي تنشر نصوصاً عن الديمقراطية أو النشرات الإخبارية.

إذ لم يكن الشعب التونسي يعيش لحظة ثورية، ثم عملت السلطات على وقف القراءات الأدبية الأجنبية في المدارس وأوقفت الدعم عن دور النشر، وانخفض مبيع الكتب على أنواعها لترتفع كتب الإسلاميات.

ولم تمض فترة من الزمن حتى بدأ مئات التوانسة يظهرون في سورية ضمن التنظيمات التكفيرية المتشددة، حتى وصل عدد من انضم إلى هذه التنظيمات خلال عشر سنوات الآلاف جاؤوا سورية عبر تركيا وبتسهيلات من تركيا.

صوّرت الفضائيات ووسائل الإعلام الغربي نظام تونس السابق وكأنّه قمعي دموي وصوّرت الانتفاضة الشعبية وكأنّها صرخة حرية وديمقراطية.

وهذه النمطية الكاذبة هي الجرعة التي أرادها المشاهد الغربي والتي استمرّت بعد تونس في أسلوب تغطية ميدان التحرير في مصر وسقوط حسني مبارك.

ورفض الإعلام نفسه تحليل الطابع الإسلامي لهذه الانتفاضات، فمنع التطرّق إلى الجوانب المظلمة من الصعود الإسلامي، ولم يعط شرحاً مثلاً للصلاة المليونية التي احتفلت بالنصر في ميدان التحرير في القاهرة يؤمّها الداعية المتزّمت يوسف القرضاوي في شباط 2011.

أو معنى أن يكون المرشد الروحي للثورة الإيرانية علي خامنئي أوّل من هنّأ الثورات العربية لأنّها تُكمل ما بدأته ثورة إيران الإسلامية.

مستقبل مسيحيي المشرق

كان صوت المسيحيين قوياً في المشرق، ولكن كان هذا في الماضي إذ أدّت الهجرة وانحسار الدور السياسي والاقتصادي إلى تراجع هذا الصوت.

وقد أشرنا إلى انحدار عددهم في كل البلدان باستثناء لبنان حيث بقي الوجود المسيحي فيه كبير نسبيّاً وبات الواحة شبه الأخيرة التي يمكن أن يستمرّ فيها عيش مشترك مع المسلمين جنباً إلى جنب مع نفوذ سياسي للمسيحيين.

لقد دفع المسيحيون الثمن الكبير من أجل الحريّة والديمقراطية، فهُم (كما رأى المؤرخ جان بيار فالوغن) عملوا من أجل الوصول إلى مجتمع حديث لكي يعيشوا كأقليات في بيئة إسلامية.

فكان عليهم أن ينكروا ذاتهم ويتخلّوا عن خصوصيتهم الدينية، ويقبلوا مقولة المثقّف إنّ خصوصية الجماعة هي مسألة رجعية[1].

ولكنهم بعد 70 سنة من استقلال الدول العربية لم يصلوا إلى الدولة المدنية بعد، ولم تخرج فئة مسلمة مثقّفة تقدر على خلق نظام مدني علماني ديمقراطي للجميع.

وفي غياب ذلك النظام المثالي، لم تقدّم الأنظمة العربية تسهيلات ولو مؤقتة ليعيش المسيحيون بكرامة في بلاد ديمقراطية.

(1) Valognes, Vie et Mort des Chrétiens d'Orient, p. 223.

ويتساءل المرء: أمّام الصحوة الاسلامية ناشطة ومتحفزّة في العالمين العربي والاسلامي منذ خمسين عاماً.

فأين صوت المثقفين المتنورين العرب وما هو وزن البارزين من المسيحيين في أزمة لبنان حيث لا يزال للمسيحيين ثقل سياسي واقتصادي، وفي أزمة سورية الراهنة وهي بلد كان عدد المسيحيين فيه ضعفي عددهم في لبنان؟ ولكن ماذا كانت الأقليّة المسيحية في لبنان فاعلة عندما اتجّه مسلمون لبنان نحو التشدّد في ممارسة الدين بما فيه التفاصيل الاجتماعية منذ ثمانينات القرن العشرين؟

وماذا كان مسيحيو المشرق فاعلين وهم أقلية أمام مذهبة الصراع داخل الإسلام ودفعه إلى امتدادات سنية-شيعية بين إيران والخليج والسعودية؟

هل كان باستطاعة المسيحيين أن يمنعوا المنحى المذهبي لدى المسلمين أو يطلبوا منهم ذلك باسم الديمقراطية وحقوق الإنسان؟

وتأسيساً على هذه التجربة، ماذا سينفع المسيحيين في سورية والعراق لو رموا بثقلهم في الأحداث التي يجرّها القطار الإسلامي في المنطقة دون ضمانات الوصول إلى دولة مدنية ديمقراطية؟ لقد سبق وحرّض الغرب الأوروبي الأرمن المسيحيين للانتفاض ضد تركيا أثناء الحرب العالمية الأولى.

فوقعت المجازر بحقهم وبحق السريان ولم يحرك الغرب ساكناً لمساعدتهم.

في ظل التحوّلات الديمغرافي والاقليمية المستمرة وفي غياب الدولة العلمانية الديمقراطية، ليس مستغرباً أن يؤدي الوضع إلى انحسار للمسيحيين إلى أقل من 5 بالمئة في المشرق وإلى ما دون 20 بالمئة من سكان لبنان.

ولا يوجد أي ضمانات، قياساً إلى الماضي القريب والبعيد، أنّ تضغط الطوائف في لبنان نحو ميثاق جديد يعكس الديمغرافيا فيصير بدل رئيس ماروني ضعيف، مطالبة برئيس جمهورية مسلم ورئيس حكومة مسلم.

فتكون ساعتئذ قد اكتملت مسألة إفراغ المشرق العربي من النفوذ المسيحي المهم وبات لبنان شبيهاً بسورية ومصر، حيث التواجد المسيحي بدون نفوذ أو سلطة ذات قيمة.

لكن هذه الاستنتاجات على مأسويتها والتي تبني على معطيات سابقة، ليست قدراً محتوماً بل يمكن أن تلغي عوامل سياسية وثقافية واقتصادية توقعات الديمغرافيا، فيعود ويتعزّز الدور المسيحي.

ويلي ذلك صعود جديد في أرقام المسيحيين في المشرق وازدهار وجودهم، ولذلك على الفعاليات والنخب المسيحية وقياداتهم السياسية أن تلتقي مع المسلمين المتنوّرين على خطة طوارئ لإحياء الدور المسيحي في لبنان، ليس كما كان في السابق بل من منطلقات متنورة.

وثمّة أكثر من سبب للتفاؤل، فلقد تأكّد الزعماءُ المسلمون بأنّ دول المشرق مهدّدة بالزوال ويغرق في تصارع بين المسلمين أنفسهم بدون مسيحييه.

وفيما يلي لائحة بالملفات التي يجب إعدادها لإحياء الدور الفعّال لمسيحيي المشرق ومستقبلهم:

أولاً، الحوار الداخلي: إنّ حروب المشرق وأزماته وحلقات العنف فيه أثبتت أنّ لا بديل عن الحوار، فلم يكن ممكناً حلّ الأمور عبر فوهة المدفع، وليس أسوأ من حكومة سيئة فاسدة سوى ميليشيات أمر واقع بحكمها الدكتاتوري، فغابت المؤسسات الدستورية وبقي الأمر لي لسان حال قادة الميليشيات.

وهذا عانى منه أهل المشرق وباتوا توّاقين إلى دولة عصرية حديثة، والحوار المقصود هنا هو الذي يحصل بحسن نية، إذ لا يخلو الأمر من حوار مزيّف حيث لا يكون هدف المشاركين الوصول إلى اتفاق بمقدار ما يكون تسجيل مواقف أو حفظ ماء الوجه والظهور بمظهر الساعي إلى حل، دون النية بذلك.

ومن البديهي أنّ تسجيل المواقف يعني التصادم وتعويم الشقاق واشتداد الخلاف، وبالتالي إلى كلام تصعيدي عبر أثير الإذاعات والتلفزة مع شتائم وانخفاض مريع لسلّم التخاطب الحضاري.

وكل هذا يحصل تحت شعار المطالبة بحقوق هذه الطائفة أو تلك أو بتحسين الموقع في التركيبة العراقية أو اللبنانية من محاصصة وغنائم بين الزعماء.

وهذا النمط من الحوار طغى على كل أسلوب عداه، مع إصرار الجميع على الديمقراطية، مع أنّ الديمقراطية تطلب أولاً الحد الأدنى من إرادة العيش معاً في بلد واحد ومجتمع واحد على حد قول أرنست رنان[1]، وهذا المبدأ يتضمّن الشروط التالية:

المحافظة على الوطن تعني أنّ الحوار المتواصل أمر لا بد منه، على أن يؤدي إلى تنازلات وحلول وسطية من الجميع.

ففي مجتمع متعددي لا يحصل طرف على كل طلباته، التفاهم على ضرورة المحافظة على السيادة والاستقلال وعدم اللجوء إلى حماية ودعم قوى خارجية لطموحات داخلية.

ضرورة الإبقاء على جيش شرعي وطني قوي وموّحد، إذ كما تبيّن من حروب لبنان والعراق أنّ أولى مظاهر تفتّت الدول التعددية هي تعطيل الجيش وتهميش دوره.

لأنّ مهمة الدفاع عن المجتمع متى تجزّأ إلى كانتونات وغاب الجيش الوطني تصبح من صلاحية الميليشيات فيستبيح الخارج حدود البلد بحجّة مساعدة هذا أو ذاك أو فرض الأمن بتكليف دولي.

التفاهم على لغةِ تخاطبٍ سياسيّةٍ أخلاقية، إذ من المعقول جدّاً أن يُساء استعمال التعابير والمفردات في مجتمع تعدّدي لتعني أشياء مختلفة وبالتالي أن تؤدي إلى مزيد من سوء التفاهم وتعميق الخلاف وربما إلى العنف.

وكل هذا يحتاج إلى بيئة إقليمية هادئة خاصة بين المشرقيين أنفسهم، فلا يتهوّر أحدهم بسبب صراعه مع شقيقه في مغامرات تكون نتيجتها مزيداً من المآسي.

التفاهم بين الأفرقاء على مبادىء السياسة الخارجية حتى لا يتم مزج المصالح الطائفية الضيقة بمصالح دول خارجية بعيداً عن مصلحة البلد العليا.

التركيز على منهاج تربوي في المدارس والجامعات يفتح أبناء الطوائف على بعضهم البعض ويتعرّفوا إلى عادات بعضهم وتاريخهم وديانتهم، الخ.، ما يسهّل التوافق على دولة مدنية، فمن السهل جداً في مجتمع متعددي خلق جزر تربوية ما يؤدي إلى حرب ثقافية وعقلية عدائية تجاه الآخر.

(1) Carole Dagher, Bring Down the Walls, vouloir vivre en commun, p. 5.

وفي الحال، فإنّ المطلوب من الحوار مزج الديمقراطية بالأفكار النيّرة من الفلسفة إلى الديانات السماوية ليصبح مثمراً يعالج قضايا مشتركة لكل المشرقيين،كمسائل الوضع الاقتصادي والمعيشي وحقوق الإنسان والحريّات العامة، ووضع أسس لقيم حضارية مشتركة وللمشاركة السياسية الصحيحة.

وثمّة مجموعة من القواسم المشتركة تجمع بين مثقفين من طوائف عدّة كاللقاء على العلمانية والحقوق المدنية وفصل السلطات والديمقراطية.

فيكون الحوار صادقاً إذا تجاوز الطوائف والخطاب الطائفي ووصل إلى تفاصيل مجتمع ديمقراطي علماني حيث يصبح المرء متحرّراً فعلاً من قيود طائفته وسلطة رجال الدين، التي لا تتزحزح، على حياته من الولادة إلى الوفاة[1]

ثانياً، إلغاء الطائفية: ما يثير اهتمام الزائر أو المراقب الخارجي للمشرق اليوم هو طغيان المذهبي على المدني في الحياة العامة في لبنان وسورية والعراق.

فوسائل الإعلام وخاصة المرئي منها تغطي المناسبات الدينية بكثافة، وهي عديدة وأصبحت من كثرتها شبه يومية، تخصّص لها ساعات البث المباشر على محطات التلفزة الرئيسية، سواء مراسم عاشوراء لشيعة العراق أم نشاطات الكنيسة المارونية في لبنان.

والمواطن في الشارع في بلدان المشرق بات لا يستكين قبل أن يعرف اسمك ومذهبك بحجة أنّه يريد كيف يتعامل معك.

ولا يخلو الشأن السياسي أبداً من طقوس التشدد العنصري، فيما المواعظ التي يلقيها رجال الدين تكاد تكون سياسية بالكامل.

ولا يتوقـّف الأمر على مواعظ وخطبات يومي الجمعة والأحد، إذ أنّ تصريحات رجال الدين ولقاءاتهم تحتل مساحة مميّزة من الصحف والتلفزة طيلة أيام الأسبوع.

فيما تتقدّم أخبار نشاطاتهم اليومية النشرات الإخبارية التلفزيونية، وتقام مقابلات مطوّلة مع رجال الدين.

(1) نواف سلام، خيارات لبنان، بيروت، دار النهار للنشر، 2004.

ويتجاوز نفوذ رجال الدين السياسة والسلطة الدينية إلى لعب دور سلطة رقابية على ما يقرأه أو يشاهده الناس.

وهذه بدعة لم تشهدها هذه البلدان سابقاً، حيث يُمنع عرض فيلم لا يعجب رجال دين هذه الطائفة أو تلك، وتُوقف أغنية أو كتاب أو قصيدة أو مسرحية أو فيلم[1] بإيذان من هذه السلطة الدينية أو تلك، وتنفّذ أجهزة الأمن إشارة المنع من السلطة الدينية.

وفوق هذا، فإنّ رجال الدين يلعبون دوراً سلبياً في أي حوار أو نقاش حول مستقبل العراق ولبنان.

ففي العراق يمكن أن تتعطّل الحكومة ويقفل البرلمان إذا رغب في ذلك رجال الدين، وفي لبنان، يمكن أن تقاطع المعارضة رئاسة الحكومة أو رئاسة الجمهورية ويتأزم البلد ويتدخّل البطريرك والمفتي.

عندما حاول رئيس الجمهورية إلياس الهرواي تطبيق مشروع قانون الزواج المدني الاختياري عام 1998، خرجت الحشود إلى الشارع تحارب هذا المشروع بتحريض من رجال الدين.

يرى رجال الدين أنّ أي تحوّل عن الستاتيكو الطائفي المؤسس في العراق ولبنان على أنّه مسّ بجوهر النظام السياسي يهدّد امتيازات الطوائف الكبرى، وخاصة بين السنّة والشيعة.

لقد تضاءل نفوذ الأحزاب العلمانية كالبعث في سورية والعراق والسوري القومي والشيوعي في لبنان، وأصبحت الأحزاب الرئيسية في البلدين قناعاً لجماعات طائفية لا تستحي من استعمال عبارة مكوّن وكأنّ÷ مجتمع منفصل عن باقي الوطن.

ولم يعد مهمّاً أن يحمل ابن الطائفة بطاقة ليكون في حزب، أي حزب، إذ في وقت الخطر يصبح الجميع جنوداً وجماهيرياً في آتون الطائفة، مسيحية أم سنية أم شيعية أم درزية.

نفهم مما سبق أنّه يجب إلغاء الطائفية، وأنّ هذا الإلغاء هو هدف وطني أساسي وركن من أركان وحدة الدولة واستقرار النظام.

(1) من القضايا التي أثيرت حول حريّة التعبير أغنية مارسيل غانم من شعر محمود درويش، كتاب شعر لعبدو وازن، وفيلم الكرتون برسبوليس.

ما يشكّل الإطار الصحيح لتحديث الدولة ووقف الكلام عن فدرالية الطوائف إلى رحاب مواطنية واعية.

فإلغاء الطائفية في دول المشرق كان وما زال ويجب أن يبقى معركة المسيحيين الكبرى.

ولكن إلغاء الطائفية فقط في النظام بدون مجتمع مدني مثقّف يقبل بالتشريعات المدنية والعلمانية يعني ضرباً في المجهول، ومجازفة غير مأمونة للمسيحيّين المشرقيين.

شغلت مشكلة الطائفية مثقفي المسيحيين بصورة خاصة حتى كان بينهم دعاة للعلمانية أو على الأقل التوصّل إلى اتفاق يحفظ حقوق الطوائف.

وتراوحت مواقف المسيحيين بين مطالب بالعلمنة على النمط الغربي أو منغلق انعزالي إلى حد المناداة بالتقسيم وبدويلات طائفية خاصة في لبنان.

لقد سبق وحاولت فرنسا تطبيق فكرة الدويلات الطائفية في بلاد الشام عام 1920 (دولة للدروز ودولة للموارنة ودول للعلويين) تدفع المسلمين السنّة إلى دولة داخلية نواتها دمشق وحلب.

ولكن فرنسا اصطدمت بمعارضة الشعب في سورية وبثورة كبرى عام 1925، كما أنّ الدولة التي ولدت في لبنان لم تقتصر على الموارنة.

بل ما حصل كان محاصصة للمراكز السياسية حسب وزن الطوائف الديمغرافي، أمّا في سورية والعراق فلقد اتجهت الدولة إلى نظام سياسي يستند إلى خليط من العلمانية والقومية العربية مع احترام الديانات، فكانت الأقليات مرتاحة لحكم البعث في سورية والعراق في حين كانت المعارضة الرئيسية هي الأخوان المسلمين السنّة في سورية، والأحزاب الشيعية في العراق.

وتجربة سورية والعراق نحو إلغاء الطائفية مقارنة بلبنان كان نتيجة التأثير العميق الذي أحدثه مفكّرون مسيحيّون كأنطون سعادة مؤسس الحزب السوري القومي وميشال عفلق مؤسس حزب البعث.

هاجم البعض فصل الدين عن الدولة بأنّه خطوة نحو علمنة كافرة، ولكن ما هو البديل وما هي الضمانات للأقليّة المسيحية والأقليّات الصغرى في ظل هيمنة طوائف إسلامية كبرى ونوايا المسلمين نحو مستقبل مجهول؟

ثالثاً، دولة الرعاية المدنيّة: لقد شكى المسلمون من امتيازات الموارنة في لبنان وشكى الشيعة من هيمنة السنّة تحت قناع حزب البعث في العراق وشكى السنة من هيمنة العلويين تحت قناع حزب العبث في سورية.

ومهما تكن صحة الشكوى في البلدان الثلاثة، ففي لبنان اعتبر الموارنة الامتيازات الدستورية هي ضمانات للأقلية المسيحية أمام نزعة مسلمي لبنان الوحدوية مع سورية وأنّ لا شيء يضمن وحدة وبقاء لبنان سوى استمرار حضور المسيحيين في سلطته السياسية، وفي سورية والعراق نفى حزب البعث الحاكم أي خلفية طائفية لسياسته.

ثم أصبح لبنان منذ 1976 كونفدرالياً بقوّة الديمغرافيا إن لم يكن هكذا في نصّ دستوري، وأصبح العراق فدرالياً بسبب دستور حاكم الاحتلال الأميركي بول بريمر عام 2005 الذي أعطى أكراد الشمال إقليماً ذاتياً، وأصبحت سورية عملياً فدرالية بسبب الحرب حيث برزت خاصة منطقة يسيطر عليها أكراد سورية في الشمال الشرقي.

ولكن الأمل بقي أن تكون الآثار التقسيمية في سورية والعراق ولبنان مؤقتة حتى تولد دولة الرعاية المدنية وهي الخيار الأكثر فائدة للمواطنين جميعهم ولمسيحيي المشرقي.

والمجتمع المشرقي ليس طائفياً حتى العظم، بل هو مثل سائر المجتمعات في العالم يستجيب لظروف اجتماعية وتاريخية معيّنة وباستطاعته أن ينحو نحو المجتمع المدني العلماني.

رابعاً، الدولة التعددية multiculturalism: أمام المسيحيين فرصة للحوار حول تطبيق قانون تعددية يعكس التنوّع الاجتماعي ضمن وحدة وطنية ولا يلغي مفهوم المواطنية الجامعة، وهو حوار ضروري للمسلمين أيضاً.

لقد انتقد البابا يوحنا بولس الثاني تفسير بعض الموارنة لكلمة تعدّدية في سعيهم إلى تعميق الهوة مع المسلم والابتعاد عنه ما رآه الفاتيكان قوقعة غير صحيّة.

وهذا التفسير لبعض الموارنة شعر به المسلمون وأصبح موضوعاً خلافياً كلمّا أثار مسيحيون مسألة التعددية للدلالة على مقدار تميّزهم عن الآخر (المسلم) الذي لا يمكن أن يتعايشوا معه.

ولذلك فقد سقطت كلمة تعدّدية multiculturalism من الإرشاد الرسولي عام 1997 واعتُمدت كلمة تنوّع diversity.

وفرّق البابا بين بلد تعددي حيث ثقافات تتميّز ليس فقط باختلاف دياناتها بل بمساهمات عميقة لحضاراتها المنوّعة التي ظهرت على أرضها منذ فجر التاريخ.

وهذا ما لم يراه البابا في الواقع اللبناني، ذلك أنّ الاختلاف في الدين وحده لا يكفي للادعاء بوجود ثقافات مختلفة بين اللبنانيين وأنّ انتشار المسيحيين في كل بلدان وثقافات العالم لا يجعلهم مختلفين عن الشعوب التي ظهروا في وسطها، ولم يختلفوا حول انتمائهم للبلد ولا في اللغة ولا في التقاليد.

بل ترى المسيحيين في كل بلد من بلدان العالم مندمجون في الثقافة المحلية، يرتدون نفس الملابس التي يرتديها مواطنوهم من ديانات أخرى، يأكلون نفس الطعام، ويعيشون نفس الحياة اليومية، رغم أنّهم يتبعون حياة مسيحية منظِّمة لشؤونهم[1].

فالمسيحي الصيني أو الكوري لم يكن أقل صينية وكورية من مواطنيه الذين على ديانات البوذية والكونفوشية.

موقف البابا حول نظرة بعض الموارنة المتطرّفة إلى موضوع التعدّدية، التي تصل حدّ الابتعاد والعزلة عن الآخر، أسرّ الروم الأرثوذكس الذين لم يتوقّعوا أن يصل الأمر بالبابا إلى درجة دعوة الموارنة إلى العروبة.

كما أسّرت دعواتُ البابا حول التضامن مع قضايا العالم العربي المسلمين، ورغم أنّ الموارنة قد علموا بموقف البابا حول ضرورة الانسجام مع بيئتهم العربية، فقد صدمهم ما قاله وما جاء في إرشاداته بسبب وضوحه حول الانفتاح.

لقد شرح المطران بشارة الراعي عام 1995: أنّ مسيحيي لبنان يوافقون تماماً مع الفاتيكان حول ضرورة التواصل والانسجام مع بيئتهم العربية والإسلامية.

ولكنّهم لا يوافقون على المضمون والأسلوب للوصول إلى هذا الهدف[2]. وأضاف الراعي: لا يجب بعد اليوم أن نتكلّم عن مسيحيي لبنان وكأنّـهم كيان منفصل عن المسلمين.

(1) Carole Dagher, Bring Down the Walls, p. 194.

(2) Carole Dagher, *Bring Down the Walls*, p. 194.

كلاهما يجتمعان على مصير مشترك، المسيحيون والمسلمون في لبنان ما زالوا شركاء متساويين، وهذه فرصة ليس فقط للمسيحيين بل للمسلمين لأن الوجود المسيحي في لبنان هو مسؤولية إسلامية أيضاً[1]، وقد أصبح الراعي بطريركاً عام 2011.

من ناحية أخرى فإنّ طروحات التعدّدية لاقت صعوبة في تقبلّها لدى المثقفين الذين اعتبروها دعاوى غربية لتفريق وتمزيق دول المشرق إلى أقليات وأعراق وطوائف.

فيرى جورج قرم مثلاً أنّ منطق الأقليات نجده في الإعلام الغربي منذ مدّة طويلة، ويتمحور حول قضية الأقليات المضطهدة وتأمين حقّها في تأكيد خصوصيتها الدينية أو العرقية أو اللغوية بالنسبة للأغلبية.

وهو منطق يدخل في تناقض مع النظريات القومية الديمقراطية التي تدعو إلى جعل الأوطان قوميات متجانسة يطبّق فيها القانون على الجميع مهما وُجدت من خصوصيات في بعض المجموعات الفرعية داخل الوطن[2] وبعض الكتّاب متأثر بالنموذج الفرنسي للعلمنة وبمركزيّة الدولة.

ولكن فرنسا اليوم باتت مختلفة جدّاً عن الماضي، إذ أنها اعترفت عام 2002 بستة ثقافات فرعية غير الثقافة الفرنسية في هذه المناطق: الألزاس - لورين (القريبة من الثقافة الألمانية) وبريتاني (ثقافة كلتية) ودوفرن والفلندر (ثقافة بلجيكية).

وتعترف فرنسا اليوم أنّ علمانيتها المفرطة قد فرّطت بحقوق الأقليات الدينية (كالمسلمين واليهود والمسيحيين من غير الكاثوليك) والعرقية كعرب شمال أفريقيا والسود، الذين باتوا يشكّلون أكثر من 12 بالمئة من سكان البلاد، وصعود العنصرية البشعة من الفرنسيين البيض، المثقفين ثقافة عالية طبعاً، باسم العلمانية وباسم وحدة الشعب الفرنسي التي يريدونها كأسنان المشط.

والصحيح أنّ التعدّدية أصبحت في القرن الحادي والعشرين صنواً وداعماً للديمقراطية، التي يجب أن تعترف بحقوق الأفراد دون أن تغفل حقوق الأقليات خاصة إذا تعرّضت هذه لعنصرية مُنظَمّة.

---

(1) مقابلة مع المطران بشارة الراعي، تلفزيون المستقبل، 2 آذار 1995.

(2) جورج قرم، مدخل إلى لبنان واللبنانيين تليه اقتراحات في الإصلاح، بيروت، دار الجديد، 1996، ص 33.

خامساً، الحل الفدرالي في كل دولة: بدأت طروحات الفدرلة في العراق منذ الستينيات مع صعود الحراك الكردي في شمال البلاد، وفي لبنان منتصف السبعينيات من القرن العشرين[1]، ويعتقد البعض أنّ الفدرالية بالمطلق هي نظام سياسي.

وفي الحقيقة الفدرالية هي عدّة أنواع وتأتي بأشكال عديدة من دولة مركزية فدرالية قويّة كألمانيا، إلى اتحادات كونفدرالية بصلاحيات وسلطات واسعة للمحافظات أو الولايات، كسويسرا وكندا.

إلى فدرالية المكسيك التي لا هي مركزية كألمانيا ولا ضعيفة كسويسرا، والدول الفدرالية في العالم تعدّ بالعشرات ولكن ما يعرف عنها هو قليل، كالبرازيل والمكسيك وروسيا والهند وأوستراليا والصين.

والفدرالية هي فكرة انتشرت في المنطقة العربية حيث كثر الكلام عن فدرلة العراق والسودان، وهما بلدان عربيّان يتشابهان مع لبنان وسورية بتعدّد الأقليات الدينية والإثنية.

إلى أن ضغط الاحتلال الأميركي لإيجاد دستور عراقي فدرالي سمح للأقلية الكردية إعلان نوع من الحكم الذاتي وكأنّها دولة منفصلة.

كما وصل الضغط على السودان إلى تفتيته حتى انقسم إلى دولتين عام 2011.

وليست فكرة الفدرالية غريبة عن المشرق العربي فقد دعى مفكّرون لبنانيون وسوريون في نهاية القرن التاسع عشر إلى دولة فدرالية عثمانية يتساوى فيها العرب والأتراك، تعترف بحق الأقليات الأرمنية والكردية والإغريقية وغيرها، وحاولت فرنسا فرض دولة فدرالية على بلاد الشام باسم الاتحاد السوري.

يعتبر وضّاح شرارة أنّ مقولة لبنان ككونفدرالية طوائف قد أصبحت واقعاً حتى في أوساط المسلمين، الذين كان العمل السياسي بالنسبة إليهم إما السعي إلى علمانية غربية (قبل 1976) أو عودة إلى السلفية الإسلامية وولاية الفقيه (بعد 1979).

وفي الوقت عينه، لم تحد القوات اللبنانية حتى اليوم عن عقيدة الفدرلة منذ 1976، في حين حافظت الزعامات التقليدية السنيّة وبعض المارونية على ميثاق 1943 واتفاق الطائف 1989.

(1) جرّب لبنان نوع من الفدرلة في نظام القائمقاميتين في القرن التاسع عشر ولم تنجح.

ولكن جورج قرم لا يرى الفدرالية قدراً لا يردّ، بل يراها نتيجة العمل بمنطق حقوق الطائفة في اقتسام السلطة وإدارة البلاد وهو يؤدّي حتماً إلى صيغة شبه فدرالية.

أي أنّ البلاد لا تسير من تلقاء ذاتها نحو الفدرلة، وكثيراً ما يوصف النظام السياسي اللبناني بأنّه فدرالية طوائف، ولكن هذا الواقع شبه الفدرالي مشّوه للغاية حسب معايير الفدرالية نفسها، ذلك أنّ المكوّن الأساسي للفدرالية هو مساهمة المنتمين إلى الوحدات الأساسية التي منها تتكوّن الدولة المركزية مساهمة فعّالة وملموسة في تسيير شؤون الوحدات تلك[1].

كما أنّ الدول الفدرالية كسويسرا وكندا تعتمد الديمقراطية البرلمانية ما يسمح للمواطنين ببناء في كل وحدة بالتطوّر والارتقاء.

أمّا كونفدراليات الطوائف اللبنانية فهي شبه دكتاتوريات يديرها زعماء ورجال دين حيث لا اعتبار للفرد.

ويقول جورج قرم: شهدنا خلال الحرب اللبنانية ميل لدى بعض الطوائف اللبنانية، وبشكل خاص الموارنة والدروز والشيعة، إلى إقامة دويلات بكيان شبه دولي مع تصرّف كلّ زعيم طائفة كرئيس دولة داخليّاً وإقليميّاً ودوليّاً[2].

لقد تعممت ظاهرة الكانتونات في لبنان في زمن الحرب فبات للشيعة في ضاحية بيروت الجنوبية والجنوب والبقاع كانتوناً وللدروز في الجبل كانتوناً، في حين أصبحت مدناً ذا أغلبية سنيّة كصيدا وطرابلس كانتونات أمر واقع، إضافة إلى الكانتون المسيحي شمال وشرق بيروت.

التحدّي الكبير فتذويب الكانتونات هو تحقيق العدالة الاجتماعية لكل المواطنين والمساواة وإنصاف الطوائف كجماعات وأفراد.

إذ ما ان يسود مبدأ الكفاءة والمنافسة على مستوى الأفراد، يختّل الميزان الدقيق بين الطوائف على مستوى الجماعات، ليس فقط في مناصب الدولة والوظائف العامة بل على الصعيد الاقتصادي أيضاً وفي القطاع الخاص.

(1) جورج قرم، مدخل إلى لبنان واللبنانيين تليه اقتراحات في الإصلاح، بيروت، دار الجديد، 1996، ص 131.
(2) جورج قرم، **مدخل إلى لبنان واللبنانيين تليه اقتراحات في الإصلاح**، بيروت، دار الجديد، 1996، ص 53.

ذلك أنّ الدولة تملك حيّزاً ضيّقاً فقط لتحقيق التوازن والباقي حسب همّة ومجهود وتعصّب كل طائفة في بناء مكونّاتها وعناصر قوّتها، وخاصة في الشؤون التربوية والخدماتية.

فتصبح الدولة طرفاً ضعيفاً لا يقدر أن يفرض سياسته لمصلحة الجميع ولكنّه يوفّر المشاركة للأقليات كجماعات، وليس دولة قوّية تُهمل الطوائف كجماعات في سعيها إلى توفير العدالة والمساواة للمواطنين كأفراد.

سادساً، التصالح مع الماضي: لقد وقعت حروب في كيانات المشرق احتاجت إلى تفاهم وتسامح لرأب الصدع بين المواطنين.

ففي لبنان عام 1991، أقرّ البرلمان العفو العام لتسهيل العودة إلى العيش المشترك، بعدما تحقّق انتشار الجيش في سائر المناطق.

وتمّ هذا العفو بدون مراجعة موضوعية للممارسات والجرائم والانتهاكات السافرة التي ارتكبها أمراء الحرب بحق الشعب اللبناني.

إذ كان من الأفضل لتدعيم سيكولوجية المجتمع إصدار ملف أسود عن الحرب اللبنانية قبل أن يصدر عفو عام.

فبدون دراسة موضوعية لجرائم الحرب جاء صدور العفو أشبه برسالة مبطّنة إلى الميليشيات أنّ ممارسات الحرب كانت مقبولة وأنّ إمكان تكرارها لا غبار عليه.

وكذلك أقرّ دستور بريمر في العراق نتيجة تشبه العفو العام في لبنان وهي منح الأكراد في الشمال حكماً ذاتياً وإفساح المجال لأحزاب الشيعة في الصعود السياسي.

وقد حاول مؤتمر أستانة حول سورية تقديم مشروع دستور يخلق مكونات عرقية وطائفية.

لم تتعلّم كيانات المشرق من تجارب دول أخرى مرّت بأزمات وحروب، كجنوب أفريقيا، التي شكّلت لجنة الحقيقة للتعامل مع ذكرى الماضي المؤلم.

بل اختار لبنان تناول سُمّ النسيان وأصدر قانوناً للعفو عن كل مآسي الحرب وجرائمها، ولم يتعلّم المجتمع اللبناني من حروبه السابقة، ذلك أنّ السلم الأهلي لم يتحقق فعلاً.

فحتى العام 2022 كانت الطوائف لا تزال تشعر بالخوف من بعضها البعض، في حين لم تتوقّف التدخلات الخارجية محوّلة لبنان إلى ساحة نزاع إقليمي ودولي.

ويقول البروفسور أحمد بيضون كيف يمكن لبذرة الحرب أن تنمو لو لم تجد تربة خصبة؟.

هل يحق للبنانيين فعلاً أن ينفوا المسؤولية وينسوا أسباب الحرب التي خاضوها خمسة عشر سنة؟ وهل بإمكان الجراح العميقة أن تبرأ بدون مراجعة الضمير وتنظيفه؟ وماذا يمنع إذن أن يعودوا إلى المواجهة ويستدرجوا العروض الخارجية لكي يحاربوا بعضهم البعض من جديد؟ وهل هم مخلصون وصادقون عندما يلتقون للحوار؟ وإلى ماذا يؤدي حوار خالٍ من التصارح والمكاشفة والاعتراف المتبادل بأخطاء الماضي؟ كل هذه هي محظورات الحوار التي تنكأ جراح الماضي وتذكّر بالمحاسبة التي لم تحصل.

لقد دعى السينودس المسيحي شعب لبنان وحكّامه أن يختاروا طريق المسامحة وتطهير الذاكرة والضمير.

ولكن لبنان سلك طريق النسيان بشكل سلبي فأصدرت الحكومة قانون العفو العام عن الحرب بدون التحقيق في المجازر والجرائم التي ارتكبت وتحديد المسؤولين، فيما دخل زعماء المليشيات وأمراء الحرب في الدولة وأصبحوا هم الحكام الجدد.

قالوا أنّ نقاهة لبنان تتطلّب عدم فتح الملفات حتى لا تتجدد الحرب، ولكن المطلوب حقّاً هو إبقاء الذاكرة حيّة وموثّقة.

وهذه الذاكرة هي وحدها تفتح الطريق كي لا تتكرّر الحرب، ومن المفترض أن يدخل لبنان في حوار وطني طويل ولجنة تقصّي معلومات قبل صدور قانون عفو.

ثمّة من رأى في الإصدار المستعجل للعفو العام طريقة لإنجاز السلم الأهلي لأنّ الاستقصاء وجمع المعلومات عن الحرب ربما كان سينكأ الجراح ويثير الكراهية وأصابع الاتهام ويحدث الانشقاق الأهلي مجدّداً، فيصبح موضوع الوفاق الوطني أهم من العدل.

وقانون العفو كان سيفاً ذو حدّين لأنّه أعفى عن قتلة ومجرمي حرب، وقضية بينوشيه في التشيلي تذكّر العالم بأهميّة المساءلة والمحاسبة قبل العفو.

وكمبوديا واجهت هذه المسألة أيضاً عندما رفض الأمير سيهانوك توقيع قانون عفو عن زعماء الخمير الحمر السابقين الذين جعلوا من شعب تلك البلاد تلالاً من الجماجم.

كما أنّ إصدار قانون العفو مسبقاً منع أي محاولات البحث عن أسباب الحرب ومَن ارتكب ماذا لأنّ هذا النوع من التقصّي والبحث سُيعتبر كفتح ملفّ أغلقه القانون.

ويعتبر نموذج جنوب أفريقيا حلاً وسطاً بين العفو الاعتباطي بدون مساءلة، كما حصل في لبنان، وبين إعدام مجرمي الحرب وعملاء النازية كما حصل في فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية.

فقد تشكّلت مفوضية الحقيقة والمصالحة بعد سقوط نظام التمييز العنصري في جنوب أفريقيا، وأصدرت بعد فترة تقريراً من 3500 صفحة.

وخاف الجميع أنّ التقرير سيوقظ حتماً المشاعر الصعبة والمؤلمة لدى الضحايا وأُسَرهم، ولكن رئيس مفوضية الحقيقة والمصالحة رئيس أساقفة جنوب أفريقيا دزموند توتو كتب في المقدمة أنّ من طبيعة الحقيقة أنها تجرح وأنّها أحياناً تفرّق.

ولكن الصحيح أنّ المصالحة الصحيحة لا يمكن أن تُبنى إلا على الحقيقة، والمصالحة الحقيقية ليست سهلة ولا تأتي بثمن قليل وليس من الضروري أن تكون مريحة للجميع.

أما المصالحة المبنيّة على الكذب والخداع وعلى عدم مواجهة الواقع فهي ليست مصالحة حقيقية على الإطلاق، وكتب توتو في مذكراته أنّ لا مستقبل لجنوب أفريقيا بدون تسامح.

سابعاً، الحفاظ على الوجود المسيحي: اختفاء مسيحيي المشرق هو تطبيق عملي لنبؤة صراع الحضارات السطحية، وهي القضاء على الشريك المسيحي في نهضة العرب منذ منتصف القرن التاسع عشر والجسر العميق في علاقات العرب مع أوروبا وأميركا.

مصلحة المسيحيين في التعقّل والمنطق في الموضوع السوري والحفاظ على استقرار لبنان وضبط حماس الطوائف الإسلامية، وسط احتمال أن تغرق سورية بالفوضى أو بالحرب الطائفية أو بالتقسيم العرقي والمذهبي الذي قد يمتدّ إلى لبنان والعراق وتتحقّق كوابيس حرب إقليمية وربما عالمية.

ومن بين الدول العربية، بقي لبنان وسورية حتى كتابة هذه السطور نموذجين صالحين لانتعاش تجربة الديمقراطية التعدّدية.

وهذا يحتاج إلى نهاية الحرب في سورية وأن يلي الحرب تحوّل ديمقراطي هادىء، فيعود المسار الإصلاحي والديمقراطي الذي بدأ عام 2000 بهدوء بعيداً عن العنف والتدخّل الخارجي والتمويل والتحريض.

وأن تنتهي أزمة لبنان الطويلة وأن يلي الأزمة استنباط حلول جديدة للديمقراطية اللبنانية لتزدهر مجدّداً.

مسيحيو الشرق، هم همزة وصل بين الشرق والغرب وبين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، ولا يريدون أن يُفرض عليهم الإسلام ديناً أو سياسة ولا أن يجعلهم الغرب أذناباً وعملاء.

منذ الخمسينيات من القرن العشرين والوجود المسيحي في المشرق مهدّد بالذبول وحتى بالانقراض، وقد انقرض فعلاً في بعض البلدان.

إنّ معدلات الولادات المتدنيّة، مربوطة بهجرة متفاقمة في أوساط المسيحيين إلى أوروبا والأميركتين وأوستراليا وهجرة الأدمغة، تؤشر إلى احتمال الامحاء التام للوجود المسيحي في المشرق بحلول العام 2050. في حين مَن بقي من مسيحيي لبنان وسورية والعراق والأردن وفلسطين من جماعات وكنائس وقيادات ومثقفين مصاب بقلق كبير على المستقبل.

وكل هذا يعني حكماً أنّ المسيحيين، مع استمرار تضاؤل وجودهم، باتوا أقليات لا شأن لها، يتآكل نفوذهم ويُدفعون إلى هامش السلطة السياسية وتتضاءل مساهمتهم في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وتكاد خصوصيتهم كجماعة دينية مهددة وحقهم في التميّز والاختلاف موضع تساؤل، وتعبيرهم الثقافي والفني إلى العرب والعالم يُنتقد، ونمط عيشهم ولباسهم موضع تحدّ.

ثامناً، قبول المسيحيين بعروبة ديمقراطية: إنّ زوال المسيحيين في لبنان والمشرق هو خسارة ليس فقط للعالم العربي بل للعالم أجمع.

ذلك أنّ الوجود المسيحي في المشرق هو أساس المسيحية ورمز الاستمرارية ووجه رسالة البشارة.

وغياب المسيحيين عن الأرض المقدسّة، ونعني لبنان وفلسطين وسورية والعراق، يُفقد الإسلام صورته المنفتحة على العالم ويشوّه صورة الغرب الذي يسعى إلى عداء العالم الإسلامي دون أن يكترث للوجود المسيحي في المشرق.

لقد أصبح عدد اللبنانيين المسيحيين في المغتربات – وخاصة في القارة الأميركية - أكبر بكثير من عدد المقيمين في لبنان وخاصة من أبناء الكنائس المارونية والكاثوليكية.

كما بيّنت التطورات الإقليمية والجيوسياسية منذ العام 1900 حتى اليوم أنّ الأمر ليس على ما يرام بالنسبة للوجود المسيحي في المشرق.

وحتى 1989، لم يكن للمسيحيين المشرقيين أي وزن سياسي في المشرق الأوسع خارج لبنان، ولكن مذ ذاك التاريخ بدأ هذا الوزن يتهدّد في لبنان أيضاً.

يعتقد المطران حميد موراني أنّ العزلة التاريخية للموارنة في جبل لبنان في الماضي تُستبدل بدفع نحو العروبة ما يطرح السؤال حول احتمال استمرارية العلاقة بين الهوية المارونية والتاريخ الذي ننتمي إليه.

وهذا يحقّق نبؤة الرئيس الراحل إلياس سركيس الذي قال: العروبة قدرُنا، فالمسلم اللبناني هو عربي الانتماء حسب تقاليده وانتماءه عند الولادة، والمسيحي اللبناني يصبح عربياً وفقاً للضرورة التاريخية والاجتماعية والسياسية.

فيكون ماضي لبنان مارونياً وحاضره موضع نزاع بين آراء وأفق متعددة، ومستقبله عربي، فإذا كان قدر لبنان أن ينتهي عربياً، فالمطلوب للبنان لكي يستمر في القرن الحادي والعشرين عروبة منفتحة تسمح بالانتقاد وعروبة ديمقراطية.

فيصبح للبنان مهمّة إيجابية تجاه العالم العربي هي أن يكون عقله النقدي يقول الحقيقة للعرب من موقع قوّة منحته إيّاها تعدّديته وحريّات أبنائه.

هكذا إذاً يمكن الكلام عن مساهمة جديدة للموارنة في نهضة عربية جديدة للقرن الحادي والعشرين.

ويكون انتماؤهم للعرب حصل باقتناع وتجرّد وليس عبر اضطهاد وقدر مفروض، هذه المهمة الجديدة مستوحاة من رسالة البابا لمسيحيي لبنان[1].

المسيحيون العرب هم حاجة عربية وإسلامية، وإنّ المساهمة المسيحية الأساسية في القرن العشرين في لبنان والمشرق كانت في نشر فلسفة الدولة الحديثة القائمة على المساواة والعدل بصرف النظر عن ديانة المواطن، والنظام البرلماني وفصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية.

لقد رأى مؤرخ فرنسي (جان بيار فالوغن) أنّ المسيحيين لكي يعيشوا كأقليات في بيئة إسلامية كان عليهم أن ينكروا ذاتهم ويتخلّوا عن خصوصيتهم الدينية، واعتبار خصوصية الجماعة مسألة رجعية، من أجل الوصول إلى مجتمع حديث[2].

حتى ميشال عفلق مؤسس حزب البعث بنى مفاهيمه على مقولة أنّ العروبة هي جسد روحه الإسلام، كما أنّ الإسلام هو جزء من شخصية المسيحي المشرقي كما جاء على لسان أمين المعلوف: أنا مسيحي ولغتي الأم هي العربية وهي لغة الإسلام المقدسّة، وهذا الثنائي، مسيحيتي ولغتي العربية، يشكـّل فعلاً هويتي[3].

وهذا ما حاول شرحه مثقفون لبنانيون مسيحيون للعقل الغربي كيف أن يكون المرء عربياً ومسيحيّاً في آن، وهذا ما زال غير واضح حتى لزعامات العالم الغربي ومجهول تماماً على المستوى الشعبي في أوروبا وأميركا.

ضعفُ المسيحيين له أسباب عديدة، فثمّة دول عربية لم تقدّم تسهيلات ليعيش المسيحيون بكرامة وليمارسوا شعائرهم الدينية بحريّة ويفتحوا دور عبادة ومؤسسات خاصة أو عامة.

وبعض هذه الدول صادر مدارس وجمعيات المسيحيين أو تحوّلت هذه الدول إلى الاشتراكية العربية والتأميم في اقتصادها ونظامها السياسي، ما أفقد الأقليات المسيحية

(1) Carole Dagher, Bring Down the Walls, p. 31.

(2) Valognes, Vie et Mort des Chrétiens d'Orient, p. 223.

(3) Amin Maalouf, Les identities meurtrières, Paris, Grasset, 1998, p. 26. أمين معلوف الهويات القاتلة، دار النهار، بيروت.

قدرتها المالية والعلمية والثقافية وبعث عند بعض المسيحيين عقدة الخوف والاضطهاد التاريخي وكأنّ القرون التي مضت عادت وكأنّها فصل مستمرّ.

لقد طلب البعضُ من الموارنةَ الانفتاح على العالم العربي والانخراط في في ثقافته، وذهب الرئيس إلياس الهرواي في اتجاه معاكس بمطالبة المسلمين أيضاً الانفتاح على المسيحيين العرب في الشرق وعلى العالم المسيحي في الغرب.

ففي مؤتمر القمة الإسلامية في طهران في كانون الأول 1997، كان الهرواي العضو غير المسلم الوحيد في المنظمة الإسلامية، حيث ألقى كلمة لبنان ودعى العالم الإسلامي لينفتح ويُظهر وجه الإسلام الحقيقي وهو التسامح، وينعش دور المرأة في المجتمع ويقبل التحدّي الحضاري الذي يتجاوز الحوار العربي الأوروبي.

كان لبنان في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين وخاصة بعد 11 ايلول 2001، النموذج الوحيد الذي تسلّح به العرب لمواجهة الإعلام الغربي القاسي بحقّهم.

ها هنا دولة عربية يعيش فيها أبناء 18 طائفة مسيحية وإسلامية، وحتى داخل لبنان مثّل المسيحيون نسغ الجغرافية في عروق البلاد، فَهُم، وخاصة الموارنة، كانوا منتشرين في سائر المحافظات وفي قرى وبلدات مختلطة مع الشيعة والسنة والدروز من عكار شمالاً إلى عين إبل جنوباً.

في حين يصعب تسمية قرية يعيش فيها سنة وشيعة ودروز جنباً إلى جنب، ويصف وضّاح شرارة الانتشار المسيحي في أرجاء لبنان بأنّه يوضّح صفة لبنان كموزاييك طوائف يمثّل فيه المسيحيون الإسمنت الذي يلصق الكل.

ولكن الحياة العامة اللبنانية دارت في حلقة مفرغة من العمل الطائفي المصلحي ولم تنتقل إلى عمل جماعي إسلامي - مسيحي يهدف أولاً إلى تثقيف المجتمع العربي، والمثقّف المسلم يحتاج إلى المثقّف المسيحي لتدارك صعود الأصوليّات وفشل العرب والعالم الثالث معه في مواجهة الهيمنة والهجمة الغربية، دفاعاً عن الحداثة ومُثُل الحريّة والديمقراطية[1].

(1) محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، ص 96.

ترشيد علاقة مسيحيي المشرق مع أوروبا وأميركا

أين يقف مَن تبقّى من مسيحيي المشرق أمام الوضع الدولي في القرن الحادي والعشرين؟ لقد بات حال المسيحيين في العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين بين مطرقة غرب تقوده أميركا ويقول بأنّه مسيحي يهودي Judeo-Christian tradition، وسندان مشرق تهدّده الأصوليات الإسلامية والحركات السلفية في العراق وسورية ومصر والخليج العربي وإيران الإسلامية.

لقد أثبت الاتكال أو الرهان على الغرب فشله لأنّه كلما اشتدت الأزمات الإقليمية والدولية، دفع مسيحيّو المشرق أثماناً باهظة.

أبدت أوروبا والولايات المتحدة اهتماماً متزايداً ومريباً بشؤون الأقليات الدينية في الشرق الأوسط، فانعقدت المؤتمرات وصدرت تصريحات عامة ومُوّلت كتب ومنشورات ودراسات.

ولكن كان ثمّة شك أنّ في الاهتمام الغربي نيّة مبيتة لا تأخذ مصالح هذه الأقليات بالحسبان وتقصد ضرب وحدة المجتمعات العربية (وكأنّها أصلاً متّحدة)، فماذا يعني تسعير الغرب للمواجهة بين غرب مسيحي - يهودي وشرق مسلم أصولي وهو تسعير لا يكترث أو يعترف أنّ المسيحيين المشرقيين إنما يعيشون في وسط المسلمين منذ 1400 سنة وأنّ هذه المواجهات الكونية ليست من مصلحتهم ولا هم امتداد صليبي فرنجي؟

والبيئة التي سادت في المشرق وضعت خيارات المسيحيين الثقافية والاجتماعية تحت المجهر الإسلامي موضع نقد وتمحيص.

وعلاقاتهم التاريخية وزياراتهم إلى الغرب فهي موضع شك ورقابة، وفي هذه البيئة أي حدث سلبي سيكون وبالاً على ما تبقّى من المسيحيين.

كأن تقع مواجهة عسكرية بين أميركا وإيران مثلاً وتتحول إلى حرب في المنطقة، أو أن يحصل انتصار للتكفيريين في حرب سورية وامتداداتها في العراق ولبنان.

الوقت ما زال متوفّراً للمسيحيون لإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وأول خطوة هي التخلّي عن الرهانات الخارجية والاعتراف بأنّ تبني خطاب المواجهة بين شرق مسلم وغرب مسيحي هو مبالغة وليس مسألة حتمية، فلا يرمي المسيحيون ثقلهم مع الغرب ضد أبناء بلادهم، لأنّ

هذه المواجهة الكاذبة هي هي مرحلة عابرة والخلاف ليس حول جوهر ديانتين - المسيحية والإسلام.

والهوّة بين الشرق والغرب مليئة بالأوهام والخرافات[1] والخلاف بين غرب مسيحي وشرق إسلام ليس اقتصادياً، إذ أنّ العالم الإسلامي بأسره بات منضوٍ ومتأقلم جدّاً مع النظام الرأسمالي المعولم الذي تتزّعمه أميركا وتسير فيه أوروبا واليابان، والخلاف ليس سياسياً.

لأنّ أي خلاف سياسي يمكن أن تحسمه الحوارات والاتفاقات لو توفّرت الإرادات ولأمكن التفاوض مثلاً حول القضية الفلسطينية والهيمنة الأميركية على العراق، فموضوعا فلسطين والعراق ليسا حول الإسلام والمسيحية بل هو استعمار واستيطان كلاسيكي.

ثم لا يجوز أن يقبل مسيحيو المشرق أن تكون أوروبا الغربية هي مجسّد المسيحية في العالم وليس هم، لقد قضت أوروبا الكاثوليكية على الامبراطورية البيزنطية عبر الحروب الصليبية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ما أدّى إلى عزل مسيحيي المشرق عن التواصل مع أوروبا في قرون الاضطهاد المملوكي.

ثم تركت روسيا أرثوذكسيتها بعد الثورة البلشفية عام 1917 وأصبحت شيوعية، ومنحت أميركا البروتستانتية لنفسها المعاني السامية للمسيحية لخدمة الرأسمالية الدولية التي حوّلت حتى الأعياد إلى فرص تجارية لبابا نويل وشراء الهدايا.

اليوم إنّ عدم نجدة الغرب لمسيحيي المشرق ليصمدوا في بلادهم ويعيشوا في حال من الاستقرار، لا يعني أنّ المسيحية المشرقية لا وزن لها.

بل عليها هي أن تكون رائدة في مسيحية وطنية مميّزة بعدما زال نفوذ روسيا وبيزنطيا (اليونان) أمام المدّ الغربي الذي أصبح اسمه حضارة يهودية - مسيحية Judeo-Christian Civilization تقوده الولايات المتحدة والانغلوسكسون.

ومن ناحية أخرى، إنّ مقولة الإسلام والغرب هما في صراع حضارات هي من أخطر التهديدات على المسيحية المشرقية، تذكّر بالحروب الصليبية السيئة.

(1) جورج قرم، الشرق والغرب الشرخ الوهمي، دار الساقي،

ولذلك نعود إلى مقولة أساسية إنّ أيّ مشروع مضاد للسياسات التخريبية الغربية إنما يبدأ بحوار داخلي بين المسيحيين المشرقيين والإسلام المشرقي يستفيد منه المجتمع ويضاعف من فعاليته.

والمضحك المبكي في المشرق، أنّ الأسرة الدولية كانت تنظر إلى حرب لبنان كعلامة فارقة ومستغربة في السبعينات، حتى متى أذنت حرب لبنان على الانتهاء عام 1990، ومع انهيار الاتحاد السوفياتي، بدأت سلسلة أزمات وحروب حول العالم، وارتكبت فظاعات أشدّ سوءاً مما حدث في لبنان باسم الدين.

إنّ ثقافة المسيحيين المشرقيين هي جزء أساسي من الحضارة العربية الإسلامية وهذا لا يمنع أنّهم بتراثهم المسيحي يشتركون بالكثير من المبادىء مع الغرب الأوروبي.

مسيحيو الشرق، بموقعهم الجغرافي، هم همزة وصل بين الشرق والغرب وبين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، لا يريدون أن يفرض عليهم الأصوليون الإسلام ديناً وسياسة، ولا أن يجعلهم الغرب أذناباً وعملاء.

للمسلمين دور في تشكيل أفكار حول مهمّة عالمية جديدة للمشرق ودور المسيحيين في هذه المهمة.

ولكن ثمّة خطأً كبيراً ترتكبه مجموعات إسلامية عندما تنظر بريبة إلى مسيحيي المشرق وتتبنّى خرافة اشتراكهم مع الغرب في مؤامرة ضد الإسلام، أو أنّ المسيحيين يشكلون مخلب القط الأميركي ضد الإسلام وهم موقع متقدّم للغرب.

المسيحيون المشرقيون ليسوا كذلك، وليسوا طابوراً خامساً للاستعمار، والمسيحية ليست عقيدة مستوردة من الغرب.

ولكن الشك المسلم بالمسيحي المشرقي مستمرّ في عدّة وجوه، منها أنّ المفكرين والباحثين المسلمين لا يرون جدوى من الحوار مع المسيحيين المشرقيين وأنّ هكذا حوار يجب أن يتم مع الغرب المسيحي مباشرة لأن الغرب هو مصدر القرار حول القضايا التي تعم المشرق العربي.

فالمسيحيون المشرقيون بنظر هؤلاء مرتبطون بالمصالح الغربية التي تؤثّر على توجهاتهم، وإذا لم يكونوا مرتبطين بالغرب فهم على أي حال ضعفاء ويعانون من مشاكل كثيرة.

وبعض المسلمين يتجاهل المسيحيين المشرقيين ويقلّل من اعتبارهم شركاء لأنّهم تابعون للغرب، الخ. ويحمّل الغرب المسؤولية في تضاؤل دور الكنائس الشرقية وتهميشها، وخاصة أنّ الغرب يستغلّ الكنائس العربية في فترات العلاقات الصعبة مع العالمين العربي والإسلامي ويتظاهر بأنّه حامي الأقليات الدينية ليمارس الضغط على الدول العربية.

ولكن عندما تعود العلاقات مع الدول العربية ذات الأغلبية الإسلامية إلى ازدهارها، فإنّ الغرب يستغني عن المسيحيين ويلغي دور الكنائس العربية[1] (ثمّة نماذج عدّة لهذا الاستغناء، حول أولوية مصالح أميركا وأوروبا مع الرؤساء حافظ الأسد وبشار الأسد وصدّام حسين وحسني مبارك على قضايا الديمقراطية والأقليّات في المشرق ومصر).

من الخطأ اعتبار الغرب أنّه يمثّل المسيحية والشرق لا، وهذه مقولة محفورة للأسف في الوجدان العربي، رغم أنّ الغرب المعاصر يقدّم نفسه كمجتمع مادي علماني وليس كمجتمع مسيحي، أو على الأقل ليس كما تصوّر المسيح المجتمع المسيحي قبل ألفي عام.

ولكنّ هذا العالم الغربي هو أيضاً مرجع النظم الديمقراطية الحديثة وحقوق الإنسان، وهو مرجعٌ يمكن ترجمته مشرقياً، ولبنان نموذجاً بسبب تجربته الديمقراطية التي بلغت قرناً من الزمن.

إنّ الشك الدائم بمسحيي المشرق مصدره معاناة المسلمين من ذكرى حروب الفرنجة (الصليبية) التي مضى عليها 700 عام.

وهذه ليست فترة تاريخية فحسب، إذ رغم انتهاء الحقبة الصليبية في المشرق منذ قرون، فإنّ الصراع بين أوروبا والعالم العربي والإسلامي، مروراً بالمراحل الاستعمارية وقيام إسرائيل والاحتلال الأميركي للعراق، استمرّ بدون توقف.

إذ لا يوجد حقبة تاريخية لا تحمل عبء الإسلام والغرب، فقد قام الاستعمار الفرنسي باحتلال الجزائر عام 1830، ثمّ مدّ سيطرته إلى المغرب وتونس، وقام الاستعمار البريطاني بالسيطرة على مصر عام 1870، ثم على السودان.

(1) محمد السمّاك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، بيروت، دار النفائس، 1998، ص 101.

وهو الغرب الإمبريالي نفسه الذي قضى على الامبراطورية الإسلامية، التي مثّلتها السلطنة العثمانية، في الحرب العالمية الأولى واحتلت بريطانيا العراق وفلسطين وأجزاء من الجزيرة العربية، واحتلّت فرنسا سورية ولبنان، كما احتلت إيطاليا ليبيا.

وجاؤوا بجيوشهم يتبجّحون أنّ الحروب الصليبية انتهت بعودتهم إلى القدس، والأكيد من وجهة نظر المسلمين أنّ الحروب الغربية ضدّهم لم تنته بعد استقلالهم، بل تواصلت بأسلحة اشد فتكاً من المنجنيق البدائي الذي استعمله الفرسان الصليبيين، إلى الصواريخ العابرة للطائرات.

فأعطت فرنسا لواء الإسكندرون وكيليكيا، منطقتين سوريتين، هديّة إلى تركيا عام 1939، وأقدمت بريطانيا على منح يهود أوروبا دولة في فلسطين عام 1947، وقتلت فرنسا مليون جزائري في قمعها لثورتهم من أجل الاستقلال (1951 إلى 1962) وهاجمت فرنسا وبريطانيا وإسرائيل مصر بهدف احتلال سيناء وقناة السويس وتركيع جمال عبد الناصر، ثم جاء سلسلة من الاعتداءات الإسرائيلية والأميركية ضد العرب لم يكن آخرها غزو واحتلال للعراق.

هذه الصورة القاتمة لذكريات العرب عن الغرب تتطلّب تعاطفاً وفهماً من مسيحيي المشرق، وهي كذلك.

لم تكن المسيحية المشرقية على علاقة حسنة بالغرب الأوروبي منذ أقدم العصور، فلقد اضطهد الرومان المسيح والرسل، كما عانى مسيحيو المشرق من جور الإمبراطور البيزنطي حتى القرن السابع ومن جرائم الصليبيين لمدّة مائتي عام (1099 حتى 1291) وصولاً إلى الغزو الأميركي للعراق الذي أدّى إلى هجرة غير مسبوقة لمسيحي بلاد الرافدين.

وذكرى الصليبيين هي سيئة جداً بالنسبة للروم الأرثوذكس حيث غزت الحملة الصليبية الرابعة عام 1204 مدينة القسطنطينية معقل الأرثوذكسية الرئيسي في العالم، وارتكب الصليبيون المجازر ضد مسيحيي فلسطين.

كما أنّ مسيحيي المشرق هم مواطني الدول العربية شاركوا في نضالها في فلسطين والعراق ومصر ولبنان ودفعوا أرواحهم وممتلكاتهم في سبيل القضايا الوطنية.

يبقى أنّ كنائس المشرق أمام خيارين: (1) أن تصّر على تميّز أبنائها وتحافظ على تراثها دون أن يعني ذلك قطع العلائق مع الطوائف الأخرى والدول العربية، أو (2) أن تتخلّى عن خصوصيتها وتحتضن البيئة العربية الإسلامية بمثابة كنيسة العرب[1].

ولكن تغرّب كنائس المشرق ليس من العمق بحيث يعتبر الغرب أنّ مسيحيي المشرق قريبون منه كفاية: فلسان مسيحيي المشرق عربي وأثنيتهم مشرقية وعربية وتراثهم محلي يشتركون فيه مع المسلمين.

ونقصد هنا أنّ مقولة الولاء للغرب والتبعية للغرب التي تثار من حين لآخر حول مسيحيي المشرق غير صحيحة حتى في حال الكنيسة المارونية التابعة للفاتيكان.

الامبراطورية الأميركية جدّدت العداء بين الغرب والإسلام لتبرّر هيمنتها على العالم، وعلى الحوار الإسلامي - المسيحي أن ينتقل من محور الصراع بين شرق مسلم وغرب مسيحي إلى حوار داخلي بين كنائس مشرقية وإسلام مشرقي.

فالمسيحيون العرب ليسوا جالية أجنبية بحاجة إلى دعم من الغرب، بل هم جزء عضوي من الثقافة العربية[2].

بعد سقوط المنظومة الاشتراكية التي قادها الاتحاد السوفياتي، أصبح العالم عرضة لهيمنة القطب الواحد الذي تمثّله الولايات المتحدة.

وبدأت مرحلة اكتشاف عدو جديد (قديم) هو الإسلام، عبر حملات إعلامية وسياسية وأكاديمية لم يكن آخرها تكهنات صمويل هنتنغتون وقادة حلف الناتو، بالغت في وصف الخطر الإسلامي على السلم العالمي.

ولذلك يعلمُ المسيحيون المشرقيون أنّ الاتكال أو الرهان على الغرب أثبت فشله لأنّه كلما اشتدّت الأزمات الإقليمية والدولية، دفع مسيحيّو المشرق أثماناً باهظة.

فهل يتعلّم المسلمون منذ 2010 أنّ الرهان على الغرب وعلى الناتو لن يجلب إلا الخراب والتبعية وخسارة الثروات وعودة الاستعمار لكي تصبح سورية والعراق ولبنان قاعاً صفصفاً.

---

(1) Jean Corbin, L'Église des arabes, Paris, Éditions du Cerft, 1997.

(2) Carole Dagher, Bring Down the Walls, p. 39.

المحك في كافة الأزمات التي تعصف بالمشرق هو الزمن، إذ ليس من ضمانة إذا ضعف مسيحيو المشرق ولم يصمدوا وانتظروا الحل فيضعفون أكثر ثم يهاجرون بلادهم.

عامل الزمن هو الخطر الأكبر على مسيحيي الشرق، ففي حين يستطيع المسلمون – نظاماً أو معارضة، شيعة أم سنة، في لبنان وسورية و العراق - لغلبتهم العددية أن يستمرّوا ويبقوا في البلاد حتى بعد عقد أو عقدين وارتفع عدد الضحايا إلى مئات الألوف، فليس من ضمانة أنّ مسيحيي المشرق سيصمدون.

لا بل سيضعفون ويغادرون ليخسرهم العالم العربي، المسيحيون يريدون عروبة منفتحة تسمح بالانتقاد وتحترم الحريّات، عروبة ديمقراطية مدنية لا تقمع المرأة.

فالمساهمة المسيحية الأساسية في القرن العشرين في المشرق كانت في نشر فلسفة الدولة الحديثة القائمة على المساواة والعدل بصرف النظر عن ديانة المواطن.

والفشل في التوصّل إلى حلول دائمة في النظام السياسي المشرقي يؤدي إلى عنف يدفع تبعته مسلموه قبل مسيحيوه.

المسيحيون في العراق بعد عشرين عاما من الاحتلال الأميركي

د. سعد سلوم

وصل وجود المسيحيين لمرحلة مفصلية حرجة في سياق استهداف تنظيم داعش للتنوع في محافظة نينوى 2014، وارتكاب مجازر تطهير عرقي وإبادة جماعية ضد أفراد الأقليات، وفي ظل نزوح مئات الآلاف من المسيحيين والأيزيديين وأقليات أخرى مثل الشبك والتركمان إلى إقليم كردستان وإلى وسط وجنوب العراق، فيما تتصاعد وتيرة الهجرة خارج البلاد على نحو يهدد مستقبل الوجود المسيحي بشكل فعلي، وعلى نحو يومي.

لكن تسونامي داعش لم يكن سوى الحلقة الأخيرة في استهداف المسيحيين والأقليات الدينية في بلاد ما بين النهرين، فقد كان من شأن الغزو الأميركي للبلاد عام 2003 أن يفتح بوابات الجحيم مع تصاعد مستويات العنف ضد المسيحيين وبقية الأقليات بناء على مسوغات مختلفة.

ويمكن اختصار تأثير الغزو الأميركي في لحظة تأسيسية للأنقسام، تمثلت مؤسسيا في إطلاق نظام مكوناتي يحمل بذور فنائه فيه، إذ ظل هذه النظام منذ لحظة تأسيسه في نموذج (مجلس الحكم العراقي) بقرار من سلطة الائتلاف الموحدة يعاني من خلل بنيوي منتج للأزمات، لقد كان تصميم هذا النظام أقوى تأثيرا من أسلحة الدمار الشامل، ومن حروب الدولة الداخلية والخارجية، وأنتج -برأيي- تأثيرا موازيا للتطهير العرقي وإفناء التنوع.

ويمكن قياس هذا التأثير في متوالية عددية يتكرر فيها العنف كل أربع سنوات، أي مع كل دور انتخابية جديدة وتفاوض على تقاسم السلطة بين الجماعات الأكبر (الكرد، السنة، الشيعة).

ويتضح ذلك على نحو لا لبس فيه خلال دورات العنف المتجددة على التوالي في: 2006 بعد تفجير ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري في سامراء في العراق، و عام 2010 في مجزرة سيدة النجاة، عندما اقتحم مسلحون كنيسة سيدة النجاة للسريان الكاثوليك بالكرادة في بغداد أثناء أداء القداس وعام 2014 في غزو داعش وجرائمها التي استهدفت الحجر والبشر.

كانت لحظة التأسيس لهذا الانقسام بعد صدمة الغزو والإحتلال في عام 2003، إذ تم تأسيس ظام مكوناتي بلور هندسة فوقية للانقسام من أعلى، كانت استجابتها المباشرة تفكيك النسيج الاجتماعي عبر حدث صادم ثان أعقب الحدث الصادم الأول (صدمة الاحتلال)، إذ جاءت تفجيرات سامراء 2006 مطلقة جنون الصدام الشيعي - السني، ودقت إسفيناً داخل الهوية الإسلامية العربية الواحدة، منذ الآن لم تعد هناك هوية عربية، بل مجرد شيعة وسنة يتقاتلون منذ قرون ويستدعون من التاريخ أشباحا وقصصاً وأساطير، وبدأ ذلك يشكل هوية الصراع الرئيس خلال السنوات التالية.

وأخذت إعادة ترسيم جغرافيا بغداد والوسط والجنوب وفق المحدد الطائفي تظهر صورة جديدة لمخلوق التقسيم البشع، أو فرانكشتاين من أجزاء متكارهة، وتحول المنتصر على الأرض في جميع الأحوال خاسراً للتنوع الذي هو مصدر وحدة وتوحيد.

الحدث الثالث اللاحق، بعد أربع سنوات، كان جريمة كنيسة سيدة النجاة 2010، التي أعادت سيناريو تفجيرات المعابد اليهودية في بداية خمسينيات القرن الماضي، ومن نتائجها دفع من تبقى وتمسك من مسيحيي الوسط والجنوب للتفكير بالهجرة كخيار حتمي، إذ شهدنا خلال الأسابيع التي تلت الجريمة أكبر هجرة لمسيحيي بغداد في تاريخها المعاصر.

مسيحيو الموصل الذين تدفقوا إلى بغداد في نهاية الخمسينيات بعد هجرة يهود العراق وبعد ثورة الشواف، بشكل خاص، عام 1959، وأحدثوا تحولاً نوعياً في جو بغداد الثقافي وبيئته الاجتماعية والاقتصادية، عادوا في هجرة عكسية إلى قرى وبلدات سهل نينوى، وملاذاتهم المؤقتة في عينكاوة ودهوك.

منذ الآن اصبح الوجود المسيحي استثناء في الجزء العربي المسلم من البلاد.

الحدث الرابع والقاصم، كان احتلال داعش لمحافظة نينوى 2014، وإطلاق ماكنته التدميرية لآخر معقل للتعددية، ومن ثم وضع أوراق تقسيم البلاد كأمر واقع على الطاولة،

تهجير المسيحيين وبقية الأقليات من سهل نينوى، وسبي نساء وأطفال الإيزيديين في سنجار.

تحليل ديناميات العنف ضمن هذه المتوالية العددية كل أربع سنوات، بوصفها سببا جوهريا وراء هجرة المسيحيين، من المهم أن تأخذ بنظر الاعتبار مخرجات فشل النموذج الذي أسسه الأميركيون في إدارة التنوع في ظل غياب سلطة وطنية كابحة ومحايدة.

في موازاة هذا التأثير المدمر كان هناك مسار إقليمي مواز: الإخفاق العام في تعزيز الوجود المسيحي في العراق والمشرق العربي بسبب الصراع داخل الإسلام على هوية المنطقة والذي اتخذ بعداً طائفياً مقيتاً خلال الأعوام الماضية، وبالتحديد منذ انطلاق ما يعرف بثورات الربيع العربي 2011.

نتيجة غياب الدولة وتدميرها المنهجي إنها تركت المسيحيين نهباً لديناميات الانقسام الداخلي والتوظيف من قبل الجماعات الأكبر، على نحو جعل مناطقهم في سهل نينوى متنازعا عليها بين أربيل وبغداد في إعادة ترسيم للجغرافيا السياسية الداخلية بين العراق العربي وإقليم كردستان من جهة، وأفرزت بعد تحرير مناطقهم من تنظيم داعش حدود التأثير الإقليمي التركي الإيراني على نحو جعل من سهل نينوى منطقة مدولة.

سنجار بالنسبة للإيزيديين، شمال غرب الموصل تعد مثالاً آخر، كما يواجه الإيزيديون وبقية الأقليات انقسامات مماثلة.

وإذا أردنا استعارة نموذج الإنقسام الإيزيدي وتطبيقه في السياق المسيحي، فقد تغولت الدولة الوطنية في علاقتها مع المسيحيين أيضاً، وانتخبت هوية جماعية لهم بوصفهم ناطقين بالسريانية ثم جاء غيابها-بعد الاحتلال الأميركي- لكي يكون أشد وقعاً من حضورها، فانهيار سلطة الدولة بعد عام 2003 تركهم نهبا لمعادلات وفواعل جديدة احتلت فراغ غيابها.

كانت الدولة، حقاً، أهون الشرور، عدا تلك التي تنجم عن غيابها.[1]

(1) سعد سلوم، الإبادة الجماعية مستمرة: ديناميات وفواعل الإنقسام في المجتمع الإيزيدي (بغداد: مركز البيان وكرسي اليونسكو لمنع الإبادة الجماعية في جامعة بغداد، 2022)، ص15.

1 - مجلس الحكم و أول تمثيل للمسيحيين على أساس مكوناتي

تشكل مجلس الحكم في 12 تموز/يوليو 2003 م، بقرار من سلطة الائتلاف الموحدة (التي يترأسها بول بريمر: الحاكم المدني الأميركي) ومنح صلاحيات جزئية في إدارة شؤون العراق.

تألف المجلس بوصفه لحظة تأسيسية جديدة من تمثيل لمختلف مكونات المجتمع وعلى نحو غير مألوف في العالم العربي، فلم تكن الهندسة التمثيلية للمجلس وفقا لأسس سياسية صرفة من خلال تمثيل الأحزاب والحركات السياسية المعارضة التي اجتمعت على وجوب إسقاط نظام صدام حسين، أو اثنو - دينية من خلال تمثيل التنوعات الدينية والإثنية المختلفة، أو من خلال عملية إحداث توازن قوى بين تمثيل عراقيي الداخل والخارج.

وسوف تفشل أية محاولة لتصنيف تشكيل مجلس الحكم وفقا لمعيار واحد، لكنها، في النهاية، ومن خلال طبيعة التمثيل عكست مقاربة أميركية في تشكيل إطار يمثل مكونات المجتمع العراقي (نموذج دولة المكونات)، مع الأخذ بنظر الاعتبار الوزن الديموغرافي للجماعات الثلاث الكبرى (الشيعة، السنة، الأكراد) مع تمثيل ضيق لبقية الجماعات الأصغر حجما، وبذلك اعترفت الهندسة الفوقية بالوزن الديموغرافي للجماعات الأكبر مع تمثيل رمزي للأقليات، على نحو أسفر عن (صفقة تقاسم ثلاثية للسلطة) بين النخب السياسية للجماعات الثلاث، والتي ستحدد بدورها هوية البلاد وتكتب دستورها، كما سيحدد صراع هذه النخب على السلطة مستقبل البلاد خلال الأعوام اللاحقة.[1]

مع ذلك، استجاب التمثيل الذي سعى إليه الحاكم المدني الأميركي بول بريمر لإعتبارات برغماتية، أكثر من كونه سعياً منصفاً لتمثيل المكونات السكانية المختلفة.

وكان تمثيل الجماعات الأكبر واضحا، (الشيعة، السنة، الأكراد) في حين لم يترك هدف الحصول على أصغر هيئة تمثيلية ممكنة، سوى مكان لمسيحي آشوري، وممثلة عن التركمان.[2]

---

(1) تمثلت هذه الصفقة رمزيا في تقاسم الرئاسات الثلاث: رئاسة الوزراء للشيعة، رئاسة البرلمان للسنة، رئاسة الجمهورية للأكراد.

(2) سعد سلوم، الوحدة في التنوع: التعددية والمواطنة الحاضنة للتنوع الثقافي في العراق (بغداد: مؤسسة مسارات، 2015)، ص ص. 146-148

تأسست هذه اللحظة التأسيسية الانقسام الاجتماعي بين الجماعات عبر منحه مسحة سياسية وتأطيره في المؤسسة الرسمية التي تمت هندستها من أعلى، مع الأخذ بنظر الاعتبار رأي (بريمر) الذي استجاب بشكل أو بآخر لنظرته القاصرة عن فهم حساسيات العلاقات الاجتماعية أو الدينية بين الجماعات أو داخل الجماعة الواحدة، إذ أفسح (بريمر) مكانا لممثل المسيحيين الآشوريين، مع استبعاد ممثل الكلدان الذين يعدون الأكثر عدداً بين الجماعات المسيحية المختلفة، وبناء على ذلك تقدم آشوري في ما يعد أول تمثيل رسمي للمسيحيين في تاريخ العراق الحديث، وكتب بريمر في مذكراته معللا سبب اختياره بالقول إن مسيحيي العراق كانوا مجزأين على غرار كافة الطوائف الدينية في البلد.

فقد كان هناك الكلدان الذين يبدو أنهم يفوقون الآشوريين عددا، لكنهم لم يكونوا منظمين جيدا مثلهم وأقل فعالية سياسية.[1]

2 - هوية المسيحي الملتبسة في الدستور

كانت المحطة الثانية هي تشكيل الجمعية الوطنية وكتابة دستور عراقي دائم، وقد بلغ عدد أعضاء لجنة كتابة الدستور 55 عضوا صوتت عليهم الجمعية الوطنية في 10 أيار 2005، من كتل الائتلاف وكتلة التحالف الكردستاني والقائمة العراقية، وكان هناك تمثيل لعدد من المسيحيين في لجنة كتابة الدستور، في إطار كتلة التحالف الكردستاني، وضمت كلاً من: نوري بطرس ويونادم كنا.[2]

وقد اتخذ الدستور منحى مركباً في تعريف هوية المسيحي، إذ أشار إلى الهوية الدينية من خلال الإشارة إلى الأديان المعترف بها رسميا في البلاد، ففضلا عن الإسلام أشار الدستور إلى ضمان كامل الحقوق الدينية لجميع الأفراد في حرية العقيدة والممارسة الدينية، كالمسيحيين، والإيزيديين، والصابئة المندائيين.[3]

(1) بول بريمر، عام قضيته في العراق- النضال لبناء غد مرجو، ترجمة عمر الأيوبي، (بيروت: دار الكتاب العربي، 2006)، ص131

(2) محاضر اجتماعات لجنة كتابة الدستور العراقي 2005، المجلد الأول، (جمهورية العراق: مجلس النواب، 2018)، ص.ج.

(3) المادة (2) ثانيا من دستور عام 2005

ثم عاد ليشير إلى الهوية القومية لبعض الطوائف المسيحية في مادة أخرى بتأكيد ضمان الحقوق الإدارية والسياسية والتعليمية لبعض المكونات مثل التركمان، والكلدان والآشوريين.[1]

وبالرغم من ذلك، فإن نهاية المادة الدستورية الأخيرة أشارت إلى إن ما ذكر في الدستور من الأقليات لا يتضمن قائمة حصرية تتضمن الجماعات التي ينبغي توفير الحماية لها، بل إنها تنص على أن جميع المجموعات تتمتع بالحماية سواء أكانت أقليات دينية أم قومية.

ومع ذلك، تحاول بعض الطوائف المسيحية التي لم يرد ذكرها - منذ سنوات - أن تعمل على تشجيع ذكرها بالاسم في التعديلات الدستورية مثل: السريان، وكذلك الأرمن الذين يطالبون بذكرهم كقومية مستقلة (أسوة بالعرب والأكراد والتركمان) بغض النظر عن المحدد الديني (المسيحي) لهويتهم.[2]

3 - الهوية القومية أم الدينية: معضلة التسمية

يعكس الالتباس في تحديد هوية المسيحي في الدستور أزمة داخلية مسيحية عميقة، إذ تترك النقاشات بشأن الهوية المسيحية انطباعاً سلبياً عن دور أصحاب المصلحة من النخب المسيحية، فعدم الاتفاق بشأن تسمية موحدة للمسيحيين يعد مثالا على فشل أصحاب المصلحة في تحقيق إرادة موحدة بشأن قضية جوهرية تتعلق بالهوية، وتنسحب على مواقف أخرى أكثر حساسية مثل مصير مناطق المسيحيين المتنازع عليها، وإمكانية عودة النازحين والمهاجرين إلى هذه المناطق، وشروط هذه العودة ومتطلباتها.

لذا، يعد تحليل مظاهر الانقسام ضروريا لتفهم أسباب تشظي آراء المسيحيين بشأن الهجرة بين تشجيع على الهجرة الجماعية أو رفض لها أو تركيز على العودة إلى مناطق محددة مثل سهل نينوى بشروط توفير حماية دولية.

---

(1) المادة 125 من دستور عام 2005

(2) 24-Saad Salloum, Political participation of minorities in Iraq (Baghdad: Masarat. 2017), pp.23

أ-طبيعة الإنقسام الكلداني / الآشوري

ترك الانقسام المسيحي أثره على تعدد الأحزاب والتيارات السياسية التي تمثل الطوائف المسيحية المختلفة.

وللتغلب على هذه العقبة نجح الممثلون السياسيون للآشوريين بعد عام 2003 في تقديم سرد موحد للهوية المسيحية بوصفها تمثيلاً للشعب الكلدو آشوري السرياني، وحاولت هذه التسمية الطويلة نسبياً أن تتجاوز مساوئ التعدد الإنقسامي بغية تقديم هوية واحدة أو جسم واحد يسهل تمثيله على المستوى السياسي، والتحدث باسمه عن مطالب محددة.

حازت التسمية على قبول مسيحي عام خلال الأعوام الأولى لتشكيل العملية السياسية تحت رعاية أميركية (تأسيس مجلس الحكم، الجمعية الوطنية، كتابة الدستور).

لكنها لم تعد مقبولة من قبل ممثلي جميع التيارات السياسية المسيحية في الوقت الراهن، ولا سيما التيارات التي تمثل الكلدان والسريان[1]، في ظل صراع الاستيلاء على الهويات لخدمة الأغراض السياسية.

ففي مقابل سياسة تعريب الأقليات من قبل دولة البعث قبل 2003 برز مصطلح تكريد الأقليات بعد 2003 للإشارة إلى سياسات تطويع الأقليات وتغيير هويتها لصالح تحقيق الأهداف الكردية، ويستخدم في السياق المسيحي بشكل خاص تعبير آشورة المسيحيين للتعبير عن سلوك آشوري يتسم بالهيمنة لتطويع هوية المسيحيين، بمختلف طوائفهم لصالح التوجهات الآشورية القومية.

تعترض التيارات المسيحية المعارضة لـ آشورة المسيحيين ضد ادعاءات ممثلي بعض التيارات السياسية الآشورية تمثيل التنوع المسيحي، لمنفعتهم الخاصة أو لصالح أحزابهم دون مراعاة مصالح التيارات السياسية الأخرى التي تمثل التنوع المسيحي بكافة طوائفه.

لا سيما، بعد أن حققت الأحزاب الآشورية حضورا مهما في الساحة السياسية منذ بداية العملية السياسية وحصلت على مقاعد في البرلمان ومناصب وزارية.

(1) كذلك، نلاحظ أن التسمية بحد ذاتها تستبعد الأرمن، والمسيحيين العرب والمسيحيين الأكراد.

لكن عدم الاتفاق على تسمية موحدة، والتمسك بالتسميات القومية الكلدانية الآشورية السريانية الأرمنية، دفع قيادات كنسية مثل الكاردينال ساكو إلى طرح تسمية المكون المسيحي كتسمية شاملة وبديلة للتعبير عن كافة الأطياف المسيحية من أفراد وأحزاب وطوائف.

وهو ما خلق صداماً لا يمكن تجنبه بين رجال الدين الذين يركزون على المحدد الديني للهوية والنخب السياسية التي تركز على المحدد القومي.

وخلال متابعة النقاشات في المواقع والمنتديات المسيحية وما يكتب من مقالات، يبدو أن الكاردينال ساكو هو رجل الدين الأكثر تعرضا للهجوم بسبب تبنيه خطابات تركز على الهوية الدينية بدلا من الهوية القومية (في رأيه إن التمسك بالأخيرة يضعف ويشتت المسيحيين)، ويحرص على التأكيد على مخاطر الهجرة مع التشجيع على بقاء المسيحيين في أرضهم التاريخية (يعتقد العديد من الراغبين بالهجرة أن خطابه يضعف فرص حصولهم على لجوء بسبب تأثيرها المبالغ فيه على إرادات الدول الغربية)، وأخيراً موقفه الرافض لإنشاء منطقة خاصة للمسيحيين وتأكيده أن العراق بكامل أراضيه يعد موطناً للمسيحيين، وهو ما يثير غضب النخب السياسية والدينية التي تركز على ضرورة إنشاء منطقة خاصة للمسيحيين تحت حماية دولية.

وأخيراً موقفه الرافض لإنشاء ميليشيات مسيحية الذي يهدد أصحاب مصلحة طوروا استجابة سياسية عسكرت الأقلية المسيحية.[1]

بشكل عام، يمكن القول إن عملية خلق إجماع داخل المسيحيين مهمة في غاية التعقيد في ضوء تشظي المسيحيين بطوائفهم الأربعة عشر وأحزابهم التي تجاوزت الإثنا عشر وفصائلهم المسلحة العديدة، ويبدو العمل على فتح حوار مسيحي داخلي مهمة ضرورية بالتعاون مع أصحاب المصلحة الدوليين، لا سيما الفاتيكان، الأمم المتحدة، الاتحاد الأوروبي.

ب - مطالب مستقلة للأرمن والسريان

يضاف إلى اعتراض الأحزاب والكيانات السياسية الكلدانية على هيمنة التيارات السياسية الآشورية على العمل السياسي، ولا سيما استئثار الحركة الديمقراطية الآشورية بتمثيل

(1) ينظر على سبيل المثال: سعد سلوم، عقوبات أميركيّة ضدّ زعيم فصيل مسلّح تثير قضيّة تمثيل المسيحيّين في العراق، المونيتور، بتاريخ 8 أغسطس 2019

المسيحيين السياسي بعد عام 2003، مطالب عملت على توسيع دائرة الانقسام، إذ تقدم كل من الأرمن والسريان بمطالب مستقلة خارج الدائرة الكلدو آشورية، التي لم تضمهم أو تمثل مطالبهم منذ كتابة الدستور وإجراء الانتخابات وتشكيل الحكومات المتتالية بعد الغزو الأميركي للعراق.

إذ يعد الأرمن الأرثوذوكس مثالاً لتداخل الجانب الإثني بالديني، فعلى الرغم من كونهم إحدى الطوائف 14 المسيحية المعترف بها رسميا[1]، إلا أنهم لم يكونوا تياراً سياسياً يعبر عن هويتهم المستقلة، ونتيجة لضعف تمثيل مطالبهم من قبل أصحاب المصلحة من النخب المسيحية من طوائف أخرى (مثلت المسيحيين في العملية السياسية)، أصبح الأرمن يميلون لتقديم هويتهم بوصفهم ممثلين للقومية الأرمنية، والمطالبة بالكوتا على أساس قومي، أي تخصيص مقعد خاص بهم، أسوة بالشبك أو الكرد الفيليين، بمعزل عن إطار الكوتا المحددة للمسيحيين كأقلية دينية إلى جانب الأقليات الأخرى مثل الإيزيديين والمندائيين.

وتميل النقاشات في هذا السياق إلى اللجوء للمطالبة بأحد المقاعد الخمسة المخصصة لكوتا المسيحيين في البرلمان الاتحادي كخيار ثان في حال عدم النجاح في الخيار الأول وهو الحصول على مقعد كوتا على أساس قومي.

على صعيد مقارن، بينما مثّل الأرمن نائب في برلمان إقليم كردستان، لا يوجد ممثل عنهم في مجلس النواب العراقي، كذلك هناك مقعد خاص بالأرمن في مجلس محافظة دهوك.

ولكن لحد هذه اللحظة لا يوجد وزراء للأرمن في الحكومة الاتحادية، إنما هناك تمثيل يصل إلى درجة مدير عام في رئاسة الجمهورية وهو السيد كريكور ديرهاكوبيان[2].

ويطالب الأرمن برفع درجة تمثيلهم السياسي إلى درجة وزير في حكومة إقليم كردستان، وأن يحصلوا على مقعد في البرلمان الاتحادي[3].

(1) ملحق نظام رعاية الطوائف الدينية (الطوائف الدينية المعترف بها رسميا في العراق رقم 32 لسنة 1981).

(2) مقابلة مع كريكور باكرام موسيس ديرهاكوبيان، مدير عام دائة السياسات العامة في رئاسة جمهورية العراق، بتاريخ 19-7-2019

(3) مقابلة مع يرفانت امينيان، ممثل كوتا الأرمن السابق في برلمان إقليم كردستان، أربيل، بتاريخ 4-8-2019.

ويذهب السيد (ملكون ملكونيان)، رئيس اللجنة الإدارية لطائفة الأرمن الأرثوذكس في العراق، إلى أن من حق الأرمن المطالبة بالكوتا في البرلمان الاتحادي ومجالس المحافظات والبلديات والأقضية والقرى في المحافظات ذات التواجد الأرمني في بغداد والبصرة وكركوك وأربيل ودهوك وزاخو ومحافظة نينوى، وهو يأمل أن يتم تحقيق جزء من هذه المطالبات على صعيد وطني ومحلي[1].

بخلاف ذلك فإن توفر خيار الهجرة السريعة إلى أرمينيا والحصول على الجنسية الأرمنية خلال مدة قصيرة يظل خياراً متاحاً لهم، ومع صعوبات اقتصادية تواجه الأرمن في أرمينيا بسبب ضعف الدخل وفقر الاقتصاد الأرمني ووجود مصالح اقتصادية للأرمن داخل العراق، فإن فرص بقائهم أفضل من بقية الطوائف المسيحية، لكن تعزيز مشاركتهم السياسية ستشكل دافعا إضافياً وداعماً للبقاء في البلاد.

أما مطالب السريان، فإن النقاشات المتعلقة بها يهمين عليها شعور بالغبن، إذ يعدون عدم ذكرهم في الدستور العراقي عام 2005 تهميشا عمديا، و ينصب لومهم بشكل خاص على ممثلي المسيحيين (من الآشوريين) في لجنة كتابة الدستور الذين لم يعملوا بشكل جدي على إدراجهم في مقابل النجاح في إدراج الكلدان والآشوريين في المادة 125 من الدستور.

وهذا مهم بالنسبة لهم للمطالبة بحكم إداري ذاتي لهم، في ضوء كون سكان برطلة وقراقوش ومناطق أخرى من سهل نينوى من أغلبية من السريان الكاثوليك والأرثوذكس بشكل خاص.

وأثناء زيارة بطريرك السريان الأرثوذكس للعراق قداسة مار أغناطيوس أفرام الثاني كريم (في 27 شباط 2016) طالب الحكومة العراقية بتغيير هذا الواقع، وإدارج اسم السريان في دستور العراق.

وفي 13 أيلول 2016، وأثناء لقاء متلفز وجه المطران توما داود، رئيس أساقفة طائفة السريان والمقيم في لندن، انتقادات لما وصفه بـ إلغاء وجود السريان وحصر المكون

(1) مقابلة مع السيد ملكون ملكونيان، رئيس اللجنة الإدارية لطائفة الأرمن الأرثوذكس في العراق، بغداد، بتاريخ 19-7-2019.

المسيحي بالكلدوآشوريين، داعيا كبار رجال الدين المسيحيين إلى تحديد موقفهم من هذا الأمر.

واتهم المطران ممثلي الآشوريين، بإلغاء وجود السريان في العراق برغم كونهم أقدم الطوائف المسيحية العراقية وأول من أقام كنيسة فيه.

وأوضح المطران السرياني أن النائب الآشوري كنّا لم يقم بدوره في الدفاع عن السريان، حيث لم يرد ذكر اسمهم في البطاقة الوطنية التي تصدرها وزارة الداخلية حاليا رغم ذكر كل الطوائف والمكونات والأديان العراقية فيها.[1]

في عام 2015، طالب رؤساء الطوائف السريانية في العراق، الحكومة العراقية بإدراج اسم السريان في الدستور العراقي وضمن المادة 125 إلى جانب اسم الكلدان و الآشوريين.

جاءت المطالبة في رسالة موقعة من قبل أربعة مطارنة سريان كاثوليك وأرثوذكس يمثلون رؤساء الطوائف السريانية في العراق وإقليم كردستان هم: المطران مار سيويريوس حاوا رئيس طائفة السريان الأرثوذكس في بغداد والبصرة، والمطران مار يوحنا بطرس موشي مطران الموصل وكركوك وكردستان العراق للسريان الكاثوليك، والمطران مار طيمثاوس موسى الشماني مطران أبرشية دير مار متى للسريان الأرثوذكس، والمطران مار نيقوديموس داود شرف رئيس طائفة السريان الأرثوذكس في الموصل وكركوك وكردستان العراق.[2]

وقد اعترض الكلدان والآشوريين على صيغة المطالب السريانية، بسبب نص الرسالة على أن اسم الكلدان لا يمت بصلة للكلدان القدامى إنما أطلقه البابا أوجانيوس الرابع في منتصف القرن الخامس عشر على فئة من السريان النساطرة تبعوا كنيسة روما، وكذا الأمر بالنسبة إلى الأخوة الآشوريين إذ لا صلة لهم بالقدامى هم الآخرون وقد أطلق عليهم الاسم في أواخر القرن التاسع عشر من قبل بعثة تبشيرية بريطانية عثرت عليهم في أروميا إيران واليوم يعرفون بكنيسة المشرق القديمة أو كنيسة المشرق الجاثليقية أو الآشورية ولغتهم كانت ومازالت السريانية لا الآشورية ولا الكلدانية القديمة[3].

---

(1) نشرة أخبار قناة الشرقية نيوز بتاريخ 13 سبتمبر 2016، متوفر على يوتيوب على الرابط التالي:.https://www.youtube.com/watch?v=8X6KVHGh_4g&feature=youtu.be

(2) نص رسالة رؤساء طائفة السريان في العراق، بتاريخ 21--10 2015(نسخة في حوزة الباحث).

(3) المصدر نفسه.

وقد ردت الكنائس الكلدانية والآشورية على هذا التبرير، وسرعان ما أصدرت الكنيسة الكلدانية بيانا جاء فيه أن لا حق لهم-المطارنة السريان- في الكلام نيابة عن غيرهم الذين لهم شعورهم القومي، فيكفي أن يحمل الكلدان أكثر من 5500 سنة هذا الاسم، وهم بالتالي سبقوا غيرهم في الاسم القومي! ثم نسألهم هل للكلدان المسلمين الشيعة في مدينة الناصرية علاقة بالبابا أوريجانس الرابع، أم أن شعورهم وانتماءهم هو بأجدادهم الكلدان في اور وبابل والجنوب؟[1].

مثل هذا الجدل المستعر عن الأصالة في خطاب الطوائف المسيحية في الأعوام الأخيرة تحول إلى منافسة عقيمة تستعير من التاريخ تأويلات لتبرر مطالب سياسية على ساحة واقع اليوم، وتصل في النهاية إلى برغماتية قبول الاختلاف القومي بدلا من محاولة دونكيشوتية للاتحاد في التسمية.

وبالتالي، فإن الانقسام بشأن الهوية يظل أمراً لا مفر منه في ضوء اختلاف وجهة نظر أصحاب المصلحة من الأرمن والكلدان والاشوريين والسريان، ويتبع ذلك الانقسام في القضايا الأخرى المتصلة بمستقبل الوجود المسيحي داخل العراق.

4 - تغير ميزان القوى: عسكرة الإنقسام المسيحي

دفع تصاعد مستويات العنف في سهل نينوى والمناطق المحيطة بالقرى المسيحية في الموصل من قبل تنظيم القاعدة المتشدد خلال السنوات الماضية، وقبل ظهور تنظيم داعش واجتياحه محافظة نينوى 2014، إلى توفير حراسات خاصة لمناطق وقرى سهل نينوى.

والمثال الأبرز كان دعم حكومة كردستان فصيلاً مسيحياً مسلحاً في سهل نينوى بمبادرة من وزير المالية السابق في حكومة الإقليم سركيس آغاجان ويتكون من 3 آلاف فرد مسيحي[2].

وكان هذا الاستثناء يعد خروجا عن التزام المسيحيين بالابتعاد قدر المستطاع عن الصراعات السياسية والمواجهات المباشرة منذ مذبحة الآشوريين 1933، لكن على ما يبدو

(1) تعقيب على السريان يطالبون الحكومة العراقية بإدراج اسمهم في الدستور، متوفر على موقع بطريراكية الكلدان على الرابط التالي: http://saint-adday.com/?p=11786

(2) سعد سلوم، آفاق التعددية ومستقبل المواطنة في العراق في ظل التحولات الراهنة، ورقة مقدمة إلى معهد كارنيجي للسلام، بيروت، بتاريخ 29-7-2015.

لم تكن سوى تعبير عن رغبتهم في بناء قوات حماية مثل الشرطة ولا تتجاوز ذلك لإنشاء قوات تصادمية مسلحة.

لكن التقاليد الهادئة التي تبناها المسيحيون طوال تاريخ علاقتهم مع الدولة العراقية الحديثة منذ تأسيسها عام 1921، قد تغيرت تماما بعد اجتياح تنظيم داعش للقرى والأراضي المسيحية في سهل نينوى عام 2014، حيث بدأ المسيحيون جديا بالتفكير في إنشاء قوات مسلحة وصلت إلى ست وحدات أو فصائل مسلحة يتبع بعضها الأحزاب المسيحية، وانشأ بعضها كتنظيم مسلح تحول إلى منظمة سياسية للمشاركة في الانتخابات تحت نفوذ أحد التيارات السياسية الكبرى، من أبرزها:

1 - كتائب بابليون الجناح العسكري للحركة المسيحية في العراق،

2 - الحراسات التابعة للمجلس الشعبي،

3 - الجناح المسلح للحركة الديمقراطية الآشورية،

4 - كتائب الحزب الوطني الآشوري،

5 - قوات سهل نينوى، وقد خضعت هذه التشكيلات للتغيير أو الإدماج واختفى بعضها بعد تحرير محافظة نينوى بجميع أقضيتها من التنظيم المتطرف، كما تحول بعضها إلى تيارات سياسية شاركت في الانتخابات وحازت على مقاعد في البرلمان لتغير خريطة التمثيل السياسي المسيحي على نحو لافت.

مع ذلك، فإن هذا التطور وفي ضوء تراجع ثقة المسيحيين بالحكومة الاتحادية وحكومة الإقليم، يعني إن المسيحيين بات عليهم التفكير بخيارات مستقلة من دون استبعاد التعاون مع الحكومة الاتحادية أو حكومة الإقليم، أو كلاهما في ظل موقف تفاوضي جديد، فالمسيحيون يدركون أن للآخرين (العرب أو الأكراد) أهدافاً في أراضيهم لا تتطابق في النهاية مع أهداف المسيحين أو سعيهم لإيجاد حيز في توازن القوى بين الكبار، فالمناطق التي يشكلون فيها أغلبية أصبحت جزء من الأراضي المتنازع عليها بين حكومة المركز وحكومة الإقليم، يتطلع السياسيون الأكراد إلى ضمها ضمن خريطة الإقليم، بينما تنظر إليها الحكومة الاتحادية على أنها مناطق تابعة إداريا للحكومة الاتحادية حتى لو خضعت عمليا لنفوذ كردي[1].

(1) للمزيد بشأن هذه المصاعب ينظر: سعد سلوم، كتاب المسيحيون في العراق-التاريخ الشامل والتحديات الراهنة، مؤسسة مسارات، بغداد، 2014، ص397-404.

في ظل لعبة توازن القوى هذه، أصبح المهاجرون والنازحون المسيحيون طرفا ثالثا صامتا خاسرا في كلا المعادلتين: قبل دخول داعش لسهل نينوى كان لحكومة أربيل نفوذ على مناطقهم على حساب حكومة بغداد، وبعد تحرير الأراضي من داعش أصبحت تحت نفوذ حكومة بغداد على حساب حكومة أربيل، وحالما تتغير المعادلة (في ظل اتفاق سياسي محتمل بين بغداد وأربيل) سيتعين على المسيحيين ترتيب أوراقهم مجددا في ظل توازنات القوى المتغيرة.

وعادة ما تميل النقاشات إلى ذكر تساؤلات مرتبطة بتغير هذه المعادلة، مثل: كيف يستطيع النازح أو المهاجر المسيحي أن يثق في العودة الدائمة لمناطقه التي هجر أو نزح منها ما دامت محط نزاع دائم بين أربيل وبغداد.

يفسر هذا الصراع جزئيا اندفاع بعض المسيحيين لتشكيل فصائل مسلحة، فعلى حد تعبير الكاتب إسكندر بيقاشا الذي يعكس وجهة نظر مسيحية أصبحت مقبولة بشكل عام فإن تسليح الذات لحماية أنفسنا أصبح مقبولاً من معظم أبناء شعبنا والكنيسة والأحزاب أيضاً.

وهناك ضرورة المشاركة في تحرير أراضينا حيث لا يمكننا فعل ذلك لوحدنا والتي بدونها تصبح أراضينا وقرانا وإرادتنا تحت رحمة المحررين مهما كانت هويتهم[1].

فتح تشكيل هذه القوات احتمالات عودة المئات من الآشوريين من خارج العراق للقتال مع إخوانهم في الدين للمشاركة في تحرير أراضي سهل نينوى، وقد دعم هذا الجذب لمسيحيي الشتات الفكرة التي تدعو لها العديد من المنظمات المسيحية خارج العراق لإنشاء منطقة خاصة بالمسيحيين في سهل نينوى.

كما جذبت بعض المغامرين الذين يتطلعون إلى لعب دور سياسي لاستثمار الفرصة في تشكيل فصيل مسلح في إطار قوات البشمركة أو الحشد الشعبي، ونحو يفرز منافسات أو علاقات مع رؤساء الطوائف من رجال الدين، الأمر الذي فرض انقسامات جديدة على بيت مسيحي منقسم بالأصل.

(1) إسكندر بيقاشا، إشكالية تسليح مسيحيي العراق وخيارات تحرير سهل نينوى، موقع عينكاوه على الرابط:
http://www.ankawa.com/forum/index.php?topic=760228.0

نتيجة لذلك، يمكن تلخيص اتجاهات النقاشات في السياق المسيحي في ثلاثة سيناريوهات، ما تزال النخب الدينية والنخب السياسية المسيحية منقسمة بشدة بشأنها:

1 - تكوين تشكيلات مسلحة تحت سيطرة البيشمركة لتحرير مناطق المسيحيين (سهل نينوى) والتعامل مع خيار دخولها تحت سيطرة الإقليم

2 - تكوين تشكيلات مسلحة تحت سيطرة الحكومة الاتحادية (أو الحشد الشعبي) لتحقيق الغرض نفسه والتعامل مع خيار تكوين محافظة مستقلة في منطقة سهل نينوى.

3 - تكوين تشكيلات مسلحة مع الدفع باستقلال مناطقهم تحت إدارة دولية أو ضمانات من قبل المجتمع الدولي لوضعهم المستقل (منطقة آمنة دولية)، في محاولة للتخلص من الصراع الكردي العربي حول هذه المناطق.

وإذا كان المسيحيون بطوائفهم الأربعة عشر وأحزابهم الإثنا عشر وفصائلهم القتالية المختلفة منقسمون بين هذه السيناريوهات الثلاث، فإن كل سيناريو تكتنفه صعوبات وتحديات على أرض الواقع، ولذا ظهرت مقاربات مختلفة خلال الفترة الماضية عكست صراعاً داخلياً عميقاً بين التيارات السياسية التي تمثل الطوائف المسيحية المختلفة من جهة، وبين هذه الأخيرة والزعماء الدينيين المسيحيين من جهة ثانية.

صراع يبدو من دون حل في ظل الافتقار لرؤية مسيحية موحدة أو تحديد أولويات في عالم سياسي يتصدع باستمرار، وهجرة مستمرة، ونخب شابة غاضبة منفصلة عن جيل قديم يفكر بطرائق عفى عليها الزمن، أو تعكس انعدام الخيال السياسي والارتهان لعلاقات زبائنية مع نخب الجماعات الأكبر السياسية.

5 - مستقبل مناطق المسيحيين المتنازع عليها

ليس لدى أصحاب المصلحة من المسيحيين خريطة طريق واضحة بشأن مستقبل مناطقهم في سهل نينوى، والخاضعة لنزاع عربي كردي.

في هذا السياق يهمين على النقاش المسيحي انقسام التيارات السياسية بين الخيارات الثلاث التي تم الإشارة لها أعلاه: إنشاء محافظة مسيحية ضمن مظلة الحكومة الاتحادية، أو ضمن إقليم كردستان، أو أن تكون المنطقة المعنية خاضعة لحماية دولية (منطقة آمنة برعاية دولية).

تقوم فكرة الاستقلالية الإدارية للمسيحيين على منح المسيحيين حقوقهم في إدارة شؤونهم السياسية والاقتصادية والتعليمية على نحو مستقل، وهذا هو مؤدى المواد المتعلقة بحقوق الأقليات في الدستور العراقي، إذ ينص الدستور على أن يتكون النظام الاتحادي في جمهورية العراق من عاصمةٍ وأقاليم ومحافظاتٍ لا مركزية وإداراتٍ محلية[1].

وتضمن الدستور أحكاما تتعلق بالأقاليم والمحافظات والعاصمة[2]، وجاء في مادة أخرى وتحت عنوان الإدارة المحلية على أن يضمن هذا الدستور الحقوق الإدارية والسياسية والثقافية والتعليمية للقوميات المختلفة كالتركمان، والكلدان والآشوريين، وسائر المكونات الأخرى، وينظم ذلك بقانون[3].

لكن يصطدم مع هذه المقاربة طموح حكومة إقليم كردستان ضم سهل نينوى للإقليم، ومن وجهة نظرها، لا مانع من تأسيس منطقة مستقلة من الناحية الإدارية أو حتى محافظة مسيحية شرط أن تكون تحت نفوذ إقليم كردستان وكجزء من أراضيه.

إذ تعد المنطقة المقترحة لإنشاء منطقة آمنة للمسيحيين في محافظة نينوى من وجهة نظر حكومة إقليم كردستان، ضمن ما يسمى بـ المناطق المتنازع عليها[4].

وليس هناك لحد الآن محاولة فاعلة من قبل أصحاب المصلحة على المستوى الدولي أو الوطني أو حتى الداخلي المسيحي لتشجيع اتفاق مسيحي بشأن مستقبل المسيحيين في سهل نينوى، والخيارات التي تحيط بهذه المنطقة المتنازع عليها في مرحلة ما بعد داعش ليست مريحة على الإطلاق، وغالباً ما تشهد الحلول التي يتم التوصل إليها إنقساماً بين النخب السياسية المسيحية من جهة وبين هذه النخب و القيادات الكنسية من جهة ثانية، ولا سيما السؤال المحوري: هل سيكون سهل نينوى محافظة أم إدارة ذاتية، مرتبطة بالحكومة

(1) المادة 116 من الدستور العراقي لعام 2005.
(2) المواد 117 إلى 124 من الدستور العراقي لعام 2005.
(3) المادة 125 من الدستور العراقي لعام 2005.
(4) المناطق المتنازع عليها: مصطلح يطلق على مجموعة من الأقضية والنواحي المحددة التي تطالب حكومة كردستان بضمها إليها، وتتضمن بالدرجة الأساس محافظة كركوك التي تعدها حكومة كردستان تاريخيا مدينة كردية. فضلا عن مناطق من محافظة نينوى تضم سنجار ذات الأغلبية الإيزيدية، وسهل نينوى التي تضم تنوعا يشمل المسيحيين والشبك والتركمان والكاكائيين وأقليات أخرى، وناحية زمار في قضاء تلعفر ذي الأغلبية التركمانية. وكما هو واضح، فإنها مناطق تتضمن تركز الأقليات.

الاتحادية في بغداد أم بإقليم كردستان؟، فضلا عن سيناريو المنطقة الآمنة برعاية دولية والذي يطل بين الحين والآخر كلما شعر المسيحيون بالضيق.

لكن غالبا ما تتحدث النخب المسيحية عن ضرورة إنشاء منطقة حكم ذاتي دون توضيح طريقة الإدارة الذاتية أو المشتركة لهذه المنطقة، أو يستبعدون جيرانهم أو شركائهم من بقية الأقليات (سهل نينوى يضم مثلاً عدداً من الشبك يفوق عدد المسيحيين بأضعاف).

أما بالنسبة لسيناريو المنطقة الدولية الآمنة (السيناريو الثالث)، فهي ليست سوى خيار يطرح كبديل للسيناريوهات أعلاه، وقد يترتب عليه -من وجهة نظر المسيحيين-تخليص مناطقهم من دائرة الصراع العربي الكردي، وقد يشجع على عودة آمنة وسريعة للنازحين من خلال توفير ضمانات دولية بعد تكرار ما حصل من جرائم إبادة جماعية عام 2014.

وقد شجع اعتراف الكونغرس الأميركي في آذار 2016 بالإبادة الجماعية للمسيحيين والأقليات الأخرى دعاة هذا السيناريو ومنحهم وهما خادعا بتوفر دعم أميركي غير مشروط[1].

ثم وجد أصحاب المصلحة في سيناريو المنطقة الآمنة فرصتهم التاريخية في القرار رقم 152 الصادر عن مجلس النواب الأمريكي بتاريخ 2016/9/9، والذي دعم فكرة إنشاء محافظة مسيحية في سهل نينوى[2] وأكد على أن المجتمعات العراقية للسكان الأصليين من سهل نينوى، الآشوريين الكلدانيين السريانيين المسيحيين، والإيزيديين وغيرهم، لديهم الحق في الأمن وتقرير المصير داخل الهيكل الاتحادي لجمهورية العراق[3].

---

(1) Expressing the sense of Congress that the atrocities perpetrated by ISIL against religious and ethnic minorities in Iraq and Syria include war crimes, crimes against humanity, and genocide. H. CON. RES. 75, March 15, 2016.

https://www.congress.gov/114/bills/hconres75/BILLS-114hconres75rfs.pdf

(2) Expressing the sense of Congress that the United States and the international community should support the Republic of Iraq and its people to recognize a province in the Nineveh Plain region, consistent with lawful expressions of self-determination by its indigenous peoples, H.CON. RES.152. SEPTEMBER 9, 2016

https://www.congress.gov/114/bills/hconres152/BILLS-114hconres152ih.pdf

(3) Ibid

على الرغم من تفاؤل أصحاب السيناريو بهذا القرار وقت صدوره، إلاّ أنه ليس هناك تصور واضح عن كيفية تنفيذ القرار أميركياً، وكيف يتم إشراك المؤسسات التنفيذية بتطبيقه، وبالطبع لا يمكن التوصل لذلك دون رؤية موحدة للنخب المسيحية، وحدوث توافق كردي - عربي، وهو ما يبدو مهمة معقدة وسط الصراعات الداخلية العربية الكردية وتشتت النخب المسيحية وانقساماتها.

في ضوء التعقيدات السابقة، نقترح على أصحاب المصلحة الدوليين تطوير (خطة عمل) تقوم على ما يأتي:

- توحيد رؤى أصحاب المصلحة الداخليين من ممثلي التيارات السياسية المسيحية، أو على الأقل تكوين مظلة جامعة لهذه التيارات في إطار تحقيق مصالح ناخبيها.

- توحيد رؤى أصحاب المصلحة في ما يخص قضايا المسيحين الراهنة مثل تحسين المشاركة السياسية وحماية الحريات الدينية ومناهضة التمييز وإنشاء المنطقة الآمنة وأسلوب إدارتها ونطاق استقلاليتها، وهو ما يعد أفضل طريق للتعبئة في مواجهة نفوذ التيارات الكبرى.

- التشجيع على تكوين كتلة تفاوضية أقوى داخل البرلمان والحكومة تحركها رؤية ومصالح مشتركة بين مختلف الطوائف المسيحية لمواجهة الاستنزاف السريع للتنوع الديني بسبب الهجرة في بلد يضم أقدم الطوائف المسيحية في العالم.

بالطبع مثل المقترحات أعلاه تواجه مصاعب جمة، لكن الدفع باتجاه حوار داخلي يعد أمرا لا مفر منه، وبما أن المبادرة لا يمكن أن تأتي من داخل البيت المسيحي المنقسم، فإن قيادة مبادرة من خارج هذا البيت يعد خيارا أخيرا قبل أن تقرع أجراس الزوال.

نحو تغيير البراديغم في مقاربة شؤون المسيحيين في العراق والمشرق العربي

في الختام، أدعو النخب السياسية والفكرية والدينية المشرقية إلى تغيير البراديغم بشأن مقاربة الوجود المسيحي في المشرق العربي، فما نواجهه من انسداد فكري وسياسي شامل يدعو إلى التفكير والعمل المشترك في مواجهة التحديات التي تواجه المنطقة ككل، مع مراعاة خصوصياتنا المحلية.

ونقطة البداية، على ما أعتقد تكمن في تحرير مقاربة الشأن المسيحي المشرقي من منطق الجالية ومن منطق العلاقة بين الأغلبية والأقلية، ومن الخطاب الغنائي التمجيدي، ونمط المعرفة من خلال المأساة، وأشدد أخيراً على ضرورة إطلاق حوار مسيحي داخلي في أزمنة المحنة، والتفكير في خيارات بديلة في أزمنة الانسداد الشامل، وهو ما يعد مسؤولية مسيحية مثلما هو مسؤولية إسلامية.

1 - تحرير العلاقة بين المسيحيين والمسلمين من منطق الجالية: هو منطق يهيمن على خطاب اليمين الغربي المتطرّف والذي يرى أن الوجود المسيحي طارىء في الشرق الأوسط وسط مجال إسلامي لا يقبل التعايش ويقدم حل الهجرة الدائمة كبديل أوحد، وهو-من وجهة نظري- منطق يتخادم مع منطق الإسلام السياسي الذي ينطلق من التصور ذاته عن الوجود المسيحي الطارىء في المنطقة، وهناك حادثة شهيرة في العراق تفصح عن حدود هذا المنطق، جرت في أعقاب الاعتداء الإجرامي على كنيسة سيدة النجاة للسريان الكاثوليك في بغداد بتاريخ 13-10-2010، حيث صدر كتاب سري وعاجل من مكتب رئيس الوزراء آنذاك يأمر بمساعدات عاجلة إلى ما أطلق عليه (الجالية المسيحية في العراق).

وبالرغم من محاولات تبرير الخطاب رسمياً في ما بعد بكونه مجرد خطأ غير مقصود، إلاّ إن الخطاب يفضح منطقاً سائداً يمكن أن نطلق عليه (منطق الجالية)، بمعنى الوجود الطارىء غير المستدام.

مثل هذا المنطق يغذي اضطهاد الجاليات المسلمة والمهاجرين من الدول الإسلامية في الغرب على نحو يترك تأثيره على العلاقة بين المسيحيين والمسلمين في العالم العربي، كما يعزز مواقف اليمين الغربي المتطرف (الإسلاموفوبيا)، على نحو يقود إلى خطر تقسيم العالم على أساس صراع ديني إسلامي- مسيحي.

ومن جهة ثانية يغذي اضطهاد المسيحيين في العالم العربي بوصفهم من بقايا الصليبيين أو حصان طروادة للتدخلات الغربية المزمنة في عموم بلدان المنطقة.

2 - التحرر من خطاب الأغلبية والأقلية: تشكل سيادة منطق الكم والوزن الديموغرافي على ثقافة بلدان المنطقة في تقييم أهمية المجموعات السكانية المختلفة حجر عثرة في

وجه المساواة بين الأفراد، الذين هم حاملو الحقوق الأساسية بغض النظر عن ما يسمى (المكونات) التي ينتمون إليها بفعل خلفيتهم الدينية أو الإثنية.

فإذا كانت الأقلية في خطر، فإن الأغلبية في خطر، فهجرة المسيحيين والأقليات الدينية غير المسلمة من بلدان المنطقة ستغير هوية بلدانها على نحو مريع.

ويعد قياس الأهمية بحسب الإسهام الحضاري وعدم عزل المسيحيين عن مواطنيهم المسلمين مدخلاً مهماً في قلب هذا المنطق والثورة عليه.

3 - التحرر من أنماط الخطاب الغنائي السائدة: من الأهمية بمكان التوقف عن تداول الخطاب الغنائي المنفصل عن الواقع، بوصف المسيحيين شعوباً أصلية لا غنى عن وجودها، أو أزهاراً في حديقة التنوع المشرقي، مع أن حقوقهم كأفراد تنتهك كل يوم بسبب النظام المكوناتي القائم على تراتبيات وتصنيفات بناء على الوزن الديموغرافي أو الإنتماء الديني أو الطائفي.

وفي مقابل ذلك يجب مقاومة الخطاب التكفيري، فما نحن بحاجة للدفاع عنه بثبات وما نحن بحاجة له اليوم هو تحليل للواقع، وتقديم مقاربات لتحسين أوضاع المسيحيين على جميع الصعد الإجتماعية والدستورية والقانونية والسياسية.

4 - التحرر من منطق المأساة في مقاربة أوضاع المسيحيين: لقد سيطر براديغم مهيمن على الأدبيات التي تناولها المرسلون الغربيون والمغامرون والمستشرقون للشأن المسيحي المشرقي، وخاصة الذين لعبوا دورًا معادلاً لدور الأنثروبولوجيين والإثنولوجيين في القارة الأفريقية، ورسَّخ تصوراتهم من خلال فكرة المأساة والمعرفة للصدمة، أي بعبارة أخرى ركزت تلك الأدبيات على فترة محددة عصيبة مر بها المسيحيون في السنوات الأخيرة من الامبراطورية العثمانية، في ظل مسارَين مُهمَّين للأحداث: مذابح المسيحيين الأرمن في شرق الأناضول، وتاليًا وبدرجة أقل مذبحة الآشوريين في عام 1933 في دولة العراق الفتية المستقلة عن الامبراطورية العثمانية.

ومثل هذا المسار يحجب اكتشاف واقع المسيحيين ودراستهم، عبْر علاقتهم بمجتمعاتهم المشرقية الأوسع.

لذا، أصبح من الأهمية بمكان تقديم تحليل جديد لأوضاع المسيحيين في المشرق العربي، وإثارة سؤال إعادة اكتشاف مكانة المسيحيين ودورهم في المنطقة، من منظور بعيد عن التسييس، وعن المعرفة للصدمة والبراديغمات المهيمنة على صورة المسيحي في المشرق العربي في الأدبيات ووسائل الإعلام الغربية.

5 - التفكير في البديل وراهنية الخيار الثالث: ركزت في خطاب الفوز بجائزة ابن رشد للفكر الحر لعام 2022 التي تسلمتها في برلين على حث المفكرين والمثقفين في العالم العربي على التفكير المتواصل في بديل يقدِّم الخيار الثالث بين القومية العربية والإسلام السياسي.

وهُما خِياران سيطرا على خيال النُخَب العربية خلال القرن الماضي، لا بدَّ من تقديم نموذج بديل يقوم على رابطة مُوَاطَنِيّة، وبشكل خاصٍّ نموذج مُواطَنة حاضنة للتنوع الثقافي أو باعثة له، بكلِّ ما ينطوي عليه المفهوم من إبداعٍ خلَّاق واحترام الخصوصيات الثقافية القائمة على المساواة بين الأفراد.

ولا شك في أن مثل هذه الدعوة تشمل النخب المسيحية في العراق وسائر بلدان المنطقة، فالنضال من أجل التغيير ومن أجل البديل مسؤولية مسيحية أيضاً، في ضوء تاريخ الريادة المسيحية في إحياء فكرة القومية العربية والإسهام النوعي في بناء أوطانهم، وفي ضوء الانسداد الفكري والسياسي الشامل في المنطقة وكارثية البدائل المطروحة في المجال العام.

6 - الحوار الداخلي المسيحي كمدخل لحوار مسيحي-إسلامي: أصبح لازماً في ضوء التشتت المسيحي وفقدان بوصلة الرؤية، في مشرق يشبه تاتيتانك المشرفة على الغرق، تحفيز حوار داخلي مسيحي من أجل وضوح الرؤية وإعادة ترتيب الأولويات والتفكير في خيارات واقعية، تسهم في إعادة بناء المنطقة وتنميتها على نحو مستدام، فما بين خياري الدكتاتوريات أو الفوضى من شأن حوار داخلي مسيحي أن يحفز خيارات بديلة تساعد شعوب المنطقة على اختلاف ثقافاتها على التفكير في مخرج من أزمنة المحنة.

7 - تحفيز دور المسيحيين في إنعاش اقتصاد بنفسجي للمنطقة: منذ عام 2013 أطلقت في كتابي (التنوع الخلاق) فكرة اقتصاد بديل لاقتصاد الريع النفطي يقوم على الاستثمار في التنوع الديني.

في وقت كان سعر النفط يصل إلى مستويات قياسية، والفكرة قامت على ضرورة اعتماد استراتيجية فعالة تقوم على براديغم (نظام فكري جديد) لإصلاح الاقتصاد العراقي وقطاعاته الأساسية، وإعادة ترتيب الأولويات الاستثمارية والبنى التحتية اللازمة لدعم اقتصاد التنوع المجتمعي الخلاق، والبدء بثورة جادة في التفكير في مجال تنويع الاقتصاد من أجل تخفيف الاعتماد على القطاع النفطي وزيادة مساهمة القطاعات الأخرى المهملة والمنسية تماماً.

وأجد في هذا المقال فرصة لتجديد الدعوة للاستثمار في التنوع لتشمل المنطقة بأسرها، من خلال دعوة النخب المسيحية لإيلاء أهمية للاقتصاد البنفسجي الذي يركز على التنوع الثقافي وعلاقته بالاقتصاديات الخضراء التي تركز على توقير البيئة، والزرقاء التي تقوم على رمزية المياه في هوية بلدان المنطقة وثقافاتها الدينية وإرثها الحضاري، والبرتقالية التي تركز على عناصر التنوع الإجتماعي.

ومع أنني أطلقت الدعوة أول مرة كفكرة اقتصاد بديل لاقتصاد الرّيع النفطي، لكنها اليوم باتت تمثل ضرورة عاجلة في ضوء توفر جميع الإمكانيات لتنويع الاقتصاد وتوجيهه على نحو يخدم التنمية الاقتصادية المستدامة لبلدان المنطقة.

وفي مواجهة عدمية الخيال السياسي لمعالجة عدم التوازن في اقتصاديات بلداننا، وغموض الخطط التنموية للقطاعات الإقتصادية، وبالنسبة لي فإن غياب أي تصور عن أهمية التنوع في المشرق العربي يعد أمراً ملفتاً على نحو يبدد ثروات حضارية وبشرية وثقافية ويسهم في ضياعها إلى الأبد.

ولا شك في أن أفضل حامل لمثل هذه الفكرة هو النخب المسيحية المشرقية في العراق ولبنان وسوريا، على نحو يجعل من تغيير البراديغم مسؤولية مسيحية ومهمة إنقاذية لشعوب المشرق ومستقبل أجيالها المقبلة.

المسيحية المشرقية: تحديات المعنى والدور

أ. سركيس أبوزيد

مؤخراً، تعددت الأصوات والمنابر التي تُعلن عن اهتمامها بالوجود المسيحي في العالم العربي. آخرها مؤتمر مستقبل الحضور المسيحي في المشرق الذي عقد مطلع الشهر الجاري في مقر بطريركية أنطاكيا وسائر المشرق للسريان الأورثوكس.

كُتب الكثير عن تزايد الهجرة، وبرزت مخاوف من اضمحلال الحضور المسيحي.

تأسست جمعيات ومراكز أبحاث تُعنى بهذه المسألة، خصص الفاتيكان سينودوس عن الوجود المسيحي في الشرق الأوسط، وعُقدت محاضرات وندوات وخلّوات لدرس هذه القضية، وتعددت وجهات النظر التحليلية لمقاربة الأسباب والآفاق.

ارتباك مسيحي بين الغرب والشرق

إن ارتباك المواقف السياسية المسيحية اليوم، ناتج تاريخياً من أن المسيحيين بشكلٍ عام يتجاذبهم تياران أساسيان:

تيار أول مشدود باتجاه الغرب وثقافته ومشاريعه، وبفضل الدعم القوي الذي توفر لهذا التيار تمكّن من إرباك الجمهور المسيحي على نطاقٍ واسعٍ.

تيار ثانٍ متمسك بجذوره المشرقية الأنطاكية العروبية، وقد ظل هذا التيار محصوراً في إطار بعض النخب والأوساط المسيحية.

لكن مع دينامية الطوائف الإسلامية لجهة تزايد العدد وانتشار العلم وازدياد الثروة والنفوذ ومع تطورات الأوضاع العربية وتأثيرها في لبنان، ازداد الخوف والقلق والتحدّي عند المسيحيين، فنجم عنه ظواهر عدة، منها:

- الخوف على الكيان: وقد برز ذلك خاصةً مع الذكرى المئوية لإعلان لبنان الكبير 1920-2020: حيث تمحورت الآراء في هذه المناسبة حول موت لبنان أو تجديد دوره ومعناه؟

- القلق من الجوار الجغرافي: الكيان الإسرائيلي، فلسطين، سوريا وسائر المشرق، ما أسهم في ازدياد ضياع المسيحيين، خاصةً مع تراجع سلطتهم وانهيار الدولة وتفكك المجتمع.

- الرعب من إرهاب تكفيري إلغائي يبرر تصعيده من فائض قوة المقاومة، مما يزيد من حيرة وضياع المسيحيين في ظل غياب الضمانات والحلول الآمنة والمستمرة...

- يجد المسيحيون واقعهم في لبنان بين نزعتين انعزالية ومشرقية، وقد تغيرت نظرتهم إلى الكيان من لبنان الملجأ الضامن تاريخياً لهم، إلى لبنان المرفق للهجرة وساحة حروب أهلية تُهدد وجودهم.

وجود المسيحية المشرقية نقيض صراع الحضارات

لمواجهة كل هذه التحديات يتعمق السؤال عن الوجود المسيحي في لبنان ومصيره: المعنى والدور بين خيارات المستقبل والنهضة الجديدة.

فهل المسيحية فعلاً في خطر يُواجهها في مهدها؟ وهل يستطيع المسيحيون الشرقيون إعطاء معنى ودوراً ورسالة لوجودهم في شرقٍ طابعه الغالب إسلامي؟

تحدٍّ وأسئلة تُفتش عن استجابة وأجوبة. خاصةً بعد أن بات الوجود المسيحي في العالم العربي جزءاً أساسياً من أزمة العروبة والعولمة والتحديات الأممية والوطنية.

- التحدي الأول والأساسي الذي يُواجه الوجود المسيحي في العالم العربي عامة ولبنان بشكلٍ خاص هو تداعيات مقولة صراع الحضارات، كنظرية أحادية لفهم تاريخ البشرية وتفسيره.

وتختصر هذه المدرسة الصراع في منطقتنا بأنه بين الحضارة الإسلامية من جهة، والحضارة المسيحية- اليهودية من جهة أخرى.

وتشجع الصهيونية والمسيحيون الجدد في الولايات المتحدة هذه النظرية، وتختبئ في ظلها إسرائيل للاستقواء بالغرب المسيحي عموماً، بغية تحريض المسيحيين على الإسلام.

ولغرض ضبط إيقاع هذه النظرية وإظهار صوابيتها، تعمل القوى المؤيدة لها على إلغاء المسيحيين الشرقيين من العالم العربي والإسلامي.

لذلك حيث هناك احتلال إسرائيلي وأميركي نشهد عمليات تهجير للمسيحيين، من خلال التضييق عليهم وتشجيع سفرهم إلى دول أوروبية وأميركية.

وهذا ما يحصل فعلياً في فلسطين والعراق خصوصاً، بالإضافة إلى نتائج الصراع على سوريا ولبنان ومصر عموماً، لأن المسيحية الشرقية هي شاهدٌ فعلي على التعددية والتعايش والحياة المشتركة في المشرق العربي.

انطلاقاً من ذلك، بات الوجود المسيحي في النطاق الأنطاكي النقيض الوجودي لنظرية صراع الحضارات التي هي مظهر للصراع بين الأديان.

والتجربة اللبنانية هي النموذج التعددي والديمقراطي المناقض للدولة اليهودية في فلسطين المحتلة.

دمج الاستعمار الغربي بالعقيدة المسيحية

- التحدي الثاني هو تنامي الحركات التكفيرية الإسلامية، التي تسعى إلى إلغاء الآخر المسيحي والإسلامي الذي لا يشاركها الرأي والتفسير، وتعمل على طرده من دار الإسلام، بالإرهاب والقتل.

تنطلق هذه الحركات من دمج الاستعمار الغربي بالعقيدة المسيحية، وتُكفر كل من لا يُوافقها النظرة، إن كان مسيحياً أم مسلماً.

هذا التحدي لا يواجه المسيحيين الشرقيين فقط، بل هو تحدٍّ مصيري للإسلام المعتدل أو الليبرالي، كما هو تحدٍّ للعروبة نفسها التي تواجه مأزقاً بين مدارسها، حيث يربط بعضها العروبة بالإسلام. بينما مدارس أخرى تحاول التمييز بين العروبة والإسلام، وتطرح مفهوماً

جديداً للعروبة الحضارية التي تعتبر المسيحية والإسلام جزءاً من حضارتها، وتعمل على قيام دولة عربية مدنية ديموقراطية.

- يتمثّل التحدي الثالث في انزلاق بعض الفئات المسيحية في لبنان أساساً ولها أصداء في سوريا والعراق ومصر والسودان إلى منطق انعزالي يرتكز على وهْم قيام دولة أو كانتون للمسيحيين، كمخرج وحيد لحمايتهم من البحر الإسلامي، مما يؤدي إلى تحالف بين هذه الجماعات والمخططات الغربية عموماً، وهي الرامية إلى تفكيك المنطقة ضمن مشروع أميركي- صهيوني للشرق الأوسط الجديد، قائم على أساس دويلات طائفية، الغرض منها استغلال خوف المسيحيين من جهة، وتبرير قيام إسرائيل كدولة يهودية من جهة أخرى، مما يحفظ أمنها على حساب الآخرين. أدى هذا المنطق إلى انقسام المسيحيين في ما بينهم وإلى تشرذمهم، وتفتيت وجودهم وتعرضهم إلى حملة من المضايقات، وصولاً إلى إحباطهم وتسهيل هجرتهم لأسباب اقتصادية أو لظروف التمييز والقهر. وهكذا أضحى المسيحيون في المشرق: بيت بغرف كثيرة.

عقدة حروب الفرنج وحلف الأقليات

كيف تستجيب المسيحية المشرقية؟

بداية، لا بد من قراءة تاريخية نقدية لفهم وتجاوز مسألتين أساسيتين:

الأولى: عقدة حروب الفرنجة التي سُمّيت غربياً الحروب الصليبية. وهي في الواقع حملات أوروبية لخدمة المصالح القومية الأجنبية، اتخذت من الدين غطاءً ومبرراً. واضطهدت فعلياً وعملياً المسيحية الشرقية، وحاولت إلغاء خصوصيتها وهويتها من أجل المسكونية. وهي اسم آخر للغربنة، علماً أن المسيحية أساساً هي بنت الشرق. من هنا أصلها وجذورها.

الثانية: عقدة حلف الأقليات، وهي نشأت مع المسألة الشرقية التي اخترعها الاستعمار الأوروبي، من أجل تبرير التدخل في شؤون الرجل المريض أي السلطنة العثمانية وتفكيكها. ورثت إسرائيل هذا النهج وعملت على قيام حلف الأقليات من خلال الاتصال بالقيادات وإيهامها بجدوى هذا الحلف. وسرعان ما تبين أن إسرائيل تسعى إلى المصالحة، وعقد اتفاقيات مع الأكثرية على حساب الأقليات التي استعملتها للضغط عبر التغرير بمشاعرها.

ولعل مصير جيش لحد هو أبرزها، إذ عبّر عنه أنطوان لحد بقوله خدمنا إسرائيل 25 سنة فتخلت عنا خلال 25 ساعة.

سؤال آخر: ما هو خيار المسيحيين الشرقيين؟

في العودة إلى التاريخ، يتبين لنا أنه عندما اختارت نخبة مسيحية أن تكون رائدة في النهضة والحداثة والعلم والعقلانية، حجزت موقعاً متقدماً. وكان لها حضوراً حضارياً متميزاً. وعندما اختارت الحل العسكري تحولت إلى ميليشيات ألغى بعضها بعضاً، فكانت نكبة على المسيحيين وعلى المجتمع اللبناني المشرقي ككل.

في الخلاصة، على المسيحيين أن يتمسكوا بهويتهم الأنطاكية المشرقية وأن يكونوا شهوداً للحق، كما عبّر مؤخراً مسيحيو فلسطين في وثيقة وقفة حق، تعبيراً عن لاهوت التحرر والمقاومة ضد الظلم والاستبداد الإسرائيلي.

لقد سبق أن دعا السينودس من أجل لبنان، المسيحيين إلى التضامن مع القضايا العربية المحقة، لأنهم جزءاً أساسياً من حضارة العالم العربي ومصيره. لكن الترجمة العملية لهذه الدعوة ما زالت متعثرة. وعلى المسيحيين التمسك بهويتهم المشرقية، والتزام بناء دولة المواطنة والعدالة والمساواة والديموقراطية، لأنها الضامن الوحيد لوجودهم.

نموذج جديد للحضارة الإنسانية

وبهذا المعنى، للمسيحية المشرقية دور ورسالة مسكونية، شرط أن يعي المسيحيون تاريخهم وجوهر وجودهم في هذا المشرق، لأنهم الأقرب إلى المسيح وهم حملة رسالة المحبة والتسامح والخلاص. وهم الأقدر على تقديم نموذج الحياة المشتركة لخلاص البشرية من التصادم والتناقض والحروب والدمار، بعدما أخفقت الحضارة الغربية في إعطاء قيمة للإنسان وللقيم الروحية.

المسيحيون الشرقيون مدعوون إلى تقديم نموذج جديد للحضارة الإنسانية، خصوصاً بعدما نشأت الحضارة الغربية التي تدّعي المسيحية وقضت على البعد الروحي للإنسان.

هم مدعوون إلى أن يكونوا رسل حضارة كونية جديدة قائمة على مرتكزيْن:

1 - التعددية الاجتماعية، أي الاعتراف بحق الاختلاف ضمن الائتلاف والتضامن، من أجل القضاء على الفقر والظلم والجهل والاستبداد. لذلك هم شهود على هذه التعددية المتميزة، حيث يتم الالتقاء بين المسيحية والإسلام.

2 - أنسنة الحضارة عبر المزاوجة بين البعدين المادي والروحاني. فللإنسان مصالح وحاجات مادية يجب توفيرها بشكل طبيعي وسليم من دون استغلال أو حرمان أو إفراط. وللإنسان أيضاً بعد روحاني ذو تطلعات عقلانية جمالية نفسية ومُثل عليا وقيم ومناقب، من دونها لا قيمة لأي حضارة أو ثقافة.

بالنتيجة ولذلك، يجب:

تفعيل الدور المسيحي ببناء الدولة الوطنية الديمقراطية. فعودة الدور المسيحي الفاعل والبناء والمنتج وطنياً ومشرقياً، يبدأ بالإصلاح وإعادة بناء كنيسة البشر لا الحجر.

لقد نال المسيحيون عامة والموارنة بشكلٍ خاص امتيازاتهم مكافأةً لهم على إنجازاتهم وتتويجاً لدورهم وريادتهم في عصر النهضة. العودة إلى هذا الدور تستوجب العودة إلى الريادة بإعطاء لبنان معنى جديداً عبر بناء دولة مدنية ديموقراطية ومقاومة لكل ظلم وهيمنة واحتلال، وإطلاق نهضة جديدة في إطار إعادة صياغة علاقات التعاون في مشرقهم؟

فهل يستجيب المسيحيون لهذه التحديات، ويكونون المعنى الجديد في هذا المشرق ويقودون الرسالة والدور الذي دعاهم إليه المسيح، وهم الأقرب منه وإليه؟

المشرق.. واليقين الآتي

الأب الياس زحلاوي

في الأزمات الكبرى، تطرح الأسئلة الكبرى.

وما أكثر الأسئلة المطروحة على كنائسنا كلها، اليوم أكثر من أي وقت مضى.

أرجو أن تسمحوا لي باختزالها كلها في سؤالين اثنين:

الأول: فيم الفرقة حتى اليوم، بين مسيحيي هذا المشرق المصلوب، وقد باتوا أشبه برزمة صغيرة في بحر من غير المسيحيين؟

الثاني: هل من رجاء حقيقي في قيامة لنا بعد اليوم، في هذا المشرق عينه؟

في نطاق إجابتي على السؤال الأول، أود أن أذكّر بالمحاولات الكثيرة، والجادة والمتكررة، التي قامت هنا وهناك، بهذا الشأن... والمعروف أن معظمها قام بمبادرة من مسيحيين مدنيين، ينتمون إلى مختلف الكنائس.

كلها فشلت، أو بالأحرى أفضت إلى نجاحات محلية، منقوصة كما في مصر، أو ضيقة جداً، كما في بعض المناطق في سورية ولبنان...

قلت: كلها فشلت، إلا واحدة، قامت في الأردن، بمبادرة من زعماء القبائل المسيحية هناك، وقد أخذ بها منذ عام 1969، ولكن فقط في نطاق توحيد تاريخ عيدي الميلاد والفصح، إذ بات الجميع يحتفلون معاً بعيد الميلاد، وفق التقويم الغربي، وبعيد الفصح وفق التقويم الشر قي. ولقد عرفت ذلك شخصياً، من مطران عمان يومذاك، المرحوم سابا يواكيم.

وهل من يجهل أن مثل هذا الحل، هو، في نطاق الوحدة المنشودة والضرورية بين المسيحيين - أقلّه في العالم العربي - أدنى الحلول المطلوبة؟

فلم الإصرار العنيد على رفض حتى مثل هذا الحل المنقوص، فيما المؤشرات البشرية كلها، تنذر باقتلاعنا الوشيك من أرضنا المشرقية، ومن مجتمعاتنا العربية، وذلك في مرأى ومسمع من جميع كنائس الغرب، وعلى رأسها الفاتيكان؟

هذا السؤال بعينه يقودني إلى ما سميته، في مطلع حديثي، السؤال الثاني، وهو الأهم: هل من رجاء لنا بعد اليوم، في قيامة حقيقية في مشرقنا هذا بعينه؟

دعوني أولاً أُجرِ مقارنة، ضرورية، وإن مؤلمة، بين ماضٍ قريب منا وحاضرنا هذا.

إبان كارثة حزيران عام 1967، وتدّفّق نازحي الجولان إلى دمشق، هبت الكنائس كلها في دمشق،لنجدة الناس. وسرعان ما تداع ى المسؤولون في بطريركيتي الروم الأرثوذكس والروم الكاثوليك في دمشق. فعقدت اجتماعات مكثفة فيهما، وأسعدني الحظ أن أشارك فيها كلها. وانتهت في سرعة إلى تنظيم عمل مشترك، كُلفِّ به أحد الكهنة الشبان، فاستنفر الطاقات، ولكم كان تجاوبها فعالاً وواعداً! وكان أن تواصل هذا العمل المشترك، لفترة طويلة، في متابعة جادة من مسؤولي البطريركيتين جميعاً.

وأما خلال الحرب الجهنمية التي ش نت على سورية، فقد ظلّت المؤسسات الكنسية كلها متمسكة بمواقعها الخاصة، ولم تبدر منها كلها، في حدود علمي، أي بادرة لعمل مشترك فيما بينها...

صحيح أن بيانات باسم السادة البطاركة الثلاثة في سورية، كانت تصدر بين حين وآخر، ولكنها كانت أبداً تبدو لي، إزاء ما كان يجري من أهوال متلاحقة على كامل الأرض السورية، وخصوصاً إزاء ما كان يعَلَن عنه، بكل سفالة، من قبل المسؤولين السياسيين في الغرب كله، وأجُرائهم من عرب وسواهم، أقول: هذه البيانات كانت أبداً تبدو لي، دون ما هو مطلوب بما لا يقاس... وما كانت النبرة العامة والاستعطافية، في هذه البيانات المسؤولة، لتتبدل بين واحد وآخر...

أجل، كنت أتوقع من المسؤولين الأعلين في كنائس تُُه دد على نحو وقح في وجودها واستمرار بقائها الحي والفعال في أرضها الأولى، وقفة عز وتحد،يليقان بمن يشاهدون كل يوم وبأم العين، حرب إعدام حقيقي ونهائي، لجميع أبنائهم وبناتهم، في مشرقنا هذا!

وقد يكمن مبرر صمتهم هذا الواضح، في خشيتهم على كنائسهم المنتشرة بكثافة في المغتربات جميعاً، وقد يعرفون بهذا الشأن أموراً خطيرة، لا يعرفها الكثيرون...

وإلى ذلك، فهل هناك ما يبرر مثل هذا الصمت أيضاً، إزاء كنيسة روما، وهي الكنيسة الأم بالنسبة إلى كنائسنا الكاثوليكية، والكنيسة الأولى في شركة الإيمان، بالنسبة إلى الكنائس الأرثوذكسية؟

وهذا بعينه، وباختصار شديد، ما كنت أرى من واجبي وبوصفي مجرد كاهن، أن أطالب به أصحاب القداسة، البابا يوحنا بولس الثاني، والبابا بينيدكتوس السادس عشر، والبابا الحالي فرنسيس ... منذ عام 1991، في جميع رسائلي الشخصية أولاً، ثم المفتوحة؟

وهذا بعينه أيضاً. ما رأيت من واجبي أن أقوله للكردينال ماريو زيناري، وهو السفير البابوي في دمشق، يوم استدعاني إلى السفارة البابوية صباح 2021/4/8.

صحيح أني لست سوى كاهن. إلا أني أرى من واجبي ككاهن عربي كاثوليكي مشرقي، أن أطالب دون خوف أو تر دد، قداسة البابا، أياً كان اسمه، بوصفه ممّثلاّ للرب يسوع، باستخدام اللغة عي نها التي كان يسوع يستخدمها في كلامه عن المتجبرين في الأرض كلها، سلطةً ومالاً، وفي تماهيه أيضاً، المطلق والفريد، مع جميع المظلومين والفقراء والمحرومين، والمهمشين في الأرض كلها... وإلاّ، ف من ترُاه يمثّل؟

وهذا بعينه، أيضاً وأيضاً، ما كنت أتوّقّع من رؤسائي وآبائي بطاركةً وأساقفةً، أن يقولوه صريحاً لكنائس الغرب الصامتة، وحكام الغرب الظَّلَمة!

آن لي أن أكمل جوابي بشأن السؤال الثاني الذي افتتحت به كلمتي:

هل ثمة من رجاء حقيقي في قيامة لنا بعد اليوم في مشرقنا هذا؟ قلت إن المعطيات البشرية تؤكّد النفي...

ولكن ما حدث في دمشق بالذات، ومنذ أواخر شهر تشرين الثاني من عام 1982 حتى اليوم، في حي الصوفانية المتواضع، يقطع بقيامة محتومة ومشرقة، جاءت رسائلها كلها

على لسان السيدة العذراء أولاً، ثم على لسان السيد المسيح... وباللغة العربية، المحكية والفصحى... فهل من صدفة؟

حسبي الآن أن أنقل لكم بعضاً من رسائل العذراء مريم أولاً، ثم الرب يسوع، وفق تاريخ ومكان ورودها، ولكن دون أي تعليق.

السيدة العذراء:

يوم 1982/12/18، المكان: دمشق - الحالة: الظهور الثاني - مطلع الرسالة:

أبنائي، أُذروا اللَّه لأن اللَّه معَنا.

أنتُم تعرفونَ َّ لشيءٍ، ولا تعرفونَ شيئاً.

***

أحبوا عضُكم عضاً،

أنا لا أطلب مالاً عطى للكنائس، ولا مالاً يوزّع على الفقراء، أطلب المحبة...

يوم 1983/3/24، المكان: دمشق - الحالة: الظهور الخامس - مقطع:

أبنائي،

... الكنسةُ التي َّ تبناها سوعُ، نسبةٌ واحدةٌ، لأنّ سوعَ واحدٌ.

الكنسةُ هي ملكوتُ السمواتِ على الأرضِ.

مَ نْ َّ قسمَها أخطأَ. ومَنْ فَرحَ بتقسمِها، فقد أخطأ.

بناها سوعُ، انت صغيرة، وعندما َبُرتْ انقسَمتْ... ومَنْ قَّسمَها ليسَ فهمحّةٌ.

اجمَعوا.

***

أنتُم ستعّلمونَ الأجيالَ لمةَ الوحدةِ والمحّبةِ والأمان... .

يوم 1983/11/4، المكان: دمشق - اللغة العامية - الحالة: انخطاف - مقطع:

***

قلبي احترق على ابني الوحيد، ما رح احترق على أولادي

يوم 1985/5/1، المكان: دمشق - الحالة: انخطاف - كاملة:

أبنائي،

اجتَمِعوا. قَلبي مجروحٌ.

لا تدَعوا قلبي ينقسمُ على انقسامِكم.

ابنتي، سأُعطكِ هدّةَ أتعاك.

يوم 1985/8/14، المكان: دمشق - الحالة: انخطاف - كاملة:

أبنائي،

كلّ عـام وأنتو بخير.

هادا هوّه عيدي لمّا شوفكن لكُن مجتمعين مع عض.

صلاتكُن هه عيدي. إمانكُن هوّه عيدي.

اتّحاد قلوكُن هوّه عيدي.

يوم 1989/11/26، المكان: دمشق - الحالة: انخطاف - مقطع:

أولادي، قال سوعُ لطرس:

أنتَ الصّخرُةُ، وعليها سَأبني نسَتي. وأقولُ أنا الآنَ:

أنتمُ القلبُ الذي فه سيَبني سوعُ وَحدانيّتَه.

يوم 1990/8/15، المكان: بلدة براسكات ببلجيكا - الحالة: انخطاف - كاملة:

أبنائي،

صَلوا من أجلِ السلامِ، وخصوصًا في الشّرقِ، لأنكمْ لكم إخوُةٌ في المسحِ.

السيد المسيح

يوم 1984/5/31، المكان: دمشق - الحالة: انخطاف - مطلع الرسالة:

ابنتي،

أنا البداة والنهاة. أنا الحقّ والحرّة والسلام...

يوم 1986/11/26، المكان: دمشق - الحالة: انخطاف - مطلع الرسالة:

ابنتي، ما أجمل هذا المكان!

فه سأنشئ ملكي وسلامي،

فأعطكم قلبي، لأمتلكَ قلَ كم...

يوم 1987/11/26، المكان: دمشق - الحالة: انخطاف - مقطع:

ابنتي

***

استمري في حياتك زوجة وأماً وأختاً اذهبي وَشِّر ي في العالِمِ أجمع،

وقولي بلا خوفٍ أن عمَلوا من أجلِ الوحدة.

يوم 1988/8/14، المكان: لوس أنجلوس في الولايات المتحدة - الحالة: انخطاف - كاملة:

أبنائي،

سَلامي أعطيتُكم، لكن أنتُمَّ أي شيءٍ أعطيتُموني؟ أنتُم نسَتي، وقلكم مُلْكٌ لي، إلاّ إذا هذا القلبُ امتَلكَ إلهًا غيري.

لقد قلتُ:

الكنيسةُ هي ملكوتُ السمواتِ على الأرضِ، مَنْ َّ قسمها أخطأ، ومَ نْ فَر حَ بتقسمِها، فقد أخطأ.

فأهْونُ علي أن يَدينَ افُر اسمي، على الذين يدعون الأمانَ والمحبّةَ ويحلِفونَ باسمي.

علكم أن تفتَخِروا واحدَة.

صَلوا من أجلِ الخطأةِ الذين غفِرونَ اسمي، والذينَ يُنكِرونَ أمّي.

أبنائي، أعطيتُكم وَقتيَ له، أَعطوني جزءًا من وقتِكم.

يوم 1988/9/7، المكان: دمشق - الحالة: انخطاف - كاملة:

ابنتي،

لقد قلت لك أن تقوي على جمع المصاعب، واعلمي أن لم مّر علك إلاّ القليل منها.

قولي لأبنائي أنني أطلبُ منهم الوحدةَ، ولا أردُها من الذين يمثّلونَ عليهم أنهم يعملونَ من أجلِ الوحدة.

اذهبي وَشِّر ي. وأينما نتِ فأنا معكِ.

يوم 1988/10/10، المكان: معاد، لبنان - الحالة: انخطاف - كاملة:

ابنتي ماري،

لماذا تخافينَ وأنا معَكِ؟

عَلكِ أن تتكّلمي، و صوتٍ عالٍ، كلمةِ الحقّ عن الذي خَلقَكِ لتظهَر قُوّتي فكِ.

وأنا سَأُعطيكِ من جِارحاتي لتَنْسَي عذابِ الشرِ لك.

لا تختاري طرقَكِ، لأني أنا رسمتُها لكِ.

يوم 2004/4/10، أي قبل الحرب على سورية بسبع سنوات، وبحضور عدد كبير من لاهوتيين وأطباء وإعلاميين، من الولايات المتحدة ودول أوروبية وعربية كثيرة... المكان: دمشق - الحالة: انخطاف - كاملة:

وَوصيتي الأخيرةُ لكُم:

ارجِعُواُّ ل واحِدٍ إلى بيتِه، ولكنْ احملواَّ الشر قَ في قُلوكم.

مِن هنا انبثقَ نوُر من جديدٍ، أنتم شُعاعُه، لعالمٍ أغوَتْه المادّةُ والشّهوُةُ والشّهرة، حتّى ادَ أن فقِدَ القمَ.

أمّـا أنتُم،

حافِظوا على شَرقيتِكم.

لا تَسمَحوا أن تُسَلبَ إرادتُكم، حرّتُكم ومانُكم في هذا الشّر ق. -8 يوم 2014/4/17، أي في قلب الحرب على ســورية، وفي يوم عيدها الوطني، وكان يصــادف يوم الخميس العظيم من أسبوع الآلام.

المكان: دمشق - الحالة: شبه انخطاف - كاملة:

الجارحُ التي نَزَفتْ على هذِه الأرضِ، هي عينُها الجارحُ التي في جَسَدي، لأنّ السببَ والمسبِّبَ واحدٌ.

ولكنْ ونوا على ثِقَةٍ،

أنّ مصيرَهم مثلُ مصيرِ يهوذا.

هل من حاجة لمزيد؟ شكراً

Archaeology and Monument Protection - Tracing, Documenting and Preserving the Christian Remains in Syria

Balázs Major
Pázmány Péter Catholic University
Hungary

The area of historical Syria is rightly called the Cradle of Civilisations and it was also the birthplace of Christianity.

Many of the main events at the genesis of the new religion and church took place in the area of present-day Syria, which still has a considerable variety of Christian churches.

Tracing the history of these various denominations especially after the Muslim conquest is not an easy subject as written sources are very scarce and, in some cases, rather unreliable.

Even the approximate number of the Christians is a question, and it is also very hard to give an estimate of the speed of their decrease.

However, we know that it started to accelerate considerably around the end of the 13th century.

Built on the Muslim sources of biographical dictionaries scholarly research indicated that Islamization was a very slow process after the first centuries of the Muslim conquest in Syria.(1)

Although this data was derived mainly from sources referring to segments of the urban population this is likely to have been the case in the countryside too. Possibly even more.

(1) Bulliet 1979.

An important tool that can help completing the rather incomplete picture is archaeology, which, in certain regions can yield very important and relatively detailed data, that is non-existent in the written sources.

This is all the truer of the period that started from the end of the 10th century, and which is called the Eastern Christian Renaissance.

This was a period when the Syrian coast was more actively entangled in international politics, which resulted in a growing number of Arabic sources, but it is actually the study of the built heritage and especially the wall paintings of the period, that provide more depth in our knowledge of this period.[1]

Near Eastern civilizations were always urban centred and paid less attention to the countryside.

The best period to study this aspect of Christianity in medieval Syria is the 12th and 13th centuries, when both the written sources and the quantity of relevant archaeological remains started to grow considerably.

The settling of Europeans in their newly established Crusader states resulted in more intensive political activity which drew the attention of both Oriental (mainly Arabic, Syriac, Armenian and Greek) sources and the newly appearing Latin sources.

Contemporary medieval European civilization was much more rurally oriented, and it resulted in the introduction of a new type of sources too, the Latin charters which gave the hitherto most precise picture on the villages.

In Syria it is the coastal region where these new sources can be employed the most effectively.

Still this written data is too meagre to result in a detailed picture on the rural areas.

It is archaeological fieldwork that can enhance the picture with dozens of lesser monuments detected that are not mentioned in any written source.

(1) Dodd 2004; Immerzeel 2009.

The more than two decades long archaeological fieldwork and surveying of the Syro-Hungarian Archaeological Mission[1] detected many hitherto unknown sites that not only draw a more detailed picture on the coastal countryside, but also on the strong contemporary Christian presence, which today is only reflected by these monuments in many cases.

The following examples will try to illustrate the above-mentioned.

Eastern Christians in the Syrian coast according to the written sources of the 12th and 13th centuries

The only medieval estimate on the number of Christian inhabitants of the Syrian coast from the contemporary sources is found in the Descriptio Terrae Sanctae of Burchard of Mount Sion who lived in the Holy Land for a decade in the 1270s and 1280s.

He mentions that in the coastal regions he visited the ratio was thirty Christians to one Muslim.[2]

This might have been an exaggeration, but clearly reflects the still considerable number of Christians in the second half of the 13th century.

The rest of the sources are even more hard to decipher both with regard to the number of the indigenous Christians and to their affiliations to the various Oriental Churches.

From the occasionally surfacing data and the present situation we get the impression that it was the Greek Orthodox that constituted the largest Christian denomination.

The rather frequently featuring word Suriani in the Latin sources seems to refer to them, who used Arabic in everyday life, but Greek in the liturgy.[3]

Especially following the Byzantine reconquest the elite of Antioch and perhaps the majority of its inhabitants were Greek Orthodox and the main port of the Syrian coast, Latakia was also said to have been a city inhabited by Greek Christians.[4]

(1) Major 2015.

(2) Burchard of Mount Sion, Descriptio, 214.

(3) Pringle 2003: 163; Weltecke 2006: 110.

(4) Albert of Aachen, Historia Ierosolimitana, 476, transl. 477.

In the case of the rest of the coastal towns and their hinterland the written sources are more silent and we can rely only on a handful of mentions, the region around the largest centres having the most references.

Such was the great Hopitaller castle of the Crac des Chevaliers (present day Qal'at al-Husn), where the tax-exemption of the local Suriani was testified to in the charters.[1]

The region of the Wādī is still overwhelmingly Greek Orthodox, but the medieval charters indicate a far larger Greek Orthodox settlement area as a charter issued in 1127 is mentioning them in the villages of Theledehep and Cartamare close to Rafaniyya in the Ghāb too.[2]

There is at least one strong hint that some of the local Syrians might have been incorporated to the elite of the County of Tripoli.

The donation charter of the count to the Hospitallers in 1142 mentions a cavea, cave castle that belonged to a certain David the Syrian.[3]

Greek Orthodox Christians lived in considerable numbers in the diocese of Valenia (present day Bānyās) too with Ecclesias Graecorum mentioned in a charter of 1225[4] and were represented by a Cour des Syriens in the Hospitaller castle of Margat (present day al-Marqab).[5]

Another frequently featuring Christian group was constituting of the Armenians, most of them not being indigenous but settled at the time of the Byzantine reconquest.[6]

The number of the Armenians was considerable in Antioch and its vicinity,[7] to such an extent that following internal disputes, they tried to acquire Antioch as early as H. 365 (975/76).[8]

(1) Riley-Smith 1967: 454-455.
(2) RRH, no. 118.
(3) Cartulaire I, no. 144; Richard 1994: 187-193.
(4) RRH, no. 971.
(5) Cartulaire I, no. 457.
(6) Tate 1992: 155-156; Michael the Syrian, Chronique, III, 198; Dadoyan 2001: 160.
(7) Yahyā ibn Sa'īd al-Antākī, Ta'rīkh, 149; Weltenberg 2006: 79-92.
(8) Yahyā ibn Sa'īd al-Antākī, Ta'rīkh, 149.

Armenian bishops coming from the Syrian towns of Latakia and Apamea in the Armenian church council held at Hromkla in 1179,[1] show that their numbers were considerable to the south of Antioch too.

Their presence is well attested to in Margat for example, where after taking the castle in H. 511 (1117/1118) the prince of Antioch garrisoned it with Franks and Armenians.[2]

This presence not only meant soldiers, but also their families as Suriani vel Armeni in the suburb of Margat are mentioned in a charter of 1193.[3]

In 1225 ecclesias Armeniorum are mentioned in the diocese of Valenia which were on equal footing with the Greek Orthodox church and were ordered to obey the Latin bishop as they had no bishop of their own.[4]

A big handicap of the written sources is that they hardly make explicit mention of Christians of other denominations in the rural hinterland of the Syrian coast.

Maronites who were one of the most important group of Christians by the 12th century in Mount Lebanon and feature with considerable communities in the descriptions of travellers of the 17th to 19th centuries in some southern regions of Syrian coastal mountains[5] too, are entirely unmentioned in the medieval sources.

Jacobites or Syriac Orthodox appear only in urban context, and although their community in Antioch has dwindled by the 12th century,[6] they are mentioned to have possessed a church both in Latakia[7] and in Jabala.[8]

Past scholarship suggested that they still made up a large part of the simple rural population, at least in the Principality of Antioch.[9]

---

(1) Sanjian 1984: 197.
(2) Ibn 'Abdazzāhir, Tashrīf, 85.
(3) Cartulaire I, no. 941.
(4) RRH, no. 971.
(5) Eg. mentioned by: Maundrell 1697: 397; Pococke 1745: 201; Walpole 1851: III/294.
(6) Weltecke 2006: 108.
(7) Cahen 1940: 165.
(8) Rey 1883: 355.
(9) Cahen 1940: 338.

Nestorians are usually only mentioned in general enumerations of Christians living in the northern part of the Holy Land, like that of Tripoli by Burchard of Mount Sion, and the only one mentioned to have lived in a rural settlement was living in Synochim near ʻArqa.[1]

Whether the Georgian commander Spandaghud son of Tbeli who is mentioned in a Greek-Georgian bilingual inscription from 1031 found in the region of Qal'at al-Mahāliba[2] had Georgian soldiers and families with him, and whether any survived to the 12th century is a question, but we know that the Georgians had a strong ecclesiastical presence around Antioch, especially in their monasteries in the Black Mountains.[3]

Ecclesiastical sites in urban centres

As we have seen Eastern Christian presence is naturally better documented in the written sources concerning the cities, but in Archaeology it is not necessarily so.

Although buildings erected in the economically better funded cities and towns are regularly larger and sturdier that those in the countryside, but historical vicissitudes hit the urban centres more often and development also tends to concentrate in these areas, often erasing every trace from above the ground level.

This is what happened in the medieval episcopal town of Valenia (present day Bānyās), where the ruins of a small medieval church were

still mentioned in the 18th century,[4] but are not visible anymore, so it is impossible to tell whether it was belonging to Oriental Christians or the local Latins.

The neighbouring town to the south, Maraclea (present day Kharāb Marqiyya) was the seat of a bishopric in the Late Antiquity, but the settlement became so inconsiderable by the 12th century that its title was held by the bishop of neighbouring Tortosa.[5]

(1) Burchard of Mount Sion, Descriptio, 136.
(2) Aliquot & Aleksidzé 2012: 194-196.
(3) Djobadze 1986: 3-13.
(4) Remains of the church described by Pococke 1743: 200.
(5) Richard 1945: 58.

Now even the exact location of the medieval town is a question.

Although not a bishop's seat, Jabala is described to have been a very rich town of the 12th century coast.[1]

However, it is also a good example of how the traces of Christian presence can entirely disappear from an important settlement.

There are no certain church remains in the whole town, although the triple-naved Great Mosque of the city has been speculated to have taken the site of a former Christian church[2] and the small Mamluk period shrine on the southern border of the town has a reemployed arch that might have belonged to a medieval church.

No trace remains of the Jacobite church and a church of St. Georges.[3]

This loss of the original sites of devotion seems to have started early here as already in the 17th century Maundrell mentions that the only chapel the Christians of Jabala were allowed to use was a simple grotto with drystone altar outside the town.[4]

Better is the situation in the two main port towns.

Tortosa (present day Tartūs) had the only cathedral shrine in the whole patriarchate of Antioch,[5] and the medieval cathedral which was built by the Latins and is preserved in a perfect shape, today serves as the Museum of the governorate.

The ancient churches of the Eastern Christians have at the same time disappeared entirely.

Luckily the case is different in the other major coastal city, Latakia, which preserved the greatest variety of medieval churches in the Syrian coast.

(1) RRH, no. 586.
(2) Pococke 1743: 198
(3) Cahen 1940: 170-171.
(4) Maundrell 1697: 395.
(5) Hamilton 1980: 143.

The city already had several ecclesiastical establishments mentioned in the 12th century,[1] but their identification with the surviving buildings is not always certain.[2]

From the still functioning churches one of the best preserved medieval one is the Greek Orthodox Church of Our Lady, which given its form seems to have originally been a church of Latin rite.

The Greek Orthodox Church of St. Nicolas and possibly elements of the building of the Greek Orthodox Archbishopric are also medieval.

Given its inscription, the still functioning Church of Our Lady of the Armenians was founded in 1254.

Although the Great Mosque is said to have been built with the transformation of the cathedral, the present-day building does not show any element that might have belonged to a church.

However, two other mosques were clearly built incorporating former churches of unknown origin.

One is the al-Imshātī, the other is the al-Qubba mosque. (pict. 1) This latter seems to have been of Eastern Christian origin.

Amongst the lost churches of Latakia we can count with the site of the Roman triumphal arch having been constructed in 194, which was transformed into a church in the Middle Ages.

This is clearly testified by a medieval wall painting fragment of a saint still visible in the 1980s.

Whether the Late Antique hypogea shaft turned into a shrine of St.

Thecla outside the medieval city area was in use in the Middle Ages is a question.

(1) Eg. church of St Nicholas (RRH, no. 53), St Elias (RRH, no. 292), St Peter (RRH, no. 388) and description of Fārūs monastery: Dimashqī, Kitāb nukhbat al-dahr, 209.

(2) The most recent detailed summary of the medieval buildings of Latakia is found in: Kherbek 2019: 147-164.

The most famous ecclesiastical complex of medieval Latakia also stood outside the medieval city area, approximately one kilometre to the north of the castle hill.

It was the monastery of al-Fārūs which according to ibn Battūta is the greatest in the Levant and Egypt and is inhabited by monks and visited by Christians.(1)

Medieval churches in the countryside: the region of the Wādī

The Wādī al-Masīhiyyīn and its surroundings are the home to the largest number of Christians in Syria living in one block. (pict. 2) The overwhelmingly Greek Orthodox population on the southern slopes of the coastal mountains and the northern fringes of the fertile Biqā'a valley is indigenous so one might expect a larger number of medieval Christian remains that have been actually identified until now.

Given the many vicissitudes throughout its turbulent history it is not that all surprising and the relatively few medieval ecclesiastic sites of the region still provide material for a number of observations.

It tells a lot about the uneven survival of the written sources that the old spiritual centre of the Wādī, the Monastery of St. George, which seems to be mentioned as early as the Futūh of al-Wāqidī as a refuge place for the remnants of the Byzantine army after the battle of the Qattīna lake,(2) goes virtually unmentioned in the 12th and 13th centuries.

Its expected use and possible expansion are however reflected by some of the lower structures that are usually dated to this period.(3)

The mighty fortification of the nearby Crac des Chevaliers had a large suburb on the eastern slopes of the castle mountain with at least one church.

This church was richly painted by more than one master and although eastern and western artistic influences are both clearly discernible,

(1) Ibn Battūta, Rihla, 82.
(2) Robinson 1856: 571.
(3) Major 2015: 103.

scholarship is rather unanimous that the church belonged to the local peasants.[1]

The majority of them were certainly native Christians who are also mentioned as having taken refuge in the castle during its final siege of 1271.[2]

Using Latin elements in Crusader period Eastern Christian churches is documented in Lebanon and [3] Palestine.[4]

In the wider neighbourhood the chapel of Mār Tādrūs in the village of Blāt,[5] the medieval single-naved church of al-Shahhāra[6] and the double-naved church of al-Bahzīna[7] (pict. 3) were in all possibility churches of indigenous Christian villages.

We are not so certain about the old church of al-Nāsira which was described in the 1920s as partially dating from the Crusader period.[8]

This church shared the fate of so many in the Levant having been renovated by almost completely obscuring the older remains.

Some in-situ ashlars with slight traces of drafting on their margins and a walled-up medieval slit-window prove the truth of the dating.

However, given the nature of the mixing of eastern and western architectural and ornamental elements by the various denominations, it is not sure that the apparently western style was not used by Oriental Christians entrusting a western stone mason to construct the village church for them.

The single-naved parish church of A'mār al-Husn[9] is a similar case as the heavily reconstructed building only shows a number of diagonally tooled

(1) See: Deschamps 1964: 137; Riley-Smith 1967: 418-419; Folda 1982: 187-196.
(2) Ibn al-Furāt, Ta'rīkh, vol. II/145.
(3) Enlart 1928, II, 35; Coupel 1941-48: 46-52; Dodd 2004: 158-163.
(4) Pringle 1982: 15.
(5) Michaudel & Major 2010: 5.
(6) Michaudel & Major 2010: 14-15.
(7) Major 2015: 99-100.
(8) Enlart 1928: II, 267.
(9) Michaudel & Major 2010: 11.

ashlars in its walls that can be taken as the works of medieval European stone masons.

The foundations of a medieval style chapel and pilgrimage shrine on top of the Jabal al-Sayyida above Kafrūn was certainly used in the Middle Ages by the local Christians.[1]

The recently replastered walls of an altar screen in the interior are clearly seen on the picture taken in the 1940s,[2] so they would suggest an eastern, possibly Greek Orthodox origin of the church that is nowadays shared by both the Orthodox and Maronite communities.

Remains of churches outside the region still inhabited by a Christian majority testify to the former presence of Christians in the medieval times.

The gothic church designed for the Templar Knights in their donjon of Chastel Blanc (Sāfītā) was originally used by the Military Order but is now one of the churches of the local Greek Orthodox.

Perhaps these latter used the ruined church of Mār Ilyās too in the valley southwest of the medieval castle.

Its ventilation hole in the apse indicates Oriental use.[3]

The field surveys of the Syro-Hungarian Mission identified the remains of single-naved chapels close to the Crusader period towers of ʻĀsūr and Burj ʻArab,[4] which show that the medieval villages here were inhabited by Christians.

Further to the west in a presently non-Christian area stand the remains of the Late Antique basilica of Samka. (pict. 4) Surveying and documenting the site now used as a mazār revealed that during the middle ages the abandoned Byzantine period basilica was partially renovated, and a small groin-vaulted chapel was inserted into its central nave using its original apse.[5]

(1) Major 2015: 100-101.
(2) Mouterde 1944-46: Pl. VI, pict. 3.
(3) Major 2015: 101.
(4) Major 2015: 100.
(5) Major 2010: 137-138.

The new chapel had a cross-decorated lintel of the old basilica reemployed above its new western door and a similar architrave, perhaps from the entrance of another nave was reemployed at possibly the same time in the Crusader tower of Umm Hūsh 11 km to the east.

The survey of the medieval pottery scatter shows the same pattern as could be observed in the buildings.

The large basilica which was surrounded with a large extent of Late Antique pottery and building fragments including many cisterns, was only partially rebuilt by a reduced Christian population in the 12th and 13th centuries, whose characteristic sherds were concentrated only to a small area to the east of their little chapel.

The rural residences

A new group of archaeological remains that appeared in the Syrian coast together with the Crusaders was the rural residences usually comprising of at least one small tower.

They were the product of medieval European feudal structure, that was alien in the Levant[1] and thus the well-constructed towers and vaulted structures were a complete novum in the villages that were built of mudbrick and dry-stone.

Most of these were the home to a Latin knight and his family[2] but we have no information on either them or possible other Latin settlers, although it would be logical to expect at least a handful of other European families who served the lord living nearby.

Studies on contemporary rural residences of this type in Palestine showed that they were always constructed in Christian environment.

The European elite did not live amongst groups of other religions.[3]

Also most of these towers were constructed in the first wave of the European settlement, when the divided Muslim neighbours did not mean a serious threat to the countryside yet.

(1) Major 2009: 434.

(2) Major 1998: 217-223.

(3) Ellenblum 1998: 232-233.

Thus, such remains might be taken as an indicator for the presence of an Eastern Christian neighbourhood in regions where there are no Christians living and no historical document attests to their presence in the 12th century anymore.[1]

Such are the remains of medieval residential towers in ʻĀsūr, Burj ʻArab (pict. 5), Mīʼār Shākir, Ruwaysat Bjamʼāsh, Tall Kalakh, Tukhla, Umm Hūsh, and Yahmūr in the fertile hill country of the Gap of Homs close to the former Templar castle of Chastel Blanc (Sāfītā).

Also in this region are the remains of the Crusader courtyard house in Sumaryān.

It is probable that the peasants in the area of the Gap of Homs, who are said to have taken refuge in the castles[2] after the natural disasters of 1202, were Christians.

Remains of Crusader rural towers are found in the coastal strip itself from Tartūs to Latakia at Tall ʻAqdū, Balda, Tall Sūkās and Burj al-ʻUwwāmiyya.

A unique 13th century construction was the tower at Kharāb Marqiyya.

This is the only tower where the name of its Latin owner and also his sad story is known, all this from a Muslim source.[3]

Some other towers documented in the Syrian coastal region seem to have been built as guard towers so they can not necessarily be taken as indicators for permanent Christian presence in their neighbourhood.

Such were the towers of Burj Zārā and Burj al-Maksūr, which are likely to have been constructed by the Order of St John to guard their estates around the Crac.

The northern zone of the coastal mountains

Christian communities are considerably lesser in number in the north of the Syrian coast than in the aforementioned southern zone and their medieval presence is also less attested to in the written documents.

(1) For the detailed description of the towers see: Major 2015: 68-95.

(2) Mayer 1972: 304.

(3) Ibn ʼAbdazzāhir, Tashrīf, 88.

In this case the survey and documentation of medieval ecclesiastic and other Christian related monuments is even more important.

Eastern Christian presence must have been certainly very considerable on the coastal strip to the north of Latakia, even though the physical remains of it are still scarce.

The so-called Kanīsat al-Muqāta'a (pict. 6) is a rare example of a relatively well-preserved medieval village church in the willage of Burj al-Qasab, right to the east of the tell of Ugarit.[1]

The pointed arched semi-dome of the apse, the springings of which are defined by moulded string courses and the semi-circular arched recesses bordering its single nave make it likely that it was a Latin parish church of the village.

Also, it could have been a church of a rich Eastern Christian village designed by a Latin architect.

Close to it at present day Ra's Ibn Hānī stood the considerable settlement of Glorieta,[2] where the remains of a Byzantine basilica reused in the Crusader period was found by excavations.

A similar case was also excavated in Ra's al-Bassīt further to the north, where a small chapel was found in the apse of a Late Antique basilica, together with late 12th and 13th century pottery.[3]

Further inland, the castle of Saone (today Qal'at Salāh al-Dīn) preserved the churches of at least three different Christian denominations.

The fortress was originally founded in the second half of the 10th century by the armies of the Byzantine reconquest who attached a little Greek Orthodox chapel to the southern wall of their main castron.

The Crusaders who took the site at the beginning of the 12th century developed it into the main residence of the Saone family who greatly enlarged its buildings and added a much larger single-naved church to the former Byzantine one on its south.

(1) Major 2015: 98-99.

(2) Rey 1884: 335.

(3) Beaudry, Perreault, Mills 2008: 246.

This new church was certainly used by the Latin elite living in the castle proper.

However, the site had a strongly fortified suburb too, attached to it from the west, where two churches were found.

The one excavated close to its westernmost tip seems to have been a Latin church, perhaps the parish church of the European settlers.

Close to it stand the remains of another single-naved church (pict. 7), which was identified as an Armenian one built on certain architectural characteristics.[1]

It must have been the parish church of the Armenian population very likely settled by the Byzantines who stayed on during the new lords too.

Remains of other medieval Armenian settlements are found in this region.

The well-preserved remains of Dayr Tūmā were definitely of Armenian construction and as the name indicates the church enlarged at least once during the Middle Ages might have belonged to a monastery.

In ʻĀrāmo the village church,[2] the medieval church of St. George and the chapel of Virgin Mary in the adjacent cave are all bearing clear traces of Armenian origin.[3]

The pitched-roofed church building and the adjacent cemetery in Wāta al-Shīr, dated to the first half of the 12th century[4] might also have been an Armenian construction further to the north.

Armenians were strongly present in the Jabal al-Aqra' for sure as they even said to have possessed a cave fortress called Shaqīf Kafar Dubbīn that was taken from them by the troops of Salāh al-Dīn in the summer of 1188.[5]

(1) Pringle 2001: 108-112.
(2) Peña 2000: 235-236.
(3) Major 2015: 99.
(4) Michaudel 2009.
(5) Abū Shāma, al-Rawdatayn, IV/31.

Field surveys in this upper part of the Orontes River valley[1] have detected a huge number of rock-cut cells in the cliffs bordering the river especially in the cliffs of the region called Qandīl. (pict. 8) There are also a number of finely carved churches in the rocks of the so-called Dādākhīn area (pict. 9).

Most of these structures seem to date from the Late Antiquity but the presence of medieval pottery in many shows that they were still used in the 13th century.

The original inhabitants of these lavra are likely to have been Syriac monks, but who were present in the Crusader period is less certain.

As we know that the nearby Black Mountains to the north of Antioch saw the renaissance of monasticism both eastern and western during the 12th and 13th century[2] we shall not dismiss the presence of monastic communities in the northern stretch of the Orontes Valley too.

Margat and the existence of an Eastern Christian elite

In the year 1174 Abdelmessie raiz de Margat donated to the Order of St. John three quarters of the village of Meserafe while one quarter of the same village was reserved for his son Georgius.[3]

Given the name, ʻAbdalmasīh was certainly an Eastern Christian and at the same time the ra'īs of the castle of Margat, which belonged to the Mazoirs, the most influential family in the Principality of Antioch.

As the Mazoirs got bankrupted within a little more than a decade, they sold their properties to the same Hospitallers to whom ʻAbdalmasīh made his donation in 1174.

The charter of the transaction was witnessed amongst others by the …militibus Margati: dominus Zacarias; … dominus Georgius; dominus Theodorus[4] who are also likely to have been Eastern Christians of undefined denomination.

(1) Major 2015: 55-56.
(2) Djobadze 1986; Jotshicky 1995: 28-29.
(3) Cartulaire I, no. 457.
(4) Cartulaire I, no. 783.

The villa or suburb of Margat was thought to have been the northern part of the mountain plateau on which the fortress of Margat is situated.

This area covering roughly 5 hectares must have been the place where the European and Armenian settlers were brought when the site was taken by the Crusaders.

However recent surveys and excavations of the Syro-Hungarian Archaeological Mission have proved, that Margat had another suburb, almost twice as large as the one on the mountain top.[1]

In the western slope of the mountainside under the fortress remains of two churches, a cemetery and more than a dozen houses were found and partially excavated.

They all show a high quality of workmanship and the remains of rich material culture.

It also became apparent that the huge triple chambered bathhouse in the mountainside, that was thought to have been a Mamluk construction, belonged to this town and predated the Mamluk period.

From the archaeological material it seems that the settlement on the western slope was established sometime around the end of the 12th century and does not seem to have survived the final Mamluk siege in 1285.

From the few sources combined with this archaeological timespan it also very likely that the suburb under Margat is nothing else than the town of Valenia, which was destroyed by the troops of Salāh al-Dīn in the Summer of 1188 and is mentioned to have stayed destroyed and desolated for a long time.

It is very likely that the citizens of Valenia followed their bishop who is said to have taken refuge in Margat and did not return to rebuild their town which became stuck on the border between the Hospitallers and the Ayyubids but reestablished their town on the western slopes of the fortress of Margat.

(1) Major 2016: 117-140.

Of the two churches excavated a rather large quantity of wall painting fragments survived,[1] and their style indicates Oriental masters.

As there were at least two churches in the suburb, one might raise the probability, that they belonged to two different denominations, one Latin and the other an Eastern Christian one.

As the style of their decoration is Oriental it also would not be improbable that both belonged to Eastern Christians and the Latin settlers basically stayed in the inner suburb of the castle, where the first ones were settled in the end of the 1110s.

Given the high position fulfilled by ʻAbdalmasīh and the other Eastern Christian soldiers in Margat, it would also be worth to consider the probability that there was a local elite that was capable of funding the construction of local chapels or churches too.

Although there is no written documentation about locals establishing or sponsoring the decoration programmes of churches, recent interpretation of donor depictions in Lebanon shows that in the rural areas it was very likely the case.[2]

The high number of medieval churches or chapels in some Lebanese villages might also indicate that at least some might have been built as the chapels of an individual family.

The small village of Bahdaydāt lying in the area where the Maronite and Ortodox population borders each other has three churches (Mār Tawudrūs, Mār Nīkūlā and Mār Istifān) apparently used in the medieval period.

Two might be explained by the coexistence of two different denominations, but three is rather unlikely in such a small settlement. It is more probable that at least one of them was established as a family church of a local chieftain serving the Crusader lord.

Influential families establishing churches for their own use was very widespread in the Greek Orthodox part of the Eastern Christian world and

(1) Márk 2019: 250-252.

(2) Helou 2019: 244-245.

many of the famous and well-decorated rock-cut churches of Cappadocia were actually part of the residential structures of the local elite.[1]

There was also a tendency in Cappadocia that the smaller nave of a double-naved church was used for burial purposes.

The southern church in the outer suburb of Margat (pict. 10) with its very narrow northern nave might also have had the same function.

The scanty written sources supported by the archaeological remains indicate the existence of a local Eastern Christian elite in the 12th and 13th century Levant and their patronage of local chapels possibly also as family burial places cannot be excluded.

Possible ways of action

The Syro-Hungarian Archaeological Mission that is a joint research project between the Pázmány Péter Catholic University of Hungary and the Directorate General of Antiquities and Museums of the Syrian Arab Republic (DGAM) has launched a field survey project centred on the coastal region in the year 2000.

The main aim of this fieldwork is to detect and document as many Late Antique and medieval sites as possible, which then will be registered as protected sites by the antiquity services of the individual governorates.

This work was further developed by the joint excavation and research project that started in Qal'at al-Marqab (Margat), one of the largest medieval fortifications of the Levant.

The Mission held out and continued its work even after 2011 and since 2015, the Institute of Archaeology of the Pázmány Péter Catholic University started the training of dozens of Syrian students on MA and PhD levels in the framework of the Stipendium Hungaricum scholarship program provided by Hungary.

In 2016 the Mission was asked by the DGAM to start helping the damage assessment and planning the rehabilitation of the Crac des Chevaliers which was badly affected by the recent war.

(1) Ousterhout 2017: 49, 372, 477.

After establishing the priorities, the buildings in the UNESCO World Heritage site that were in the most critical condition were chosen for the planning of their rehabilitation and reconstruction.

This work was done with the involvement of the Syrian and Hungarian students, many of whom are also preparing their MA or doctoral theses from this or other Syrian coast related subjects.

The project that launched in 2020 was funded by the Hungary Helps Agency with the Syriac Orthodox Church volunteering to be the local partner of the Hungarian side.

The project that was managed by the St Ephrem Patriarchal Development Committee of the Syriac Orthodox Church which started the work enthusiastically in this special field of heritage conservation and immediately signed official agreements with the Ministry of Culture and the DGAM that enable further developments too.

In spite of the tragic situation still prevailing in Syria the first phases of the work were successfully completed by the Syrian-Hungarian team and the administrative entities behind it including the stabilization of the wall paintings in the former church area (pict. 11) The project is serving the protection of the unique cultural heritage of Syria, including the Christian one, and also utilized in the higher education besides providing work for local Christians and Muslims alike. (pict. 12)

Conclusion

The Syrian coast was part of the region where Christianity was born, however the written sources on the general situation of its Christian inhabitants are scanty.

The 12th and 13th centuries provide a better period for research, when the intensive historical events and the newly appearing European sources result in more data that the centuries before.

This period of the Eastern Christian renaissance did result in an intensive construction activity and a peculiar and rich material culture too, many remains of which can still be found by archaeological field surveys and excavations.

The picture drawn by the hitherto processed material shows a still strong Eastern Christian presence in the Syrian coastal region with a variety of churches present.

The infrastructural development in the past decades seriously threaten these unique remains that are in many cases the sole remnants of the formerly thriving native Christian communities and a common cultural heritage for all.

Documentation and protection of these relics is an important duty.

Bibliography

Primary Sources

Abū Shāma. al-Rawdatayn = Shihāb al-Dīn Abū Muhammad ʻAbdarrahmān ibn Ismā'īl ibn Ibrāhīm al-Muqaddasī al-Shāfi'ī, Kitāb al-rawdatayn fī akhbār al-dawdatayn, 5 vols. ed. Ibrāhīm al-Zaybaq, Beirut (1997).

Albert of Aachen. Historia Ierosolimitana, History of Journey to Jerusalem, ed. & transl. S.B. Edgington, Oxford (2007).

Burchard of Mount Sion. Descriptio Terrae Sanctae, ed. S. De Sandoli, in Itinera Hierosolymitana Crucesignatorum (saec. XII-XIII), vol. 4, Jerusalem (1984), pp. 125-218. Transl. A. Stewart, A Description of the Holy Land by, Burchard of Mount Sion, Palestine Pilgrims' Text Society, vol. 12, London (1897).

Cartulaire = Cartulaire général de l'Ordre des Hospitaliers de Saint-Jean de Jérusalem (1100-1310), 4 vols. ed. J. Delaville le Roulx, Paris (1894-1906).

al-Dimashqī. Kitāb nukhbat al-dahr = Shams al-Dīn Muhammad al-Dimashqī, Kitāb nukhbat al-dahr fī ʻajā'ib al-barr wa'l-bahr, ed. A.F. Mehren, Saint-Pétersbourg (1866).

Ibn ʻAbdazzāhir. Tashrīf = Muhyī al-Dīn Ibn ʻAbdazzāhir, Tashrīf al-ayyām wa'l-usūr fī sīrat al-Malik al-Mansūr, ed. Murād Kāmil, Cairo (1961).

Ibn Batūta. Rihla = Abū ʻAbdallāh Muhammad ibn Ibrāhīm al-Lawātī, Rihlat ibn Battūta, ed. Karam al-Bustānī, Beirut nd.

Ibn al-Furāt. Ta'rīkh = Nāsir al-Dīn Muhammad ibn 'Abdarrahīm ibn al-Furāt. Ayyubids, Mamlukes and Crusaders: Selections from the Ta'rīkh al-Duwal wa'l-Mulūk of Ibn al-Furāt, ed. and transl. U. & M.C. Lyons, 2 vols. Cambridge (1971).

Michael the Syrian. Chronique de Michel le Syrien, Patriarche Jacobite d'Antioche (1166-1199), 4 vols. ed. and transl. J.-B. Chabot, Paris (1899-1910).

RRH = Regesta Regni Hierosolymitani (MCXVII-MCCXCI), ed. R. Röhricht, Innsbruck (1893).

Yahyā ibn Sa'īd al-Antākī = Ta'rīkh. Eutychii Patriarchae Alexandrini Annales Accedunt Annales Yahia ibn Said Antiochensis, eds. L. Ceiko, B. Carra de Vaux, H. Zayyat, Corpus Scriptorum Christianorum Orientalium – Scriptores Arabici, vol. 7, Leuven (1960).

References

Aliquot, J. & Aleksidzé, Z. (2012). La reconquête byzantine de la Syrie à la lumière des sources épigraphiques: autour de Balātunus (Qal'at Mehelbé). Revue des Études Byzantines 70: 175-208.

Beaudry, N., Perreault, J.Y. & Mills, Ph.J.E. (2008) Rapport sur la mission archéologique 2007 à Ras el Bassit. Chronique Archeologique en Syrie 3: 245-250.

Bulliet, R. (1979). Conversion to Islam in the Medieval Period: An Essay in Quantitative History.

Cahen, C. (1940). La Syrie du Nord à l'époque des Croisades et la Principauté franque d'Antioche. Paris.

Coupel, P. (1941-48). Trois Petites èglises du Comté de Tripoli. Bulletin du Musée de Beyrouth 5-8: 36-55.

Dadoyan, S.B. (2001). The Armenian Intermezzo in Bilād al-Shām. D.R. Thomas (ed.) Syrian Christians under Islam: The First Thousand Years. Leiden, pp. 159-183.

Deschamps, P. (1973). La défense du comté de Tripoli et de la principauté d'Antioche. Les châteaux des croisés en Terre Sainte III. Paris.

Djobadze, W. (1986). Archaeological Investigations in the Region West of Antioch on-the-Orontes. Stuttgart.

Dodd, E.C. (2004). Medieval Painting in the Lebanon. Wiesbaden.

Enlart, C. (1928). Les monuments des croisés dans le royaume de Jérusalem. Architecture religieuse et civile. 2 vols. Paris.

Folda, J. (1982). Crusader Frescoes at Crac des Chevaliers and Marqab Castle. Dumbarton Oaks Papers 36: 177-210.

Hamilton, B. (1980). The Latin Church in the Crusader States: The Secular Church. London.

Hélou, N. (2019). Notes on Donor Images in the Churches of Lebanon. P. Edbury, D. Pringle, B. Major (eds.) Bridge of Civilizations. The Near East and Europe c. 1100-1300. Oxford, pp. 233-245.

Immerzeel, M. (2009). Identity Puzzles. Medieval Christian Art in Syria and Lebanon. Leuven.

Kherbek, I. (2019). Latakia in the Middle Ages. P. Edbury, D. Pringle, B. Major (eds.) Bridge of Civilizations. The Near East and Europe c. 1100-1300. Oxford, pp. 147-164.

Major, B. (1999). Crusader Towers of the Terre de Calife. Proceedings of the 35th Congress of Asian and North African Studies (ICANAS), The Arabist 19-20: 211-228.

Major, B. (2009). Muslim Towers in the Medieval Syrian Countryside. K. D'Hulster & J. van Steenbergen (eds.) Continuity and Change in the Realms of Islam, Orientalia Lovaniensia Analecta 171, pp. 423-439.

Major, B. (2016). Where was the Town of Valenia Located in the 13th Century? M. Sinibaldi, K. Lewis, B. Major & J. Thompson. (eds.) Crusader Landscapes in the Medieval Levant. The Archaeology and History of the Latin East. University of Wales Press, pp. 117-130.

Major B. (2010). Observations on Crusader Settlements between the Nahr al-Kabir and the

Nahr as-Sinn. G. Dédéjan & K. Rizk (eds.) Le Comté de Tripoli état multi-culturel et multi-confessionnel. (1102-1289), Geuthner - Paris, pp. 119-140.

Major, B. (2015). Medieval Rural Settlements in the Syrian Coastal Region. Oxford.

Márk, Zs. (2019). Mural Painting in Margat Castle. P. Edbury, D. Pringle, B. Major (eds.) Bridge of Civilizations. The Near East and Europe c. 1100-1300. Oxford, pp. 246-259.

Maundrell, H. (1697). A Journey from Aleppo to Jerusalem. T. Wright (ed.), Early Travels in Palestine. London. (1848).

Michaudel, B. (2009). Mission de prospection archéologique de la region du Nahr al-Kabir al-Shamali (Syrie, 2007-2008).

https://www.flickr.com/photos/ifpo/sets/72157613119254410/

Michaudel, B. & Major, B. (2011) Historical Landmarks. Cultural Resources in Wadi al-Nasara. Damascus, pp. 1-19.

Mouterde, P. (1944-46). Deux sanctuaires phéniciens. Wādī Āsoûr, Jebel Saydé. Mélanges de l'Université Saint Joseph 26: 83-97.

Ousterhout, R.G. (2017). Visualizing Community. Art, Material Culture and Settlement in Byzantine Cappadocia. Washington.

Peña, I. (2000). Lieux de pèlerinage en Syrie. Studium Biblicum Franciscanum Collectio Minor 38, Milano.

Pococke, R. (1745). A Description of the East, and Some Other Countries. Observations on Palestinae or the Holy Land, Syria, Mesopotamia, Cyprus, and Candia. Vol 2. London.

Pringle, R.D. (2001). The Chapels in the Byzantine Castle of Sahyun (Qal'at Salah al-Din), Syria. J. Herrin, M. Mullett, C. Otten-Froux (eds.) Mosaic: Festschrift for A.S. Megaw. British School at Athens Studies 8, London, pp. 105-113.

Pringle, R.D. (2003). Churches and Settlement in Crusader Palestine. Edbury, P. & Phillips, J. (eds.) The Experience of Crusading II. Defining the Crusader Kingdom. Cambridge, pp. 161-178.

Rey, E.G. (1883). Les colonies franques de Syrie aux XIIme et XIIIme siècles. Paris.

Rey, E.G. (1884). Les périples des côtes de Syrie et de la Petite Arménie. Archives de l'Orient Latin. Vol. 2, Paris, pp. 329-353.

Richard, J. (1945). Le comté de Tripoli sous la dynastie Toulousaine (1102-1187). Paris.

Richard, J. (1994). Cum omni raisagio montanee…á propos de la cession du Crac aux Hospitaliers. Itinéraires d'Orient. Hommages à Claude Cahen, Res Orientales 4: 187-193.

Riley-Smith, J. (1967). The Knights of St. John is Jerusalem and Cyprus c. 1050-1310. London.

Robinson, E. (1856). Later Biblical Researches in Palestine and in Adjacent Regions. Vol. 3, Boston.

Sanjian, A. (1984). The Armenians in Bilād al-Shām. Proceedings of the First International Conference on Bilad al-Sham, 20-25. April 1974. University of Jordan, pp. 195-221.

Tate, G. (1992). Frontière et peuplement en Syrie du nord et en Haute Mésopotamie entre le IVe et le XIe siècle. J.-M. Poisson (ed.) Castrum 4. Frontière et peuplement dans le monde méditerranéen au Moyen Âge. Rome-Madrid. ÉFR-Casa de Velázquez, pp. 151-159.

Walpole, F. (1851). The Ansayrii and the Assassins, with Travels in the Further East in 1850-51. Including a Visit to Nineveh. 3 vols. London.

Weltecke, D. (2006). The Syriac Orthodox in the Principality of Antioch during the Crusader Period. K. Ciggaar & M. Metcalf (eds.) East and West in the Medieval Eastern Mediterranean I. Antioch (696-1268), Orientalia Lovaniensia Analecta 147, Leuven, pp. 95-124.

Weltenberg, J.J.S. (2006). The Armenian Monasteries in the Black Mountains. K. Ciggaar & M. Metcalf (eds.) East and West in the Medieval Eastern Mediterranean I. Antioch (696-1268), Orientalia Lovaniensia Analecta 147, Leuven, pp. 79-92.

المسيحية ركن أساس في لاهوتنا القومي

د. حسن حمادة

الشكر في البدء لقداسة البطريرك على تفضله في استضافة لقائنا وهذا ليس بغريب عن حرصه الدائم على كل ما يجمع بين الناس والإبتعاد عن كل ما يفرق بينهم.

جعل الله هذا البيت الكريم عامرا على الدوام. والتحية إلى إخوتنا الآباء المحترمين وإلى كل من يعمل في هذا البيت الطيب المضياف المسالم.

تحيه إلى المركز المجرى للدراسات المسيحية المشرقية وإلى مركز المشرق للأبحاث والدراسات وإلى شخص المنسق العام لهذا اللقاء الكريم أعني به المثقف المميز والمؤرخ والباحث وخبير الآثار المرموق الأستاذ غسان الشامي.

حضرات السيدات والسادة المحترمين

إن مقاربة الموضوع الديني، وكل ما له صلة من قريب أومن بعيد بالشأن الديني، يفترض أن تكون في بلادنا، تحديداً في بلادنا، مختلفة تماما عن المقاربة لهذا الشأن في أي من بلدان العالم الأخرى.

وأما السبب في ذلك فيعود إلى كون اللَّه عزّ وجل قد خص بلادنا بنعمة من نعمه الكثيرة تتمثل بلاهوت قومي مكون من الرسالتين المسيحية والإسلامية المتكاملتين من حيث الجوهر.

وعلى الرغم من هذه الميزة الفريدة نجد أن الموضوع الديني يأتي في الصف الأول بين المواضيع الخلافية.

هنا يطرح موضوع ما يسمى بالحوار المسيحي - الإسلامي، ومعه يبدأ الدوران في الحلقات المفرغة دونما نتيجة تنسجم مع مستوى المادة الحوارية السامية.

وعليه فلقد بات ما يعرف بالحوار بين الديانات، في شقه المسيحي-الإسلامي، شبيه بالحوارات التي تجري بين هيئات سياسية مع فارق في الطقوس والشكليات.

هذا الواقع المؤلم مرده إلى أسباب عده نذكر منها إثنين فقط:

1 - الانفصام ما بين سلوك الطوائف والمذاهب، من جهة، ودينها أوبالأحرى ما تدعيه أنه دينها من جهة ثانية.

هذا ينطبق على الطوائف التي تصنف مسيحية وكذلك على تلك المصنفة إسلاميه.

بوضوح أكثر، ثمة تباعداً ما بين الطوائف ودياناتها وذلك من خلال الفوارق الشاسعة ما بين سلوك الطوائف وقواعد الدين ومرتكزاته.

حتى أن هذه الفوارق راحت تتسع مع الوقت لتصبح في حالات عديدة فراقاً فعلياً ما بين الإثنين وصولاً، في العديد من الحالات، إلى حد الإشتباك بكل معنى الكلمة.

ولا بد من التوضيح هنا إلى أن أخطاء أوخطايا الطوائف إنما هي في الحقيقة ناجمة عن سلوك قياداتها والمتنفذين فيها.

إنه الإنحراف، الإنحراف الخطير الذي من أولى نتائجه تعميم الجهل.

الجهل، هذه الآفة الفتاكة التي حذر منها الفيلسوف المتفوق إبن رشد قبل ثمانية قرون من الزمن حين أطلق معادلته الشهيرة التي لم تخطئ بعد: الجهل يولد الخوف، والخوف يولد الكراهية، والكراهية تولد العنف.

جهل، خوف، كراهية، عنف، إنها ثقافة التدمير الذاتي الشامل، وأما الإنحراف، آه من الإنحراف وإلى ما أوصلنا إليه. لقد بدأ مع قسطنطين، في المدى المسيحي، وفور وفاة الرسول، في المدى الإسلامي.

ربما كان من أسوأ نتائج هذا الإنحراف استحالة قيام حوار صادق ما بين مرجعيات الفريقين، إذ كيف يمكن أن يقوم حوار صادق طالما أن أيا منهما لم يتحاور بصدق مع نفسه أولاً وفق قاعدة قياس واحدة ومعيار حقيقة ثابت هما الدين نفسه.

هذا النوع من الحوار يؤدي إلى أن يتصالح الإنسان مع دينه فيضع حداً للإنحراف.

آنذاك فقط يصبح مؤهلاً لأن يتصالح مع غيره إذ تصبح المصالحة من أبسط البديهيات، لا تحتاج إلى بذل جهود مضنية أو إلى ما يشبه ذلك.

الأديان لا تختلف مع بعضها بل إن الناس هم الذين يختلفون مع بعضهم البعض ويلجأون، في كثير من الأحيان، إلى استخدام الدين لكي يزينوا أخطاءهم ويسبغوا عليها رداء المشروعية بل وحتى رداء الفضيلة.

فليتصالح المسيحي مع دينه وليتصالح المسلم مع دينه آنذاك تحل مشاكلهما من تلقاء نفسها.

وكيف لا تكون الأمور كذلك لطالما أن البعد المسيحي في القرآن الكريم هو ركن أساس كما تشهد على ذلك آيات الله البينات، تشهد أن السيد المسيح أتى من روح الله وأن أمه اصطفاها الله وطهرها بأن نفخ فيها من روحه وميزها على نساء العالمين وأن الله أيده بالروح القدس.

في القرآن الكريم نجد ما يشكل أساس الدين المسيحي، بمعنى أننا نقع على التعريف الدقيق بيسوع المسيح من خلال ما يمكن اعتباره، في مفاهيم اليوم، إخراج قيد شخصي وعائلي يثبت نسبه الأسمى بل ويزيد من خلال مريم وقدسيتها وإبنها وقد جعلهما الله آية للعالمين.

وهذا في أساس اللاهوت القومي عقائديا، فلكي يكون المسلم مسلماً بحق عليه أن يتبع الإسلام الصحيح أي الإسلام القرآني فيؤمن بالتالي بقدسية السيد المسيح.

إن وقائع الحياة والاستخدام الحاصل للشأن الديني l›instrumentalisation de la religion تؤكد بما لا يدع مجالاً للشك في أن مقاربة الشأن الديني في بلادنا تحديداً إنما

تتم بشكل سطحي وفق ما يخدم المصالح الشخصية الأنانية للأفراد ولأولياء الأمر منهم وحتى للطامحين في أن يصبحوا أولياء على الناس.

باختصار شديد، أجيز لنفسي من منطلق كوني العبد الفقير، العلماني، الذي لا يخاف الله أبداً بل يحبه حد العشق المطلق والثقة المطلقة، العاشق لله وليسوع وللرسول وآل بيته المظلومين، باختصار شديد أجيز لنفسي القول أن مصيبة المسيحية في المسيحيين كما أن مصيبة الإسلام في المسلمين (في الحالة الأخيرة أقتبس القول من الإمام المتنور الشيخ محمد عبده).

المشكلة ليست في الدين ولم تكن يوما في الدين بل تكمن المشكلة في عقول وقلوب أهل الإنحراف وتابعيهم إلى حد تصديق أقوالهم.

وفي هذا السياق تحضرني ومضة وجدانية للشيخ إبراهيم المنذر تقول:

إن الكبير إذا هوا وأطاعه قوم هووا معه أضاع وضيعاً، مثل السفينة إن هوت في لجة غرقت ويغرق كل من فيها معاً.

هكذا جرى ويجري دفع الناس في بلادنا إلى الإقتتال بشكل دوري.

حتى أن هذا الفعل المشين حصل ويحصل داخل صفوف أتباع الدين الواحد، كما يدعون، فيما الدين براء منهم ومن قادتهم ومن مبرري أعمالهم.

جهل - خوف - كراهية - عنف.

يستغلها الإستعمار الشرير بدهاء دموي متوحش لا حدود له تحت طبقة من الكذب الإيديولوجي بعناوين التحرر والديمقراطية وحقوق الإنسان، فيتم تدمير الدول والمجتمعات وإبادة الشعوب ومحو آثار خوف بواسطة الجيوش الغازية مباشرة أو بواسطة عملائها وميليشياتها المتوحشة التي قال فيها وزير خارجية فرنسا الأسبق لوران فابيوس أنها تنفذ أعمالاً حميدة وذلك خلال مؤتمر عقد في مراكش في 2012/12/12 لتنسيق المواقف الدولية لتدمير سوريه بشكل كامل شامل بحيث لا يكون لها قيامة من بعده.

2 - وأما السبب الثاني في انعدام الحوار الصادق والصحيح على قاعدة دينية مسيحية-إسلاميه تمليها معطيات اللاهوت القومي الواحد والفريد من نوعه في العالم فيعود إلى

الحروب العدوانية المتواصلة التي تشنها القوى الغربية على بلادنا خصوصاً في الألف سنة الأخيرة.

وأسوأ ما في هذه الحروب العدوانية الغربية أنها نشبت في الأساس تحت عنوان ديني، ومسيحي تحديداً.

إنها الحروب التي عرفت بالصليبية، فيما المسيحية منها براء وكذلك الصليب.

إنها جدة الحروب الإمبريالية الحديثة التي ترفع شعارات جميلة براقه لتغطية أوحش وأقبح وأسفل أنواع الجرائم.

وكما في اليوم كذلك في الأمس كان المسيحيون في بلادنا، بلادنا المعذبة الجميلة المتفوقة إنسانياً وعلمياً وأخلاقياً وحضارياً، بلادنا المعذبة الجميلة التي ابتكرت فن التواصل الحديث بين بني البشر من خلال ابتكارها للأبجديه التي نقلت البشرية من طور إلى طور، هي مهد المسيحية ووطن السيد المسيح، صارت أول ضحايا الحملات التي رفعت الصليب شعاراً لها.

تلك الحملات المتوحشة اللعينة تشكل طليعة عمليات التزوير للحقائق التاريخية، والأنموذج الأبرز لعمليات التزوير، والتزوير مستمر إلى يومنا هذا، لغاية هذه اللحظة التي نعيشها معاً، بل وصار التزوير أكثر استفحالاً وتفننا في الكذب من خلال فرض حظر على قول الحقيقة.

اليوم بالذات، وقبله وقبل قبله، صار قول الحقيقة في الغرب من أخطر الممنوعات. صار قول الحقيقة جريمة لا تغتفر.

نحن أعطينا الغرب أجمل ما ما عندنا، أعطيناه الأبجدية ثم أعطيناه المسيحية، فاستفاد من الأبجدية ثم قام بعملية إعادة تدوير للمسيحية Recyclage بأن جعل منها رافعة لفكرة حروب نشر المدنية الكاذبة وبالتالي غطاءً روحياً ومشروعية لحروبه العدوانية على الآخر، كفرد أو كجماعة أو كأمة ومجتمع.

فكما يعتبر المفكر اللبناني السوري يوسف الأشقر إن حضارتنا تملي علينا بأن ننظر إلى الآخر كشريك، فيما الغرب ينظر إلى الآخر كعدو يجب قتله، وفي أحسن الأحوال كمنافس يجب إخضاعه بالقوة وبالتالي استعباده.

ولقد بلغ التزوير والكذب والإجرام والتوحش العنصري الفظيع الذروة في حرب الإبادة الجماعية التي يشنها الصهاينة منذ 1948 ضد الشعب الفلسطيني ولتهويد أرض فلسطين تهويداً كاملاً شاملاً بدعم منقطع النظير من الغرب وبتواطؤ مشين من حكومات الصهيونية العربية وغيرها من الأنظمة المشاركة بهذه الجريمة التي لم يسجل التاريخ مثيلاً لها بعد.

إن العالم يقف موقفاً جباناً، معيباً، متوحشاً، عديم الأخلاق، أمام جرائم الصهاينة بحق شعب السيد المسيح وأرضه مسقط رأسه.

ومع ذلك يمكن لأي إنسان أن يتأمل بأطول جلسة تعذيب يمارس على شعب بأكمله ومن دون توقف على مدى 74 سنة، منذ العام 1948 ولغاية هذه اللحظة التي نحن عليها شاهدون.

وفي المقابل تسجل الأجيال الفلسطينية الشابة أعظم التضحيات في صمودها المقاوم متجاهلة بالكامل هذا العالم القذر الظالم الذي يكاد أن يجمع على المشاركة في هذه المذبحة المتواصلة لولا حفنة من الدول الحرة المتمردة على سلطة واشنطن والقوى الخفية التي تقودها.

ولو تأملنا في مشهد المحرقة المنصوبة للشعب الفلسطيني المعذب المظلوم ولا مبالاة الدول المتواطئة مع الإجرام الإسرائيلي ونظام التمييز العنصري- الأبارتايد الذي يقيمه الصهاينة المحتلين لأرض فلسطين من النهر إلى البحر لوجدنا أن الغرب يغدق على النظام المتوحش هذا صفة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط...

وسط تواطؤ كامل من حكومات الصهيونية العربية المتورطة في مساندة إسرائيل حتى النهاية.

ولكن، كلما ظن عالم الظالمين أن أصحاب البلاد الأصليين سوف يستسلمون أمام طغيان الإسرائيليين يخيب ظن هذا العالم أمام موجات الإستشهاديين الشباب وصمود أمهاتهم.

لا علم السياسة ولا علم الإقتصاد ولا علم النفس، الفردي والإجتماعي، ولا الإمكانيات المادية التعيسة المتوفرة يمكنها أن تفسر أسباب هذا الصمود المدهش لأهل فلسطين أمام آلة التدمير الشامل التي تفتك بهم وهم يواجهونها باستبسال لا مثيل له في تاريخ البشرية.

ثمة تفسير وحيد لهذه الظاهرة الإنسانية المتفوقة: إن شعب فلسطين يحوي في جنات الطيبين من أبنائه سرا مكنونا لا يتقبله ويعترف به إلا الأحرار.

هذا السر يكمن في أن هذا الشعب الفوق-المتفوق هو شعب السيد المسيح.

قدرته على الإحتمال وتمسكه بأرضه وبكرامته الإنسانية تتخطى قدرات باقي أبناء حواء وآدم.

هذا السر المكنون نفهمه أكثر ونستوعب معانيه من خلال إطلاعنا على رسائل السيد المسيح في الصوفانية الدمشقية السورية، كرسالته في سبت النور، تاريخ العاشر من نيسان عام 2004:

وصيتي الأخيرة لكم: أرجعوا كل واحد إلى بيته، ولكن إحملو الشرق في قلوبكم، من هنا انبثق نور من جديد، أنتم شعاعه، لعالم أغوته المادة والشهوة والشهرة، حتى كاد أن يفقد القيم.

أما أنتم: حافظوا على شرقيتكم، لا تسمحوا أن تسلب إرادتكم، حريتكم وإيمانكم في هذا الشرق.

إنها الأمانة في أعناقنا، والخلاص آت لا محاله.

كان يفترض بهذه الرسالة أن تكون الأخيرة لكن السيد المسيح شاء أن يبعث برسالة جديدة بعد ذلك بعشر سنوات وسبعة أيام فيما سوريانا المقدسة تنزف دماً تحت وقع ضربات الوحوش إياهم الذين يفتكون بفلسطين وأهلها.

جاء في رسالة يوم خميس الأسرار بتاريخ 17 نيسان 2014:

الجراح التي نزفت على هذه الأرض، هي عينها الجراح التي في جسدي، لأن السبب والمسبب واحد، ولكن كونوا على ثقة، بأن مصيرهم مثل مصير يهوذا.

حضرات السيدات والسادة قد يكون الصمت خير وسيلة لمساعدة كل منا للدخول في حوار داخلي مع ذاته، إنها بمثابة البشارة الجديدة.

إن للاهوتنا القومي واجبات علينا، فمن هنا، من أرض السيد المسيح، سيأتي إنقاذ البشرية جمعاء وأول الخطوات إعادة الإعتبار إلى الشأن الديني.

إن القوى الإستعمارية تستثمر في حالات التزوير الواسع النطاق بحيث تكون الطائفيات والمذهبيات أدوات لتدمير المجتمعات تدميراً ذاتياً شاملاً أين منها أسلحة التدمير الشامل المادية.

هكذا نرى الميليشيات التابعة للحلف الأطلسي، كمنظمة القاعدة المشؤومة ومشتقاتها كداعش والنصرة والسلطان مراد والزنكي وعشرات المنظمات الأخرى، تؤدي كلها أعمالا حميدة على حد الرأي المريب الذي أدلى به الوزير المشؤوم آنف الذكر.

لكن العالم الشرير بدأ يظهر مكامن ضعف وإن لم تظهر بما فيه الكفاية بعد وذلك بسبب الستار الحديدي الصهيوني الذي أسدلته الولايات المتحدة على العالم بدءا من القارة الأوروبية التي تخضع للعنف الصهيوني إلى حد فظيع بحيث بدأت تجاربها الديمقراطية تلفظ أنفاسها، وباتت أوضاعها مفتوحة على كل الاحتمالات بفعل أزماتها الداخلية الناجمة عن المظالم الإجتماعية التي تتسبب بها النيوليبرالية المتوحشة الرافضة أساساً للتعايش مع دولة القانون ومع الحريات العامة والحقوق الفردية التي كان معمولاً بها في الحقبات الماضية والمعرضة اليوم للزوال بفعل الظواهر الجديدة التي تفرض على المجتمعات اليوم تدريجياً، خطوة خطوه، وبأسلوب شديد الخبث يهدد التوازن البشري من أساسه.

ويضاف إلى كل ذلك التداعيات الخطيرة للحروب العدوانية وآخرها الحرب العدوانية التي يشنها الأطلسي على روسيا عبر الممر الأوكراني...إلخ...

لا بد من نهضة مسيحية جديدة تبدأ بالتصدي للإنحراف وبوضع حد لتماهي المرجعيات مع الحروب العدوانية التي تخرب العالم وتوشك بإفناء البشرية عبر استخدام السلاح النووي.

إن المسيحية حاجة لبقاء الإنسانية لكنها لا تعبر عن نفسها بهذا الشكل الصريح اليوم.

حضرات السيدات والسادة

الدين لم يوجد لتكون مهمته القيام بدور الغطاء المعنوي للإستعمار، لا بد من نهضة مسيحية جديدة شاملة لإنقاذ البشرية أي لإنقاذ بيتنا الإنساني المشترك، والنهضة تكون بالعودة إلى المسيح، إلى صراطه المستقيم. شكراً

لماذا تستهدف الولايات المتحدة المسيحية الرسولية في المشرق؟

د. جمال واكيم

خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر، وفي إطار حركة التمرد على الكنيسة الكاثوليكية، ظهر من رحم حركة الاحتجاج بعض الحركات المتطرفة التي بدأت تنظر إلى الكتاب المقدس ببعده الحرفي لا ببعده الحكمي الأخلاقي، فاعتبرت أن العهد القديم هو في حقيقة الأمر كتاب يؤرخ لتاريخ اليهود الذين اعتبرهم شعبا لا دينا.

واعتبرت بعض هذه الحركات أنه من أجل خلاص الإنسانية بمجيء المسيح المخلص فإن عليها مساعدة الشعب اليهودي على العودة إلى فلسطين وذلك لتسريع عودة المسيح المخلص.

كذلك فإن هذه الحركات نظرت إلى الإسلام (المتمثل آنذاك بالدولة العثمانية) على أنه دين الشيطان الذي يجب تدميره، كما نظرت إلى البابا في الفاتيكان على أنه الانتي كريست وبناء على موقفها منه فإنها بنت موقفها من جميع الطوائف المسيحية الرسولية على أنها طوائف شيطانية يجب تدميرها أيضا.

هذه الحركات ستعرف بالمسيحية الصهيونية والتي ستصبح التيار الغالب بين النخب الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة والعالم الانكلو ساكسوني.

وقد نمت هذه الحركات واستقطبت رجال دولة في كل من بريطانيا والولايات المتحدة كان من ضمنهم وزير الخارجية البريطاني اللورد آرثر بلفور الذي سيصدر وعده الشهير للحركة الصهيونية بإقامة وطن قومي لليهود على ارض فلسطين.

والحقيقة فإن المسيحية الصهيونية هذه هي التي ساهمت باطلاق يهودية صهيونية كان الغرض منها أن تشكل رأس حربة للمشروع الاستعماري في المنطقة العربية وتحديداً في منطقة المشرق العربي.

فكان أن ساهمت النخب البريطانية والأميركية بتبني ودعم جهود الصهاينة على احتلال فلسطين وطرد معظم أهلها المسلمين والمسيحيين منها.

وبعد نشوء الكيان الصهيوني فإن الولايات المتحدة وبريطانيا ومعهما الغرب دعموا الكيان الصهيوني بالسلاح والمال والاقتصاد وكانوا له عونا وسندا في جميع حروبه ضد العرب.

بل إنهم سعوا لصياغة تسوية أسموها سلام تدعم سيطرته على ارض فلسطين لينطلق منها ليبسط نفوذه على كامل منطقة المشرق العربي ويشكل بالتالي قاعدة لبسط الهيمنة الأميركية الأنكلوساكسونية على منطقتنا.

وفي سبيل تحقيق هذا المخطط فإن الولايات المتحدة غزت العراق في العام 2003 ودمرته وقسمته فعلياً إلى ثلاثة أقاليم قائمة على أساس طائفي.

كما سعت قبل ذلك وبعده إلى تدمير وتقسيم لبنان، وهل لا تزال تسعى لضرب وتقسيم سورية مستخدمة بذلك قوى إرهابية ترفع راية الإسلام السياسي، كل ذلك لتدمير الأساس القومي أو الوطني الذي تقوم عليه الكيانات السياسية العربية المشرقية.

وفي هذا الإطار فإن الولايات المتحدة سعت لاستخدام إسلام سياسي ورثته عن بريطانيا التي استثمرت فيه منذ نحو قرن من الزمن.

بل إن الولايات المتحدة سعت لمزيد من الاستثمار في إسلام سياسي أميركي قدم لها خدمات جليلة في مكافحة الحركات القومية واليسارية في العالمين العربي والإسلامي، وفي أفغانستان ضد الاتحاد السوفياتي، وهي تستخدمه اليوم كأداة لتشجيع الحركات الانفصالية في الصين، كما تستخدمه كأداة لنشر الإرهاب في وسط آسيا وإيران في استهداف للأمن القومي الروسي والإيراني.

ومؤخرا فإن الولايات المتحدة بدأت تخطط لتخفيف تواجدها العسكري في المنطقة العربية وتحديداً في منطقة المشرق لكن مع إبقاء هذه المنطقة تحت هيمنتها.

لهذا الغرض فإنها سعت لدمج الكيان الصهيوني في منطقة المشرق والمنطقة العربية عبر تطبيع العلاقات الاقتصادية والسياسية والأخطر منهما الثقافية بين الكيان الصهيوني والدول العربية.

وفي هذا الإطار شهدنا مؤخرا تطبيعا للعلاقات بين كل من الإمارات العربية المتحدة والبحرين والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان والسودان والمملكة المغربية مع الكيان الصهيوني.

لكن حتى تضمن الولايات المتحدة ديمومة عملية التطبيع هذه فإنها سعت للتطبيع الثقافي والإيديولوجي بين الكيان الصهيوني والعرب عبر إعادة تشكيل الهوية الدينية في المنطقة.

هنا أطلقت الولايات المتحدة في عهد الرئيس الأميركي السابق دونالد ترامب، وعلى يد صهره اليهودي الصهيوني جاريد كوشنير مشروع الديانات الإبراهامية.

ويقوم المشروع على التركيز على الموروث المشترك بين اليهودية والمسيحية والإسلام عبر التركيز على محورية نبي الله إبراهيم الخليل بصفته أبي الأنبياء جميعا.

ويقوم المشروع على إقامة مشاريع سياحية دينية تشكل قاسما مشتركا بين اليهود والمسلمين والمسيحيين.

لكن خلف هذا المشروع يقف هدف إعادة تشكيل الوجدان الإسلامي بما يتماهى مع الصهيونية اليهودية، وبهذا يتم إنتاج إسلام صهيوني على غرار المسيحية الصهيونية التي تم إنتاجها قبل نحو أربعة قرون، واليهودية الصهيونية التي تم إنتاجها قبل قرنين ونصف تقريبا.

بذلك فإن الصهيونية التي شكلت أداة هيمنة انكلو ساكسونية على منطقتنا ستكتسب أبعاداً جديدة تتمثل بإسلام صهيوني يناقض إسلاماً عقلانياً تحررياً، على أن يتناسق هذا الإسلام الصهيوني مع يهودية صهيونية استطاعت اختطاف الدين اليهودي وتحويله لأداة استعمارية في منطقتنا، كما يتناسق مع مسيحية صهيونية شكلت منذ نحو أربعة قرون وجدان النخب الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة.

وحتى يتحقق هذا الأمر فإن الولايات المتحدة استخدمت أداوتها من الحركات الإرهابية التي تتخفى خلف شعارات إسلامية لاستهداف رجال دين مسلمين عقلانيين معادين

للمشاريع الاستعمارية (مثل اغتيال الشيخ البوطي في دمشق قبل عدة سنوات)، كذلك فإنها سعت لاستهداف المسيحيين المشرقيين من خلال أدواتها الإرهابية، فكان استهداف الآشوريين والكلدان والسريان في كل من العراق وسورية.

بل إنها تحاول دفع المسيحيين في لبنان إلى الدخول في صراعات انتحارية بغية تصفية الوجود المسيحي المشرقي لأنه لا يتماهى مع المسيحية الصهيونية التي ترعاها النخب الحاكمة في بريطانيا والولايات المتحدة.

هذا هو السبب الذي جعل هذه النخب الحاكمة تضغط على الدول الغربية لفتح باب الهجرة أمام المسيحيين المشرقيين وذلك لافراغ المشرق من مسيحييه.

وفي الوقت نفسه، وفيما كانت جماعات داعش وجبهة النصر وغيرها من الحركات الإرهابية تستهدف المسيحيين المشرقيين، فإنها سمحت لجماعات إنجيلية صهيونية بالتبشير في مناطق سيطرتها وهنالك شواهد كثيرة على هذا الأمر.

وهذا يثبت أن هنالك مخطط انكلو ساكسوني لإفراغ الشرق من مسيحييه الرسوليين وذلك لفتح المجال أمام تغلغل مسيحية صهيونية تتماهى مع إسلام صهيوني يتم العمل على إنتاجه عبر مشروع الديانات الإبراهامية، حتى يتكاملا مع صهيونية يهودية أنشأت لها كيانا على أرض فلسطين.

هنا يجب لفت النظر إلى بعد آخر في الصراع إلاّ وهو أن المسيحية المشرقية شكلت الرابط بين المشرق قبل ظهور الإسلام والمشرق بعد ظهوره.

فأصبحت المسيحية المشرقية هي الرابط الذي يتكامل عبره تاريخ المشرق منذ أيام السومريين والأكاديين والكنعانيين والآراميين وصولا إلى مرحلة الحكم الإسلامي منذ القرن السابع ميلادي وحتى يومنا هذا.

هنا فإن استهداف المسيحية المشرقية يهدف إلى إزالة هذا الرابط وإعادة موضعة اليهودية الصهيونية على أنها الرابط بين المشرق في ظل الإسلام والمشرق في عصور ما قبل الإسلام.

من هنا فإنه من الأهمية بمكان، للحفاظ على الإرث الحضاري الحقيقي للمنطقة، فإن علينا التمسك بالحضور المسيحي الرسولي في المشرق كالركن الأساسي في الحفاظ على الموروث الحضاري والهوية الحضارية للمنطقة.

التجارب اللبنانيّة
دروس واستنتاجات

د. ناصيف قزّي

تمهيد

لا شك أنّ الأحداث التي عاشها عالمنا العربي والإسلامي في السنوات الأخيرة، ولا يزال، قد تجاوزت، بفظاعاتها ودلالاتها، حدّ اعتبارها نزاعات سياسيّةٍ ظرفيّة، غالباً ما تمرّ بها المجتمعات البشريّة في مسار تقدّمها وترقّيها نحو الأفضل.

فقد بلَغَت تلك الأحداث حداً من الهمجيّة، غير مسبوقٍ، لجهة التطهير الديني والمذهبي والقتل الجماعي والسبي والحرق والإخفاء والتمثيل بالجثث وشتى أساليب التعذيب، وإلغاء كلّ رموز الحضارات ومعالمها العريقة، تلك التي عرفتها بلاد الشام، ولا سيما بلاد ما بين النهرين، وصولاً إلى اليمن وما بعده، وشمال إفريقيا وعمقها.

فكيف يمكننا، في غمرة هذه الأحداث، ومع ما يلفّ العالم اليوم من مُشْكلات، وما ينجم عنها من تحولاتٍ جيو - سياسيّةٍ وديموغرافيّةٍ حادّة، قد تطال وطننا بالذات؛ كيف يمكننا أن نقرأ تاريخنا الحديث والمعاصر، بعيداً عن التأثّر والإنفعال، لا سيما وأن لبنان كان ولا يزال في طَوْر التشكّل، وقد تجاذبَتْه على مدى عقود تياراتٌ ونزاعاتٌ، جعَلَتْنا، طوال قرنٍ من الزمن، في حالة انسِدادٍ، عالقين في عنق الزجاجة، نفْتَقر إلى الحلول الناجعة...

بحيث أن المخاض، الذي بدأ عام 1920، لم ينته بنا بعد، إلى قيام دولة فعليّة، مكتملة في أوصافها وبنيانها، وثابتة في ديمومتها...

ناهيك بالتعثّر الذي غالبا ما يطال إدارة الحكم فيها، وبالفراغ الذي تقع فيه مؤسساتها الدستوريّة، وعلى رأسها مؤسسة رئاسة الجمهوريّة - تماماً كما هي حالنا اليوم[1]...!؟

ثم ماذا عن هويّة مجتمعٍ متنوع الديانات والثقافات، ارتضى لنفسه كياناً سياسياً يعكس الحالة التوافقيّة، بل الميثاقيّة، في زمن الهويات القاتلة؟

بالتأكيد، إن الخروج من الوضع الحالي المأزوم في لبنان... لن يكون بالأمر اليسير.

فقد باتت تشعّبات الواقع اللبناني معقّدة، بحيث يصعب إيجاد الحلول الناجعة لها.

وفي هذا السياق، لا بد من الإشارة إلى أن لبنان لم يعرف يوماً في تاريخه الحديث والمعاصر أية حلول جذريّة لقضاياه السياسيّة، من نظام القائمقاميَّتين في الزمن العثماني، إلى تسوية الدوحة، في الزمن الهجين الذي نعيش...

بل كان دائماً أسير التسويات... وإذا ما وُجد الحلّ، فغالباً ما يأتي إشكالياً... ينقسم عنده اللبنانيون... ويقع المحظور...!؟ وهذا ما حدث في ما سمّي ثورة 1958 ثم في حرب السنتين عام 1975... وحتى في مرحلة ما بعد اتفاق الطائف (30 أيلول/ سبتمبر 1989)، وصولاً ليومنا[2].

مقدّمة

كان يجب أن أنتظر الأب سهيل قاشا (1942 - 2022)، المفكّر العراقيّ النشأة، الباحث في تاريخ الأديان، والمؤرخ المتمكّن من معرفة جذور هذا المشرق؛

كان يجب أن أنتظر ذاك العالم السرياني الوافد من الموصل إلى لبنان، كي أترصّد تلك الجذور... المهمّة التي حملتني إليها أحداث التهجير القاسية والمؤلمة، التي عاشها، وبصورة خاصة، المسيحيّون في لبنان... وقد كُنت خلالها، وعلى مدى عقدين من الزمن

(1) لم يعرف اللبنانيّون حالة الإستقرار الدائم والثابت، ولا حتى الدولة اللبنانيّة الناشئة عرفت الإنتظام الدستوري المفترض.

(2) لقد عايَشْت شخصياً الأحداث اللبنانيّة بكلّ مراحلها، منذ اندلاع شرارتها الأولى في 23 نيسان/ أبريل 1969 بين الجيش اللبناني والفدائيّين الفلسطينيّين، لغاية 13 تشرين الأول/ أوكتوبر عام 1990، تاريخ سقوط القصر الجمهوري في يد القوات السوريّة، ولجوء العماد ميشال عون، رئيس الحكومة العسكريّة الإنتقاليّة، آنذاك، إلى السفارة الفرنسيّة في بيروت، ومنها إلى المنفى الفرنسي.

(1969 - 1990)، الشاهدَ والشهيد[1]...!؟

سألني الرجل، يوم التقيتُه، عن معنى الجيَّة، بلدتي الشوفيّة، الرابضة على طول خليج النبي يونس، فوق آثار پرفيريون، مدينة الأرجوان... المدينة الأسقفيّة التي بُنيت فيها أولى كنائس لبنان في القرن السادس للميلاد، في زمن الأمبراطور يوستينيانوس الأول [482 - 565م.]... سألني، ليوضح لي أن الجيَّة هي لفظةٌ سريانيّةٌ تعني الغرفة المقبّبة... والعمارة تلك كانت طابَع هذه البلاد[2].

ومنذ ذلك اللقاء، عزَفْتُ عن ردّ التسمية إلى الأصل اليوناني [الأرض الطيّبة أو الخصبة]، أو العربي [الأرض الدلغانيَّة التي لا تتسرّب عبرها المياه]... طبعاً دون أن يأخذني ذلك قطعاً إلى الإقرار بصدام الحضارات[3]... لأكتفي بما سبق وأدْرَكْتُه، وبحَدْسي البسيط، بأن تلك الغرفة المقبّبة المنتصبة فوق كثبان الرمال التي طَمَرَت معالم پرفيريون...

أن تلك الغرفة هي مقام النبي يونان... المقام الذي أعطى للمكان تسميتَه... ليبقى شاهداً على حدوث آية يونان، النبي الذي قذَفَتْه السمكة الكبيرة، والتي أعدّها الله له، عند ذلك الشاطىء، بعد أن قضى في جوفها ثلاثَةَ أيامٍ وثلاثَ ليالٍ... لينطلق، بعدها، من هنا، من شاطئ فينيقيا، للتبشير في نينوى... هناك، حيث أقيمت له فيما بعد دورٌ ومقامات[4]...!؟

ما كنت لأقولَ ما قلتُه لولا إيماني بوحدة هذه البلاد من شاطئ يونان إلى مسقط إبراهيم... وكأننا في طرفي تماس... وحدةٌ روحيّةٌ، قبل أن تكونَ جَغْرَفَة... فأرضُنا هي، عندي، أرض عبورٍ من صَنَميّة الأزمنة إلى زمن الهداية... الزمنِ الجديد الذي صار فيه وعد الله للبشر أجمعين...

وبعد،

---

(1) أنا من بلدة الجيَّة الشوفيَّة التي تقع على الطريق الدوليَّة بين صيدا بيروت... المنطقة التي عاشت أحداث التهجير المروّعة مراراً وتكراراً، منذ سقوط الدامور في قبضة القوات المشتركة اللبنانيّة الفلسطينيّة في 21 كانون الثاني/ يناير 1976، إلى سقوط إقليم الخروب وشرق صيدا في 28 نيسان/ أبريل 1985... كما خلال الإجتياح الإسرائيلي للبنان في حزيران 1982.

(2) المقصود هنا بلاد الكنعانيّين.

(3) إشارة إلى نظريَّة الكاتب الأميركي صامويل هانتغتن.

(4) آية يونان: هي الآية التي أعطاها يسوع للكتبة والفريسيّين، حين قال لهم: جيلٌ شرّيرٌ وفاسقٌ يطلب آية، ولا تُعْطى له آيةٌ إلاّ آيةَ يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلاثةَ أيامٍ وثلاثَ ليالٍ، هكذا يكون ابن الإنسان في قلب الأرض ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ [متى 12: 38/ 40].

هي شهادة أقدّمها، في مؤتمركم، عن الهجرة والتهجير اللذين طاولا المسيحيّين في لبنان في القرنين السابقين...

مقاربتي ليست تاريخيّة بالمعني التقني للموضوع... ولا هي تستَبْطن، في أيّ شكلٍ من الأشكال، موقفاً فئوياً مستفزاً... بل هي مقاربةُ ابنِ المعاناة الذي ما بَرِحَ يبحث عن حلولٍ تُعيد رَبْطَ أواصر الصداقة، بل الأخوة، بين الجماعات المكوّنة للنسيج الإجتماعي في بلادنا، كلّ الجماعات، وقَوْنَنَتِها، بالتالي، في عقدٍ اجتماعي بنّاء، يؤسّس لحالةٍ سوسيو-ثقافيّة مثلى، قاعدتُها العدالة والمساواة في الحقوق والواجبات، وسقْفُها باقةٌ من القيم الإنسانيّة الجامعة، والتي بدونها لا تستوي المجتمعات ولا تستقيم العلاقات بين البشر...!؟

تاريخنا مثقلٌ بالجراح منذ أن تشكّل هذا اللبنان الذي تعاقَدَت فيه جماعاتٌ دينيّةٌ، متوالفة فيما بينها حيناً، ومتخاصمة أحياناً...

هي الفتوحات والغزْوات المتلاحقة حوّلت بلاد الأرز على الشاطئ الشرقي لهذا المتوسط الرحب... حوّلَتْها إلى ساحةٍ لصراعات الأمم وأطماعها...

وإذا كان لبنان قد شهد في تاريخه الوسيط أحداثاً أدّت إلى تبدّلاتٍ ديموغرافيّةٍ ونزوحٍ سكانيّ، ولا سيما في عهد المماليك... فإنّ ما شهدناه في القرنين الأخيرين فاق كلّ التصورات وطرح جملة تساؤلات... وكاد أن يوقعَنا في المحظور... بحيث أوْشَكَتْ أن تنقلب، عندنا، بعضُ المفاهيم، ولا سيما التأسيسيّة منها، رأساً على عَقِبٍ، وفي مقدّمها إمكانيّة العيش معاً وقبول الآخر...!؟

أولاً، عن التهجير والهجرة في القرن التاسع عشر

بالعودة إلى أحداث القرن التاسع عشر الدامية التي عَصَفَتْ بجبل لبنان وامتدّت إلى زحلة لتبلغ الشام... بالعودة إلى تلك الأحداث التي تقابل فيها الموارنة والدروز عام 1845، ثم عام 1860، والتي سالت فيها الدماء وتقطّعت أوصالٌ بعد إلفةٍ دامت قروناً ووئامٍ ومشاركةِ شلش[1]... وذلك بعد أن شَهِدَ القرن الثامن عشر وَهْبَ الأراضي للمسيحيّين بهدف بناء الكنائس والأديرة – حتى أن البطريركيّة المارونيّة كانت قد انتقلت في القرن السابع عشر

(1) مشاركة الشلش: هي شبه قانون عقاري، بل عرف، يقوم على تقاسم الإنتاج الزراعي بين المالكين والمستثمرين، وقد يبلغ، مع مرور السنين، مستوى المشاركة بالملكيَّة... وهذا ما طُبِّق أيضاً بين الأديرة والفلاحين...!؟

إلى الشوف واستقرّت في مجد المعوش...!؟ فلا شكّ أنّ عوامل شتى، إقليميّة ودوليّة، قد دخلت على خط تلك الأحداث، بالإضافة إلى قضيَة بشير جنبلاط في الزمن الشهابي...

لقد حدث ذلك، إذن، على فالق الصراعات الإقليميّة والدوليّة، بُعَيْد وصول حملة نابوليون على مصر في أواخر القرن الثامن عشر (1798 - 1801).

ولو دقّقنا في ما جرى لنا من نكَبات في ما بعد، أي في القرن العشرين، لوجدنا أنّ جذورها ممتدّة إلى ما قبل تلك الحملة، كما إلى موائد قناصل الدول والباشوات... والليدي ستانهوب[1] - دون أن ننسى، طبعاً، عوامل أخرى كثيرة، ومن بينها نشوء الحركات السلفيَّة التي استعادت فتاوى إبن تيميّة في زمن المماليك...!؟

لقد حدث، إذن، تهجيرٌ سكانيٌّ كبير طاول المسيحيّين في جبل لبنان في القرن التاسع عشر. بدأت بعده حركة الهجرة. وقد تناهى إلينا بالتواتر وعلى لسان الخورأسقف يوحنا الحلو (مترجم اغسطينوس) أن بعض المسيحيّين الهاربين من مجازر الجبل اتجهوا جنوباً فسَلِموا واستقرّوا، بعضُهم في منطقة النبطيّة، وبعضُهم الآخر بين منطقتي سهل الجرمق وقرى بلاد بشارة الحدوديّة. أما الذين اتّجهوا نحو صيدا، فقد علِقوا عند المدخل الشرقي للمدينة في محلة القناية، فقضى عددٌ كبير منهم. كما علمنا، وبالتواتر أيضاً، أن عدداً من المسيحيّين الفارّين لجأ إلى قرى في إقليم الخروب. وفي هذا السياق، لا بد لنا من التنويه أيضاً، من أن المطران بطرس البستاني (1819 - 1899)، راعي أبرشيّتي صيدا وصور للموارنة، انتقل ليمكث، وبصورة مؤقتة، عند بكوات الشيعة في دير الزهراني... وهو المطران عينه

(1) الليدي أستير ستانهوب Lady Hester Stanhope (1776 - 1839) هي إبنة أحد كبار اللوردات الإنكليز، العالم المَوصوف شارلز ستانهوب Charles Stanhope (1753 ـ 1816)، وإبنة شقيقة رئيس وزراء بريطانيا، آنذاك، شارلز بت Charles Pitt (1759 ـ 1806)، المعادي لثورة 1789 الفرنسيّة... وللفرنسيّين. قدمت إلى لبنان، بعد رحلة سياحيّة إلى شرقي المتوسط، زارت خلالها مالطا وتركيا ومصر وفلسطين وسوريا.كانت سلطويّة، غريبة الأطوار. وقد لعبت، على ما يروى ويشاع، طوال أكثر من ربع قرن، دوراً سياسياً وإجتماعياً يثير الشكوك، لجهة إضرام نار الفتنة في الجبل؛ هذه الفتنة التي بدأت بأحداث 1845 بين المَوارنة والدروز. ويعتبر بعض المؤرّخين أنّ الليدي أستير كانت، لجهة علاقاتها بالأمراء والباشاوات وأصحاب النفوذ والأتراك، صاحبة سلطةٍ فعليّةٍ في جبل لبنان. [راجع رواية:

Thierry Boissel, La Vie Extraordinaire De Lady Stanhope/ La Vraie Châtelaine Du Liban, Coéd. Albin Michel - F.M.A., Paris, 1993.

الذي حل ضيفاً في وقت آخر على آل القعقور في بلدة بعاصير الشوفيَّة، على أثر خلاف بينه وبين السلطة الكنسيّة.

وكم عرّفتنا وثائق دير المخلص/ جون، ووثائق مطرانية الموارنة في بيت الدين، ولا سيما منها ما دوَّنه المطران أغسطين البستاني (1875 - 1957) حول تلك الأحداث الدامية وتفاصيلها.

أما عن الهجرة، والتي كانت بدأت في الزمن العثماني إلى دول الجوار، ولا سيما منها مصر وفلسطين، فقد تحوَّلت إلى الأميركتين، ثم استراليا، عبر أوروبا.

ففي أواخر الزمن العثماني، زمن الإضطهاد والفتن والعوز والقلة والجوع والأشبورة، تسارعت هجرة المسيحيّين إلى الأميركتين عبر أوروبا، ليبلغ الترحال ببعضهم العالم الجديد (أستراليا). وقد علمنا، وبالتواتر أيضاً، أن زوارق صغيرة كانت تنقل المسافرين إلى البواخر الراسية في عرض اليحر مقابل خليج النبي بونس.

باختصار، سؤال الهجرة بسيط ويخضع لقانون السببيّة، أما سؤال العلاقات الأخوية ومشاركة الشلش، وكيف تحولّت إلى اختلافات وصدامات دموية وتهجير وهجرة، فهو يخضع لنظريّة التفرقة التي دَرَجَتْ على ممارستها كلّ القوى الغازية... فقد نكون، ودون أن نهمل الأسباب الداخلية للنزاعات، ضحيّةَ تلك القوى...!؟

ثانياً، عن التهجير والهجرة في القرن العشرين

أما في القرن العشرين، ورغم إعلان دولة لبنان الكبير عام 1920، لم يفلح اللبنانيّون في ترسيخ نظام سياسيّ عصري يحقّق الميثاق الوطني بشكل عادل ويؤمّن الإستقرار والرفاه. وقد تحول لبنان، بنتيجة الإنقسامات الداخلية وما علق بالأذهان من ذيول أحداث القرن التاسع عشر، تحول إلى ساحة لصراعات المحاور الإقليميّة والدوليّة... فعرف أحداثاً كثيرة منذ قيام الإستقلال عام 1943، بَلَغَتْ ذروتها في الحرب الأهليّة التي اندلعت عام 1975.

وفي هذا السياق، كانت نكبة فلسطين، وفي بُعْدٍ من أبعادها المتعدّدة، تأسيساً لنكَبات هذا المشرق ولا سيما لبنان.

أما تعثّر بناء الدولة، دولة المؤسسات، فترك المجال لنمو الحالة الزبائنيّة التي أَنْتَجَتْ طبقةً سياسيّةً فاسدة ومتفلّتة من كلّ المعايير.

وكانت الحرب... وكانت المآسي والأهوال... وكان تهجيرٌ عظيم...!؟

لقد أحصَيْتُ في دراسةٍ أعدَدْتُها في بيت المستقبل في ثمانينات القرن الماضي أحداث التهجير في لبنان، والتي تجاوَزَتْ الألف، وكان نصيب المسيحيّين منها كبيراً، وكبيراً جداً... وكبيرةٌ جداً كانت هجرةُ المسيحيّين، وخاصة إلى أميركا الشمالية وأستراليا[1].

ثالثاً، الواقع الحالي

أما الواقع الحالي للبنان، لبنان ما بعد الطائف، فيشير إلى أن تبدلاتٍ ديمغرافيّة حَصَلَتْ بالفعل... ففَرَغَتْ بلداتٌ وقرى... وتبدّلَتْ وجوه الأمكنة. والمؤسف المؤسف أنّ ما سمي بـ السلام الأهلي، منذ تسعينات القرن الماضي، كان هشّاً، بحيث لم يُعْمل على تقعيده وقوننته وصيانته. بل على العكس من ذلك، أستمرّت الحرب على الْسنة الساسة، ومعها الإنقسمات والصراعات... وكان العدوان... وكانت الإغتيالات... وكان التعثّر... وكان الإنهيار الكبير... و... وبِئسَ المصير...!؟

استنتاجات وخلاصات

أتكون الجماعات التي يتكون منها مجتمعُنا قد أخذت العبر من حروبنا الداخليّة التي، أزعم أنها كانت عبثيّة...!؟

فالمشكلة لا تكمن بالهجرة، بل بعدم توفير الظروف لقيام دولة راعية وحاضنة لشعبها... وقد تعاقب عليها مسؤولون، كانوا بغالبيّتهم عديمي الرؤيا ومجبولين بالجهل والأنانيّة...!؟

حبّ الوطن ليس فوكلوراً، أو مجرّد أغنية، بل هو مسؤوليَّةٌ رفعها الياس بطرس الحويك، بطريرك لبنان الكبير... في رسالته الراعويّة الأخيرة إلى مقام العبادة[2].

فعليه، وكي لا تتحول مدننا إلى حارات نصارى، على المسيحيّين في لبنان، وسائر المشرق، أن يجاهروا باعتماد صيغة الدولة المدنيّة القادرة والعادلة. وكي يستقيم مجتمعنا، بل مجتمعاتنا، لا بد من بناء رؤية ثقافيّة نِبراسها البعد الإنساني الجامع.

---

(1) صحيح أن عدد المسيحيّين في لبنان قد تناقص بشكل لافت خلال الحرب بسبب الهجرة...

(2) والتي لم تتوقف في مرحلة ما سمي بالسلام الأهلي... ولا سيما في العقدين الأخيرين، منذ اغتيال الرئيس رفيق الحريري وعدد من السياسيّين والأمنيّين... حتى بلغت ذروتها بعد انفجار مرفأ بيروت في 4 آب/ أغسطس، والإنهيار الشامل الذي وقعت فيه الدولة اللبنانيّة في عهد الرئيس ميشال عون (2016 - 2022).

لن أعود إلى ما قاله لي بعض أصحاب التجارب الكبيرة في هذا الشأن تعبيراً عن معاناتهم وتخوفهم من المستقبل القاتم.

أذكر من هؤلاء الأب نعمة الله عون الرميشي عام 1977، الراهب الشجاع الذي انتُدب للصلاة على أرواح شهداء مجزرة الجبل التي أعقبت اغتيال كمال جنبلاط، في بلدة معاصر الشوف؛ والعلاّمة الخوري يواكيم مبارك عام 1984 في ساحة بكركي، من أن الحرب اللبنانيَّة قد أطاحت بكل ما بنيناه من عقود (على مستوى الحوار المسيحي الإسلامي)؛ والمطران سليم غزال عام 1988 وخشيته من أن تؤدي الحرب إلى تعثّر تجربة العيش المشترك؛ والمطران حميد موراني عام 2000 وخوفه من ألا يتمّ أصلاح الكنيسة... لأصِل إلى المطران جورج خضر، الشاهد الكبير على العصر، الذي باح لي عام 2010، بأن الله، سبحانه وتعالى، عاقبنا بكل ما جرى ويجري لنا (...)[1].

ويبقى السؤال مطروحاً والجواب رهن بما تخبؤه لنا الأزمنة القادمة من حلول. فموضوعنا لا يدخل في باب الخيال العلمي la science fiction، بل هو يكمن في حقيقة مجتمعات لم ترقَ بعد إلى مستوى اعتبار كرامة الإنسان الفرد قيمةً عليا لا يمكن تجاوزها تحت أيّ مسمى كان.

نحن معلّقون بين الصهيونيّة التلموديّة والأصوليّة التكفيريّة... حركتان متخاصمتان في الظاهر... متفقتان في العمق... إنهما كالمرض العضال، يختفي من مكان ليعود فيظهر في مكان آخر.

تلك الأحاديّة هي نقيض بقائنا، نحن المسيحيّين، في هذا المشرق العظيم...!؟

(1) إشارة إلى رسالة البطريرك الياس الحويك (1843 - 1931) في حب الوطن الصادرة عام 1927.

الاستثمار في تعليم الشباب والحدّ من الهجرة

د. راكان رزوق

مقدمة:
الأسرة السورية ومنظومة الأمان الاجتماعي

ما تزال منظومة الأمان الاجتماعي في سورية تعتمد إلى حدّ بعيد على الأسرة. فالأسرة السورية كانت وما تزال المؤسسة التي توفر لأفرادها فرص العيش بأمان، والحماية والنمو والتطور.

يعتبر الأهل الاستثمار في الأبناء هو الضمان الحقيقي لمستقبل الأسرة، فالأولاد الناجحون سيوفرون للأهل العيش الكريم عندما يكبرون ويقدمون لهم العيش الكريم في شيخوختهم.

ومن أهم ما تقدمه الأسرة لأبنائها فرص التعليم الذي يتيح لهم فرص العمل والنجاح. ومع أن التعليم في سورية يُعدّ من الخدمات شبه المجانية التي تقدمها الدولة إلا أنه أصبح يشكل عبئاً على الأسر السورية نظراً لانخفاض مستويات الدخل من جهة وارتفاع النفقات الإضافية للتعليم مثل المواصلات واللباس والقرطاسية وغيرها، خصوصاً في مرحلة التعليم الجامعي وما بعدها.

نعرض في هذا البحث أهم ملامح منظومة التعليم في سورية والإمكانات المتاحة، وأهم التوجهات لدى جيل الشباب في مرحلة التعليم الجامعي.

فرص التعليم المتاحة للشباب داخل سورية وخارجها

يُقسم التعليم في سورية إلى مرحلتين: التعليم ما قبل الجامعي، والتعليم الجامعي. يتضمن التعليم ما قبل الجامعي:

رياض الأطفال: وهي مرحلة تعليم غير إلزامية مدتها من سنتين إلى ثلاث سنوات، وغالباً ما تجري في رياض أطفال مملوكة من القطاع الخاص أو تابعة لجمعيات أهلية أو مؤسسات حكومية (لأبناء العاملات فيها).

التعليم الأساسي: وهو مرحلة تعليم إجباري وإلزامي ومجاني. حدد القانون رقم 7 لعام 2012 سن التعليم الإلزامي بخمسة عشر عاماً، كما وضع الأسس معالجة أوضاع الأطفال الذين لم يلتحقوا بالمدارس والذين يعادون إلى المدارس بعد التسرب ممن تتراوح أعمارهم بين 8 – 15 سنة.

التعليم الثانوي: وهو مرحلة تعليم غير إجبارية لكنها مجانية، من الصف العاشر حتى البكالوريا، وفيها التعليم الثانوي العام (علمي - أدبي)، والتعليم الثانوي المهني (صناعة، تجارة، نسوي، سياحة وفنادق،...)، والتعليم الثانوي الشرعي. ينتهي التعليم الثانوي بالحصول على شهادة الدراسة الثانوية التي تمنحها وزارة التربية.

التعليم العالي

تتألف منظومة التعالي في سورية من الجامعات الحكومية (8 جامعات)، والجامعات الخاصة (23 جامعة)، والمعاهد العليا (ثلاثة معاهد). كما يوجد حوالي 200 معهد متوسط (مدة الدراسة سنتان) معظمها تابعة لوزارات غير وزارة التعليم العالي.

يبلغ عدد المنتسبين إلى التعليم الجامعي في سورية حوالي 740 ألف طالب، منهم حوالي 450 ألف طالب في مرحلة الإجازة، و 25 ألف في مرحلة الماجستير والدكتوراة، و125 طلاب تعليم مفتوح، و140 ألف في المعاهد التقانية.

العرض والطلب في منظومة التعليم العالي

كان الهدف الأساسي للتوسع الأفقي في التعليم العالي تأمين فرصة التعليم الجامعي لكل من يحصل على الشهادة الثانوية. وقد تحقق هذا الهدف إلى حدّ بعيد من خلال العدد الكبير من مؤسسات التعليم العالي (خصوصاً المعاهد المتوسطة التي تغير اسمها لاحقاً إلى المعاهد التقانية).

إلا أن تلبية الاحتياجات الفعلية لسوق العمل ورغبات الطلاب بقيت مسألة صعبة الحلّ، نتيجة عدة عوامل أهمها التطور السريع في احتياجات سوق العمل، وقلة عدد المقاعد في

بعض التخصصات (الطبية والهندسية) بالمقارنة مع عدد الراغبين بدراسة هذه التخصصات، وصعوبة تطوير الخطط والمناهج بالسرعة المطلوبة، وضعف الإمكانات المادية والبشرية لدى معظم مؤسسات التعليم العالي السورية.

أُحدثت الجامعات الخاصة لتساهم في زيادة فرص التعليم العالي، خصوصاً في الأرياف البعيدة عن مراكز المدن، تتميز الجامعات الخاصة بإمكانات مادية وبشرية أكبر من الجامعات الحكومية (نتيجة حصولها على أقساط دراسية من الطلاب)، ومرونة أعلى في التغيير. إلا أن أعداد الطلاب المسجلين في الجامعات الخاصة ما زال قليلاً (حوالي 10% من إجمالي عدد طلاب المرحلة الجامعية).

التعليم العالي في الجامعات الحكومية شبه مجاني (الرسم السنوي بضع آلاف من الليرات السورية)، ورسم التسجيل في نظام التعليم الموازي أقل بكثير من رسوم الجامعات الخاصة. تتقاضى الجامعات الخاصة رسوماً سنوية من مرتبة ملايين الليرات السورية وعلى الطلاب غير السوريين والطلاب السوريين الحاصلين على شهادات غير سورية الدفع بالقطع الأجنبي.

يلجأ الطلاب الذين لا يحصلون على مقعد في الجامعات الحكومية إلى الجامعات الخاصة التي يمكن الدخول إليها بمعدلات أقل من الجامعات الحكومية، تضع وزارة التعليم العالي والبحث العلمي في مطلع كل عام دراسي الحدود الدنيا للعلامات المطلوبة للتسجيل في الاختصاصات المتوفرة في الجامعات الخاصة، وحدأ أعلى للرسوم التي يمكن أن تتقضاها الجامعات الخاصة من الطلاب. ومع أن التعليم العالي في الجامعات الخاصة السورية يُعدّ مكلفاً- إلا أنه يبقى أقل كلفة بكثير من الدراسة في الخارج.

السفر للدراسة: فرصة للتحصيل العلمي أم مقدمة للهجرة

تسعى بعض الأسر السورية إلى إرسال أبنائها للدراسة في الخارج، رغم الأعباء الكبيرة التي يرتبها ذلك على الأسرة. وفي الكثير من الحالات يكون الدافع الأساسي وراء مثل هذا القرار اقتناع العائلة والطالب بأهمية الحصول على التعليم الجامعي في أحد بلدان الاغتراب (غالباً أوروبا أو أميركا الشمالية) كمقدمة للاندماج في هذه البلدان والعمل والعيش فيها.

ولدى الانتقال إلى مرحلة التخصص أو الدراسات العليا، نجد أن هذه الظاهرة تصبح أوضح. فأعداد الخريجين الجدد الذين يقصدون دولاً أخرى للتخصص أو للدراسات العليا

في تزايد مستمر، خصوصاً لدى الأطباء والصيادلة والمهندسين، وأصبحت ظاهرة تعلم اللغات الأجنبية لدى وصول الطالب إلى سنة التخرج منتشرة بكثرة لدى الطلاب، خصوصاً الذكور.

ساهمت هذه الظاهرة في تفاقم الحاجة إلى بعض التخصصات في سورية (مثل أطباء التخدير، ومهندسي المعلوماتية)

إن تزايد أعداد الخريجين الجدد الذين يتركون البلد فور تخرجهم يحرم البلد من هذه الكفاءات، ويساهم في تشتت العائلات.

العمل ما بعد التخرج: الفرص والتحديات

يواجه الخريجون بعد التخرج مشكلة أخرى، وهي الانتقال إلى سوق العمل، وإيجاد عمل يتناسب مع تحصيلهم العلمي. وفي ظل الوضع الاقتصادي الصعب الذي تعيشه البلاد تصبح هذه الفرص قليلة وضعيفة المردود ولا تتناسب مع احتياجات هؤلاء الشباب ولا تؤمن لهم فرصة حياة كريمة.

ما زال القطاع العام (المؤسسات الحكومية) هو المستقطب الأهم للعمالة في سورية رغم الرواتب المتدنية التي تآكلت قدرتها الشرائية في ظل التضخم الكبير.

يبحث قسم من الخريجين عن فرص عمل في شركات القطاع الخاص التي تراجعت قدراتها على استيعاب طالبي العمل بسبب تباطؤ أعمالها وإغلاق العديد منها.

أصبحت فرص العمل في دول الجوار أو في بلاد الاغتراب هي الأكثر طلباً خاصة للخريجين من الذكور.

متطلبات مساهمة الدارسين في الخارج في التنمية: دروس مستفادة

مع أن الدارسين في الخارج، سواءٌ للمرحلة الجامعية الأولى أو للدراسات العليا، يسعون إلى الاستقرار في بلد الاغتراب إلا أن ارتباطهم بوطنهم الأم يبقى قائما. ونلاحظ ذلك بتواتر زياراتهم كلما سنحت لهم الفرصة. وقد يكون الارتباط العائلي أهم أسباب رغبة هؤلاء بالحفاظ على هذه الصلة.

يمكن لهؤلاء أن يساهموا في تطوير التعليم والصناعة وقطاع الأعمال إذا ما توفرت الشروط المناسبة التي تمكنهم من بناء علاقات مهنية مع أقرانهم في الداخل.

من تلك الشروط البيئة القانونية والاقتصادية الجاذبة للكفاءات والاستثمارات، وحلّ إشكالات بعض المغتربين المتعلقة بدخولهم وخروجهم وتبسيط الإجراءات الإدارية المتعلقة بالنشاطات الاقتصادية، مثل حركة البضائع ورؤوس الأموال والأشخاص.

ثمة تجارب عديدة لبلدان مرت بأزمات أدت إلى هجرة نسبة كبيرة من شبابها إلى دول أخرى، مثل الهند والصين، وعندما توفرت البيئة المناسبة كان لهؤلاء المهاجرين دور مهم في تطوير قطاعات حيوية في بلدانهم الأصلية.

خاتمة وتوصيات

ما زال التعليم ضمن أولويات الأسرة السورية وهي تسعى بكل إمكاناتها لمواجهة العوائق أمام تعليم أبنائها.

على مؤسسات التعليم العالي إتاحة أكبر قدر من فرص التعليم للشباب، وتنويع هذه الفرص وتوجيهها بما يتناسب مع التطور في احتياجات سوق العمل.

أصبح البحث عن فرص للتعليم والعمل في الخارج هاجس شريحة واسعة من الشباب، وهذا يساهم في زيادة معدلات هجرة الشباب واستقرارهم في بلدان الاغتراب.

السعي إلى الاستفادة من خبرات وإمكانات الدارسين في الخارج، وبناء علاقات مهنية مع أقرانهم وتسهيل المبادرات التي يقدمونها.

المسكونية خطر أم فرصة؟

د. الياس الحلبي

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن عند قراءة هذا العنوان هو: لماذا المسكونية؟ وما علاقة المسكونية بما نحن فيه؟ أليست المسكونية في أفول اليوم؟

أولاً، لا بد من تحديد المصطلح.

فالمسكونية بحسب تحديدها هي حركة أو سعي نحو الوحدة والتعاون بين المسيحيين والتقارب بين الكنائس وصولا إلى الوحدة.

كلمة المسكونية مشتقة من اليونانية (oikoumen اي العالم المسكون) و (oikos أي البيت).

أما كمفهوم تعددت دلالاته واستعمالاته ولكن المشترك بينها هو ذلك التوق إلى إظهار وحدة جسد المسيح المنطور أي الكنيسة.

لقد عانت المسيحية منذ منذ نشأتها من انقسامات وصراعات لاهوتية وخلافات داخلية وصراع قوى بين بطريركيات ونزاعات سياسية وأثنية واجتماعية وثقافية.

وسعى الأباطرة إلى التوفيق بين الانقسامات اللاهوتية التي استجدت من خلال الدعوة إلى عقد المجامع المسماة مسكونيّة في نيقية (325 م)، والقسطنطينية (381)، وأفسس (431).

لكن هذا المسعى اصطدم برفض بعض الكنائس لمقررات مجمع خلقيدونية (451) فخرجت هذا عن الإجماع وهذا ما عرف بالانشقاق الصغير.

ثم اتبع ذلك بالانشقاق الكبير سنة 1054 بين كنيسة القسطنطينية وكنيسة روما لأسباب لاهوتية وغير لاهوتية.

لقد كان الشرق المسيحي مسرحاً لكثير من تلك الأحداث وكان له النصيب الأكبر من ارتدادات تلك الانقسامات.

السعي إلى الوحدة أخذ منعطفاً خطيراً مع توجه الفاتيكان لفرض الشركة على الأرثوذكس في المشرق من خلال المرسلين الكاثوليك بدأ من النصف الثاني من القرن الخامس عشر وعلى مبدأ العودة إلى الطاعة reducticio in oboedientiam أي باعتبار أن هناك كنيسة أعلى من أخرى وليس من خلال حوار على قاعدة المساواة.

مما أدى إلى نشوء الحركة الإنضمامية Uniatism وما نتج عنها من تأسيس لكنائس شرقية ملحقة بروما.

أما الحركات التبشيرية البروتستانتية التي وصل أول مرسليها إلى بيروت 1823 فأسسوا كنائس وطنية إنجيلية في إسطنبول 1836 من أبناء الكنيسة الأرمنية وعام 1848 أنشأوا أول رعية إنجيلية في بيروت وكرت السبحة.

المفارقة الكبرى أن انطلاقة الحركة المسكونية في القرن العشرين أتت من تلك الحركات التبشيرية البروتستانتية التي مزقت جسم كنائس هذا الشرق.

فاستمدت الحركة المسكونية في أوائل القرن العشرين الزخم من إلتقاء أربعة تيارات تبشيرية وهي المجلس الإرسالي الدولي International Missionary Council الذي تأسيس سنة 1921 ومن مؤتمرات الإيمان والنظام the Faith and Order ابتداءً مؤتمر لوزان سنة 1927 ومؤتمرات الحياة والعمل Life and Work بدءًا من مؤتمر ستوكهولم سنة 1925.

وكتتويج لهذا المسار تم تأسيس مجلس الكنائس العالمي WCC في أمستردام في عام 1948 ويضم أكثر من 300 كنيسة - بروتستانتية، وأنجليكانية، وانضمت إليه الكنائس الأرثوذكسية، والأرثوذكسية شرقية.

الجامع المشترك بين هذه الكنائس أنها تعترف بالرب يسوع المسيح إلهًا ومخلصًا وفقًا للكتاب المقدس، وتسعى معًا لتحقيق دعوتها المشتركة، لمجد الله الواحد الآب والابن والروح القدس.

ومن ثم انضم اليهم المجلس التبشيري الدولي في عام 1961 والمجلس الدولي للتربية المسيحيّة سنة 1971.

أما على المقلب الآخر، فقد أعطت الكنيسة الكاثوليكية من خلال المجمع الفاتيكاني الثاني (1962 - 1965) ومرسوم الحركة المسكونية (1964) دفعاً جديدًا للحركة المسكونية تمثل باطلاق الحوارات الثنائية مع الكنائس الأرثوذكسية والأرثوذكسية الشرقية والكنيسة الآشورية في الشرق.

إذا يمكن النظر إلى تاريخ المسيحية على أنه سباق بين الإنقسام والوحدة وتصبح المسكونية هي عنوان هذه الجدلية.

فلماذا حصل هذا التحول في المسار الكنسي؟ وما الذي أعطى الحركة المسكونية هذا الزخم في العصر الحديث؟

أولاً، لا بد من التأكيد أن السعي إلى الوحدة هو مرتكز على أساس كتابي وهو استجابة صريحة لصلاة الرب يسوع من أجل أن يكون التلاميذ وجميع الذين يؤمنون به إِنِّي أَعْطَيْتُهُمُ الْمَجْدَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لِيَكُونُوا وَاحِداً كَمَا نَحْنُ وَاحِدٌ.

(يو 17, 22). وقد تجلت هذه الوحدة في معجزة العنصرة (أعمال الرسل الاصحاح 2) ومن خلال حياة المسيحين الأوائل.

ثانياً، إن المسكونية هي حركة وكونها حركة تعني السيرورة والنمو والتغيّر، لا يخفى أن التغيّر ليس دوماً إيجابياً أي نحو الأفضل بل في بعض الأحيان يمكن أن يكون سلبياً وهذا ما يفسر إختيار العنوان: المسكونية خطر أم فرصة؟

ثالثاً، هذه الحركة تستمد فعاليتها ومشروعيتها من تلاقي الشهادة المسيحية مع قضايا العالم.

فالحركة المسكونية في العصر الحديث أتت نتاج أو استجابة لواقع عالمي متغير خاصة بعد الحربين العالميتين وما نتج عنهما من تصور لعالم جديد مبني على مبادئ إنسانية تعلي قيم الحقوق والحريات والحداثة وتجافي الأديان.

فكانت الحركة المسكونية منصة لتلاقي المسيحيين على اختلاف مشاربهم للعمل معا من أجل نشر قيم الإنجيل في عالم متغير تتناتشه الإيدولوجيات ومزقته السياسات بين شطري الحرب الباردة.

الفكرة التي ستتمحور حولها هذه الورقة هي إن التقارب المسيحي الذي إبتدأ في العالم البروتستانتي وواكبته الكنيسة الكاثوليكية ولاقته الكنائس الأرثوذكسية والذي تبلور سنة 1948 بتأسيس مجلس الكنائس العالمي وسنة 1974 بتأسيس مجلس كنائس الشرق الأوسط شكل فرصة لهذه الكنائس مجتمعة أن تنطلق بخدمة مصالحة مع الآخر ومع العالم بعد أن شكلت هذه الحركات التبشيرية خطراً على الكنيسة جسد المسيح الذي تشظى بفعل أعمال الإقتناص خاصة في المشرق.

وان المسكونية بشكلها الحالي، وما تعيشه من حالة أفول الدور لأسباب كثيرة لا مجال لاستعراضها الآن ومن أهمها البعد بين الشهادة المسيحية المشتركة والقضايا الإنسانية الكبرى، لا يمكن أن تختزل الطاقة الكامنة في المسكونية لكونها تيار يحركه الروح القدس إنطلاقاً من دعوة الرب يسوع لتلاميذه أن يكونوا أحداً.

فإذا كانت المسكونية في بداية القرن العشرين تحولت، من دعوة إلى ذوبان الآخر المسيحي في قالب مغلق أناني خاص بكل كنيسة، إلى خدمة مصالحة قائمة على احترام الخصوصية اللاهوتية والتاريخية لكل كنيسة على قاعدة الوحدة في التنوع بعد أن ذهبت الكنائس في الغرب إلى حد سلخ أبناء الشرق عن كنائسهم فالسؤال المحوري هو: ماذا يمنع أن تتحول المسكونية في القرن الواحد والعشرين من خطر على وجود أي كنيسة في الشرق إلى فرصة للتلاقي بين المسيحية بكل تلاوينها والعالم الذي نعيش فيه اليوم؟

من أجل مقاربة هذه الفرضية يجب الانطلاق من العناصر التي مكنت المسكونية في القرن العشرين أن تلعب هذا الدور وتالياً هل هذه العناصر متوفرة في القرن الواحد والعشرين؟ وكيف يمكن توفرها من أجل الوصول إلى تمكين الحركة المسكونية أن تلعب دوراً شهادياً اليوم وهنا؟

النقطة الأولى: لقد شكلت الحركة المسكونية رافعة للنهضة ومحرك لعمل الروح في الكنائس وذلك لان الروح يهب حيث يشاء.

وقد لعبت حركات الشباب المسيحي دوراً مهماً في استلهام الحركة المسكونية والسعي إلى تجديد الإلتزامها الكنسي وحركة الشبيبة الارثوكسية هي إحدى هذه الأمثلة.

النقطة الثانية: التوازي بين السعي إلى التقارب اللاهوتي، البعيد عن كل أشكال التلفيق والتوفيق، والشهادة المشتركة في قضايا العدالة الإجتماعية والدياكونية أي خدمة المتحاجين كأخوة ذوي كرامة إنسانية.

هذه الدياكونية التي طالما نُظر إليها على أنها أداة إقتناص وأداة إستعمار تحولت إلى تعبير عن محبة المسيح المجانية كل إنسان بغض النظر عن دينه أو عرقه أو جنسه.

النقطة الثالثة: الحضور في خضم تحولات العالم من خلال دعم الشعوب في حقها في تقرير المصير وملاقاتها في سعيها للتحرر من نير الإستعمار ومناهضة كل أشكال التمييز العنصري كما هي الحال في جنوب أفريقيا والدور الذي لعبته الكنائس في إنهائه.

إن أهمية هذا الأمر يكمن في أن العالم في تلك الفترة كان يعيش فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وفي أجواء الحرب الباردة وما رافقها من أيدولوجيات مادية ملحدة وتطور الحداثة وارتباطها بالعلمانية كشرط للتقدم والرفاه.

النقطة الرابعة: التلاقي مع الآخر الغير مسيحي، بينما كانت الكنائس تسعى لمواكبة أبنائها في حركة تحررهم في القسم الجنوبي من الكرة الأرضية وخاصة في آسيا وجدت نفسها في الخندق ذاته مع أبناء هذه البلدان من ديانات أخرى مثل الإسلام والبوذية والهندوسية.

فابتدأت هذه الكنائس والهيئات المسكونية بالتفكير في التلاقي مع مؤمني الأديان الحية (كما سموها) من غير المسيحيين.

وقد لعب لبنان دوراً مهما بعد سويسرا مقر مجلس الكنائس العالمي في إستضافة المبادرات الأولى التي وضعت الأسس التي قام عليها ما أصطلح على تسميته بحوار الأديان والحوار المسيحي الإسلامي بشكل خاص.

فأول لقاء نظمه مجلس الكنائس العالمي وجمع مسيحيين من هذه البلدان للتباحث في الشهادة المسيحية في مجتمعات ذات تعددية دينية عقد في برمانا، لبنان سنة 1966.

وأول لقاء جمع مسيحيين ومسلمين وهندوس نظمه مجلس الكنائس العالمي في عجلتون، لبنان سنة 1970.

بذلك تكون قد انفتحت المسكونية من الإطار المسيحي الحصري المنتشر في العالم لتشتمل بعنايتها معتنقي الأديان الأخرى أي كل من خلقهم الله وآمنوا به وسعوا إلى بناء الخير والسلام في العالم.

بذلك يكون قد توسع مفهوم المسكونية من وحدة الكنيسة إلى وحدة الجنس البشري.

كثر يقولون أن هذه المسكونية كانت في الماضي وكان عصرها الذهبي في القرن العشرين. ولماذا يرى البعض في المسكونية تهديداً اليوم ؟

- الأصولية الدينية: إن التحليل لأسباب هذه الحالة الرافضة للمسكونية والمحذرة منها يمكن مرده إلى الأصولية الدينية.

بالعودة إلى فترة نهاية الحرب الباردة، فقد أكد فوكوياما في مقالته الشهيرة عن نهاية التاريخ بأن الحداثة خلقت حالة مادية إنعكست خواءً روحياً مما ساعد علي نمو الحركات الأصولية في كل الأديان، مسيحية ويهودية وإسلامية وبوذية وهندوسية.

وقد اكد صمويل هانتنتون على هذه الفكرة في نظريته عن صراع الحضارات إذ جعل الدين من ضمن محددات الهوية الحضارية التي ستتصارع.

فإذا درسنا العناصر المكونة لهذه الأصولية الدينية على اختلافها نجد أنها تتفق فيما بينها على خصائص محددة أولها وأهمها أن من يرفض المسكونية ينطلق من قناعة راسخة بان هناك حرب كونية على دينه أو مذهبية وأن الله كلفه بالدفاع عنه وعن صحيح دينه فلا مجال للتعايش بينه وبين الآخر المختلف دينياً لان الحق والباطل لا يلتقيان وأخيراً هو مهجوس بالمسيانية وتجليلتها الآخروية.

- أزمة الهوية: أي اختزال الهوية الفردية والجماعية بمكون واحد فقط وعادة ما يكون هو المكون المذهبي أو الديني أو الإثني.

فقد حذر أمين معلوف في كتابه الهويات القاتلة من أي ادغام لكل مكونات الهوية في عنوان أو مسمى واحد tag لأنه يسهّل كل أعمال التميز ويبرر العنف بكل أشكاله ضد هذا الآخر المختلف.

- كورونا وتحدي الإيمان: ما فاقم هذه الظاهرة هو حالة الإحساس بالعجز الكلي حتى للعلم أمام وباء كورونا الذي زعزع كل قواعد الأمان التي بنى الإنسان عليها حياته ورفاهه.

فلا الشباب حمى ولا المال أسعف والطب والعلم وقفا عاجزين في كثير من الأحيان.

إختلال الوزن هذا وتصدع القواعد التي بنى عليها الإنسان حياته وأمانه ورفاهه أدى إلى أن يلتجئ الإنسان إلى الله.

وككل مرة عزا هول ما يحدث إلى خطيئة لذلك رجع إلى التفسيرات الأكثر أصولية والممارسات الأكثر محافظة من أجل ضمان رضى الله عنه وحمايته له.

- الجهل: يدخل عنصر الجهل بالمسيحية أولاً وبالمسكونية ثانياً مادة غنية ساهمت في تكبيل الدور المسكوني للمؤسسات والكنائس اليوم.

فخلافاً لما يتداول دون سندٍ أو تدقيقٍ فإن الكنائس لم تقدم أي تنازل عن أي من ثوابتها اللاهوتية ولم تمالق ولم تساوم في العقيدة طوال مسيرتها المسكونية.

أمام هذا كله إنكمشت الكنائس على نفسها وأهملت القضايا الكبرى لصالح المصالح الضيقة وصارت أسيرة الأجندات الأصولية التي استشرت في كل كنيسة مستفيدة من المنابر المفتوحة على وسائل التواصل الإجتماعي المتفلتة من أية ضوابط.

فادعت الأصوليات لنفسها حصرية المحافظة على الإيمان وامتياز توزيع شهادات النقاء الطائفي.

كيف تشكل المسكونية فرصة؟ إن نفس العناصر التي شكلت دعائم الإنطلاق الأولى للمسكونية في العصر الحديث يمكن أن تفتح آفاق جديدة لمستقبل المسيحيين وشراكاتهم في أوطانهم.

المسألة الأولى: الإقرار قولاً وفعلاً بإله واحد آب ضابط الكل أي أن كلنا عيال الله وبالتالي كلما سعينا إلى الله بقلب صادق وعقل منفتح نستطيع أن نلتقي مع الآخر المختلف.

لان الجهل بالآخر يولد الخوف والجهل والخوف يشكلان أرضاً خصبة لنمو الأصوليات.

أما المحبة فتطرد الخوف إلى خارج كما يقول الإنجيل.

المسألة الثانية: اليوم وأكثر من أي وقت مضى نحن مدعوون لوعي خطورة إنقساماتنا المسيحية على صورة المسيح الإله المخلص في نظر العالم لأنه قال: أَنَا فِيهِمْ، وَأَنْتَ فِيَّ،

لِيَكْتَمِلُوا فَيَصِيرُوا وَاحِداً، حَتَّى يَعْرِفَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي وَأَنَّكَ أَحْبَبْتَهُمْ كَمَا أَحْبَبْتَنِي (يو 17, 23).

أي أن انقساماتنا تعطل عمل المسيح الخلاصي في العالم، وكذلك تعطل التام جسد المسيح المنظور أي الكنيسة جماعة المؤمنين.

نحن اليوم مدعوون ليس فقط أن نتكلم بلغة الجمع كما يظهر في كثير من البيانات الصادرة عن إجتماع رؤساء الكنائس بل علينا أيضاً أن نفكر بالجمع وليس بالمفرد.

فلا مكان لفرقة ناجية في المسيحية ولا في أي دين آخر.

المسألة الثالثة: إن المادية الملحدة لم تعد المهدد الأساسي لوجود المسيحية والأديان أخرى ولكن العنف الممارس بأسم الدين قد ولد موقفا رافضا للدين بكل أطيافه -Anti Religious كما انه يقصي الدين كبعد جامع ضامن للقيم الإنسانية في الفضاء العام.

المسألة الرابعة: وهي مرتبطة بالسابقة وهو إرساء مبدأ المواطنة الكاملة في الحقوق والواجبات والبعيد عن الحسابات الأقلوية أو الأغلبية.

ومناصرة القضايا الإنسانية العادلة والعمل على رفع الظلم.

فالعدالة ليست نسبية ولا يمكن حصرها بأبناء أي ديني، والظلم ظلم والجوع جوع والقهر قهر في كل دين وكل عرق وكل مكان والسكوت عن الظلم هو شراكة في فعل الظالم.

المسألة الأخيرة: هو قضية الهوية المركبة الجامعة Complex and heterogeneous المشتملة على كل مكونات الحضور الإنساني في العالم والدين عنصر أساس في تشكيل هذه الهوية.

وهنا لا بد أن نلفت إلى أن الهوية مرتبطة بالحضور والدور.

فكما كان للمسيحين دور في النهضة العربية وإعادة تشكيل الوعي السياسي والوطني في العالم العربي على قاعدة الشراكة ضمن الهوية العربية كمعطى ثقافي وحضاري، لا بد اليوم من إعادة صياغة الدور المسيحي على قاعدة الشراكة التي تستلهم درس الماضي بنجاحاته وإخفاقاته لتؤسس لمستقبل مشترك يبني وعياً لخصوصية تستمد مشروعيتها ووجودها من أثرها الفعلي على هذا الواقع وفعاليتها في حياة كل إنسان في هذه المنطقة.

في الختام لا بد من الإشارة إلى خصوصية المشرق في مسار المسعى الوحدوي وما عبر عنه الأب جان كوربون في كتابة كنيسة المشرق العربي (ص 19) تحت عنوان: أنطاكيه من الحنين إلى التحدي.

لقد ولدت كنيسة أنطاكية تحت شعار التعددية ولم تتغير طوال ألفي سنة من التاريخ المسيحي.

فالكنائس الحالية معظمها مبنية على أساس أنطاكية ومثقفة بثقافتها.

وهي كأمها أنطاكية تعاني من الحنين إلى وحدتها الغنية.

وكل تجاهل لهذه المعاناة يؤدي إلى عدم فهم تحدي الوحدة الذي يُطرح أمام الكنائس في أيامنا هذه.

المراجع:

المسيحية عبر تاريخها في الشرق، بيروت: منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط، 2001.

كربون جان الأب، كنيسة المشرق العربي، بيروت: منشورات مجلس كنائس الشرق الأوسط،1997.

The History of the Ecumenical Movement, Geneva: World Council of Churches Publications, 2002.

Maalouf Amine, In the Name of Identity: Violence and the need to Belong, New York: Aracde Publishing, 2001.

Fukuyama Francis, The End of History? The National Interest, Summer 1989.

Huntington, Samuel, The clash of civilizations? Foreign Affairs, Summer 1993.

Emerson O. Michael and Hartman David, The Rise of religious fundamentalism, Annual Review of Sociology, Vol. 32, 2006.

دور الكنيسة في العمل الانساني والتنموي

أ. روي موصللي

الموضوع:

سأقوم باستخدام مثال دور هيئة مار افرام السرياني البطريركية للتنمية (EPDC \ الهيئة) بشكل خاص والهيئات المسيحية الأخرى بشكل عام في العمل الإنساني الإغاثي والتنموي فقط للتوضيح وليس بهدف عرض أعمال الهيئة إذ نصحنا مار افرام السرياني أن نتجنب الغرور (إذا كنت ترغب في مساعدة شخص ما، فاعطه سرا وتجنب الغرور أو التكبر)

مقدمة عن الهيئة:

هيئة مار افرام السرياني البطريركية للتنمية هي ذراع بطريركية أنطاكيا وسائر المشرق للسريان الاورثوذكس في الإغاثة والتنمية وتتبع مباشرة لقداسة البطريرك مار إغناطيوس أفرام الثاني الكلي الطوبى كمدير مجلس إدارة وإدارة نيافة المطران مار بطرس قسيس كمدير عام.

ابتدأت الهيئة عملها منذ عام 2003 أي منذ الهجرة والتهجير واللجوء إلى سوريا من الأخوة العراقيين.

التوزع الجغرافي:

يتوزع عمل الهيئة على الجغرافية السورية باستثناء السويداء وحماه والساحل السوري وتبدأ الآن أعمالها في إدلب.

الخدمات (حسب الشرائح الضوئية):

تغطي خدمات الهيئة قطاعات متعددة مثل دعم العملية التعليمية من تدريس وتأمين احتياجات الطلاب – تأهيل المدارس – حماية الأطفال من خلال تأمين مراكز صديقة

للطفولة ونشاطات مناسبة لهم – تأمين مستلزمات تحمي من برد الشتاء (صوبيات – تمز – ألبسة دافئة) – تأهيل منازل للعائدين – تأهيل آبار وطاقة شمسية – خدمة النساء ضمن برامج العنف المبني على النوع الاجتماعي – التدريب المهني – منح مشاريع صغيرة للتمكين ضمن برنامج قطاع سبل العيش – خدمات صحية متكاملة ومنها غسيل الكلى لمن يعاني من قصور كلوي.

كما تعمل الهيئة على بعض المشاريع الانتاجية لتنمية العمل المستدام وخدمة الأقل حظا تتضمن معمل نجارة ومعمل لحف ومطبخ إنتاجي في دمشق.

وأريد بهذه المناسبة هنا أن اسلط الضوء على نموذجين يحملان معاني تهمنا.

مشروع معلولا يهمنا لوجود عناصر مهمة:

- هروب وتهجير أثناء اجتياح المجموعات المسلحة لمعلولا.

- عمل تنموي للسيدات خاصة الأقل حظاً والأكثر حاجة.

- يقوم المشروع في أحضان التراث الأرامي السرياني.

- رمزية شفاء المعلولين.

- هذا المشروع بانتظار تمويل إضافي ينتظر عنق زجاجة العقوبات المفروضة على سوريا بالرغم من كون هذا النوع من المشاريع ذات طابع إنساني وهي بالمبدأ معفية من العقوبات لكم بالواقع فإننا نعاني منها.

مشروع قلعة الحصن يهمنا أيضاً لأكثر من سبب

يتم العمل على هذا المشروع مع اكثر من طرف هنغاري منهم جامعة باسماني Pázmány Péter Catholic University و Hungary Helps .

حاليا المشروع يساعد في الحفاظ على التراث الذي شهد معارك كثيرة كنا كشعب سوري ضحاياها في التاريخ المعاصر

يشمل المشروع تأهيل بعض الأصرحة مثل:

- التي تأذت من القصف أثناء الأعمال الحربية الأخيرة (برج الظاهر بيبرز).

- بعض الأماكن الآيلة إلى السقوط بسبب العوامل الزمنية والجوية (الإسطبل والجدار الاستنادي).

- الكنيسة وترميم والحفاظ على اللوحات الجدارية (وتبين الصور المعروضة عمل مشاغل هيئة مار افرام في تصنيع الأبواب والنوافذ للكنيسة).

- الحفاظ: على التراث الثقافي والنسيج الديني خاصة أن المنطقة شهدت توترات مبنية على الخلفية الدينية والطائفية ولا زالت آثارها موجودة رغم وجود بداية تعافي.

- تأمل الهيئة باستكمال هذه الأعمال من خلال تدخلات اجتماعية تنشط التراث المادي واللامادي لمنطقة الحصن وتساهم في الوئام الاجتماعي.

مستفيدي الخدمات

تقوم الكنيسة بخدمة الجميع وتبين الإحصائيات الأولية والخفيفة التي لدينا بأن الرعايا والأبرشيات المسيحية تقوم بخدمة أبنائها بشكل أساسي من مختلف الطوائف المسيحية. كما يتبين بأن المؤسسات المسيحية والرهبنات الكاثوليكية تقدم خدمات غير موجهة لمستفيدين معينين بنسبة 86% أي تغطي بشكل أساسي مستفيدين من الديانة الإسلامية. إذا ادخلنا بالاحصائيات خدمات هيئة مار افرام (سريان اورثوذكس) وغوبا (بطريرطية الروم الاورثوذكس) فيقدر بان الغالبية العظمى لخدمات الكنائس في سوريا (اكثر من 98%) تكون غير موجهة وتخدم الجميع أي بشكل أساسي المستفيدين من الديانة الإسلامية.

رؤية الهيئة:

مجتمع يسود فيه السلام ينمو ويتطور على أساس الأخلاق والمبادىء الإنسانية.

مبادىء عامة لعمل الكنيسة الاجتماعي: نستطيع أن نطرح بعض المبادىء العامة التي تنطلق منها الكنيسة ومنها هيئة مار افرام في عملها في الخدمة الإنسانية.

الكرامة الإنسانية

هذا المبدأ يشكل النظرة الصحيحة للشخص البشري: لكونه في صورة الله، يمتلك الفرد البشري كرامة الشخص، وهو ليس مجرد شيء، بل هو شخص ما. إنه قادر على معرفة الذات، وعلى امتلاك الذات، وعلى إعطاء نفسه بحرية والدخول في شراكة مع الآخرين،

وهو يُدعى بالفضيلة إلى عهد مع خالقه، ليقدم له استجابة من إيمان ومحبة لا يمكن لأي مخلوق آخر أن يعطيها

التضامن والصالح العام

التضامن هو تصميم ثابت وراسخ على التزام الفرد بالصالح العام، والتضامن الذي ينبع من الإيمان، هو أمر أساسي في النظرة المسيحية إلى التنظيم الاجتماعي والسياسي، فكل شخص مرتبط ومعتمد على البشرية جماعةً وفراداً.

العمل الخيري

العمل الخيري في قلب الكنيسة، فكل مسؤولية وكل التزام مبني على هذه العقيدة مستمد من العمل الخيري الذي يكون بحسب تعاليم يسوع، أساس القانون كله (متى 22: 36-40)، فهو يعطي مضمون حقيقي للعلاقة الشخصية مع الله ومع الجار، وهو مبدأ غير خاص بالعلاقات الصغرى فحسب، وإنما مع الأصدقاء وأفراد العائلة وحتى داخل المجموعات الصغيرة

التوزيعية والعدالة الاجتماعية

أن الهياكل الاجتماعية والاقتصادية يجب أن تعزز العدالة الاجتماعية.

خيار تفضيلي للفقراء والضعفاء

في حين أن الصالح العام يشمل الجميع، فإن الضعفاء والضعفاء والأكثر احتياجًا يستحقون اهتمامًا تفضيليًا. الاختبار الأخلاقي الأساسي لمجتمعنا هو كيفية تعاملنا مع الفئات الأكثر ضعفًا في وسطنا. في مجتمع يشوبه تعميق الفوارق بين الأغنياء والفقراء، يعطينا الكتاب المقدس قصة الدينونة الأخيرة (انظر متى 25:31 - 46) ويذكرنا بأنه سيتم الحكم علينا من خلال ردنا على الأقل بيننا.

وكما قال مار افرام السرياني يا حبيبي أحمل الضعيف فإن القوي لا يحتاج إليك فقد كتب: إن الأقوياء لا حاجة بِهم إلى طبيب بل المرضى. فأنتم المقتدرين احملوا ضعف الذين لا قوة لهم.

فالكنائس تهتم بالضعيف كخيار تفضيلي ولكنها لا ترى في ذلك عطاء باتجاه واحد فالضعيف هو مصدر عطاء فكما قال مار افرام السرياني أن الوجه المغسول بالدموع هو

جمال لا يضمر وكما قال القديس بولس في 1 كو 27-29 أن الله اختار الضعفاء والجهلاء ليخزي الأقوياء والحكماء لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه.

ما عدا ما ذكر سابقا بأن دور الكنيسة هو أن تسهل وتشجع الخدمة واكتشاف الجمال في كل شخص مهما كان ضعفه فيبقى الدور الأساسي للكنيسة هو أن توقف عمل الظلمة فكما قال مار افرام السرياني كن سراجًا في الضياء، وأوقف عمل الظلمة، كلما أضاءت عقيدتك لا يجرؤ أحد على تلبية رغبات الظلام

دور الكنائس المسيحية المشرقية.. ما لها وما عليها:

نتطرق هنا إلى بعض الجوانب التي بحاجة إلى تطوير في الفكر وطريقة العمل.

مع الحفاظ على الإحسان وأعمال الرحمة علينا الانتقال اكثر إلى عمل مهني احترافي مؤسساتي فعلينا ونحن محافظين على روحية العمل أن ننتقل إلى مزيد من الشفافية والمساءلة تجاه المستفيدين والممولين أو المحسنين وتجاه انـفـسـنـا والمكوِّن الكنسي والمجتمعي

بالخلاصة فإن الدياكونيا، أو الخدمة المسؤولة للإنجيل بالأفعال والكلمات التي يؤديها المسيحيون استجابةً لاحتياجات الناس، متجذرة في خدمة وتعاليم المسيح وتشكلت على غرارها.

نستطيع القول أن من أدوار الكنيسة الأساسية هي الخدمة دياكونيا diakonia فالنسبة للمنخرطين في الدياكونيا، سواء كانوا محترفين أو متطوعين، فانهم ينظرون إلى خدمة القريب على أنها نصف حياة الكنيسة، والنصف الآخر هو عبادة الله.

وتجذر المسيحي مرتبط ارتباطا حيويا بقيامه، أي قيام المسيحي، بهذه الخدمة.

وشكراً

روي موصللي

توصيات من روي موصللي - المدير التنفيذي لهيئة مار افرام السرياني البطريركية للتنمية

التوصية أدناه هي في المضمون وليست في المجالات الإجرائية وطريقة المتابعات.

يتبين لي انه يجب ان تكون ورقة الدكتور حسن حماده هي العامود الفقري التي يجب أن تبنى عليها التوصيات خاصة عندما يطرح جملة جوهرية وهي لا بد من نهضة مسيحية حقيقية.

لقد طرح د. الياس حلبي بضرورة إعادة صياغة الدور المسيحي على أساس الشراكة.

فنعتقد أن نوع الشراكة يجب أن يتغير بعد الحرب الأهلية في لبنان والطائف وخاصة بعد اضمحلال التواجد المسيحي في المشرق بشكل حاد على ضوء ما بينه د. شوقي عطيه في ورقته عن ديمواغرافيا الحضور المسيحي.

فعلينا إيجاد مجالات جديدة للدور المسيحي وأدوار تمييزية تساهم في بلورة ورفع الحضور المسيحي في المشرق.

لقد طرح د. سعد سلوم بعض هذه الأفكار حول أدوار مسيحية ومنها

- أين الدور المسيحي من الحوار الإسلامي \ الإسلامي وأهمية تيسير وأخذ المبادرة بهذه المجالات من قبل المسيحيين

- طرح نمط جديد مختلف عن ثنائية القومية العربية والإسلام السياسي

- تسويق لخط جديد من الاقتصاد البديل

فهذه طروحات مهمة يجب العمل عليها

فالسؤال الجوهري يبقى حول الصرخة التي اطلقها د. حسن حماده لا بد من نهضة مسيحية حقيقية والتي نوه إليها د. الياس حلبي حين ذكر الملح الفاسد.

فنعتقد أن الدياكونية (خدمة القريب) التي عبرنا عنها في ورقتنا والتي ذكرها أيضاً د. الياس حلبي و د.نقولا ابو مراد عند ذكره خدمة الإنسان والخروج من الطائفية هي من المحاور الأساسية وتجاوب بشكل كبير ولو جزئي على الحاجة إلى نهضة مسيحية حقيقية.

من هنا ضرورة البحث اكثر في هذا المجال وإلقاء الضوء عليه وتنشيطه ليأخذ معانيه وأدواره الكاملة في مستقبل الحضور المسيحي في المشرق.

علينا أن نخترع أملاً ورجاءً لنبقى

م. حبيب أفرام

«الحرية لا تتعلق بفعل ما نرغب ولكن بالحصول على الحق بفعل ما يجب فعله» البابا يوحنا بولس الثاني.

أن يسكنك هذا الهم وتلتهم أعصابك هذه القضية وتحياها، هل مات مسيحيو الشرق؟ هل إنتهوا؟ هل ينتظرون؟ هل يتلذذون بحكايات الأمس والتاريخ؟ هل يستمرون في زواريبهم وخلافاتهم؟ هل صاروا «دبب الباندا» على وشك الإنقراض؟ هل يدغدغهم شعورٌ بأنهم معدّون للذبح أم للتهجير أو للتصدير إلى غرب ينتظر؟ ما أصعب أن تكون أنت الضحية والراوي؟

يسألني البعض بعد كل هذه المؤتمرات والندوات والبيانات والصرخات إلى أين؟

ماذا إستفدنا؟ وهم على حق. لسنا هنا في « الفن للفن»، و«المؤتمرات للمؤتمرات» بل للتوعية والحوار.

وحين تكون الدعوة من الكنيسة السريانية الضاربة في جذور هذا الشرق، ومن حرص رَعوي أبوي على إستكشاف طريق وبدعم من هنغاريا التي تشكّل نموذجاً فريداً في دعمها المباشر لمسيحيي الشرق واجب أن اقدم عصارة «خمرتي وخبرتي».

أولاً - قبل أن نلوم ونتهم أحداً ونتبرأ من مصيرنا، نحن، هذه الشعوب الشرقية المسيحية، بكل كنائسنا وطوائفنا ولغاتنا وتراثنا وتنوعنا، نحن مسؤولون عن يومنا وأمسنا وغدنا.

نحن في عقلنا وإرادتنا في وعينا ماذا نريد؟ هل نؤمن حقاً وبعمق وبصراحة: أننا مؤتمنون على رسالة ودور وأننا شهود على حقيقة في هذا الشرق؟

أم أننا إستسهلنا الحياة في الغرب، مع سيارات الفولفو في ستوكهولم، والبويك في ديترويت، والمرسيدس في ألمانيا، نفتخر بأننا بنينا 45 كنيسة في السويد، وأن إنتشارنا وصل إلى الأرجنتين؟

هل في بال كل منا جواز سفر جديد وهوية جديدة، نستميت للوصول إليها، شرعياً أم تهريباً؟

هل نحن مؤمنون بقضية ومستعدون لبذل كل غالٍ ورخيص من أجلها؟ وهل تستحق أي قضية أن نبذل دماً لها؟

ثانياً - إذا كان بعد في قلوبنا نبض إيمان فماذا نفعل؟ مع الإعتراف بأن لكل بلد خصوصيته وتركيبته» وبأن أهله أدرى بشعابه، لكن هل يمكن أن نكون نحن أتباعاً ؟

هل يمكن أن نصبح «كردستانيين» أو «حشداً شعبيا» أو «بعثيين» أو «قوميين عرب» أو حتى «أردوغانيين» حسب مصالحنا ومراكزنا.

من نحن وماذا نريد، هذا هو السؤال؟

مسيحيون مشرقيون نؤمن بالإنسان، بحريته بكرامته بمساواته، لا نطلب لنا إلاّ ما نطلبه لكل أبناء الشرق، أوطاناً تحترم التنوع والتعدد قومياً وإثنياً ولغوياً وقيمة كل مواطن.

ثالثاً - ليس بإمكاننا نحن أن نفرض حلولاً، نحن أصغر من ذلك في العدد وفي النفوذ وفي الجغرافيا وفي التحالفات، ولكننا قادرون على الشهادة، على الدعوة لشرق جديد، لعقل جديد .

إرادة العيش الحرّ الكريم، لكل مكونات الشرق، فلا مواطن درجة أولى ولا ذمّية، لا قهر ولا تعسّف ولا دكتاتورية، ولا قمع بل أنظمة ديموقراطية حرة، ولا إرهاب ولا تكفير ولا إقتلاع ولا تهجير ولا جهاد.

إنها دعوة لتغيير جوهري في العقل المشرقي، وهذا يحتاج إلى جهود فكرية وإعلامية وسياسية وتربوية.

رابعاً - ليس مقبولاً بعد، أن يبقى الشرق هكذا، عائماً على خرافاته، هل من المعقول أن تمرُّ مراسلة لرئيس حكومة عراقية يصف فيها أبناء الرافدين وميزوبوتاميا من الآشوريين والسريان و الكلدان « بالجالية المسيحية». من أين جاء بعلمه؟

هل من المعقول أن رئيس وزراء عراقي يقول أن «ملحمة جلجامش» كُتبت في «صدر الإسلام» ؟ من يمحو التاريخ ؟

هل من المعقول أن هناك من يعتبر أن «سيفو» مجرد نزوح وليست مجازر أو إبادة ؟

هل من المعقول أن يستمر تغييب المطرانين يوحنا إبراهيم وبولس اليازجي في لغز لا حلّ له كأنهما المسيحية المشرقية المعلقة على صليب، لا يعودان «بطلين مكرميّن» ولا «يستشهدان قديسين».

خامساً - وأتانا في آخر الأزمنة تيار التكفير والإلغاء والذبح، بتسمياته كلها داعش والقاعدة واخواتهم، يقتلعون كل مكوّن، يرفضون كل مختلف «ولو حتى من مذهبهم».

وكنا نحن من جديد الضحايا، في نينوى والخابورء لم يعد يكفي أن يُقال داعش لا تمثلنا، إنه صراع حول هوية الإسلام ورموزه ووجهه.

إنه تحذّ حضاري مذهل سيكتب غد المنطقة، إما إلى مزيد من التشدد والغلو، أو إلى إنفتاح، ونرى تسابقاً مذهلاً بين الخطين.

سادساً - صار من المعيب أن نتكلم عن دور الغرب والعالم الذي يسمي نفسه «حراً» فنحن لسنا على أجندته ولا من أولوياته، من هم هؤلاء المسيحيون المشرقيون في لعبة الأمم، هل يسيطرون على نفط؟ على أراض؟ كم سهامهم؟ وأين هم من مصالح إسرائيل؟

هكذا تتراوح نظرة الغرب إلينا، إما فليغادروا و نرتاح من همهم، أو نسخّرهم في سياساتنا،

هل هناك إيمان عميق بقيم حقوق كل إنسان وكل جماعة وحقها في الحرية والكرامة؟ أم أن برميل نفط أهم من حضارة شعب؟

ومع ذلك نحن لن نتردد في الصراخ أمام عقل الغرب، نحن هنا حاجة للتعدد أذا كان العيش المشترك مستحيلاً في الشرق، ونحن معاً منذ البدء، فكيف يكون ممكناً في الغرب.

سابعاً - ونحن هنا في قلب المتن في قلب جبل لبنان، يطيب لي أن نحلم بأن بعد رغم حلاوة الروح، يمكن أن نقدم لبنان نموذجاً صحيح أنه ضُرب في صميمه وإنهار برسالته بوهجه بإقتصاده، بنظامه بفساده، لكن يبقى لا بديل عنه، ونحن نؤمن بالرجاء بالأمل أنه الوطن الوحيد الذي يتشارك فيه المسيحيون والمسلمون في صناعة القرار الوطني, رغم

علاّت الشراكة، ورغم إعتبار المواطنين درجات، ورغم محو الطوائف الصغرى، فإن الحريات - حتى الفوضى- تبقى ضمانة لواحة مختلفة .

أنا أدعو إلى إختراع روح جديدة، إلى إعادة خلق ما نستحق أن نناضل من أجله، إلى عقل جديد لا يتخلى عما صنع مجد وطن ولا أرواح الشهداء وتضحياتهم، لكنه ينظف من عفن النظام كل ما جعله عقيماً أنها دعوة إالى النخب التي جربت ووصلت إلى حد اليأس، وإلى الجيل الطالع أن يثبت - رغم كل مشاكله - حتى لا نفقد وطناً.

أخيراً أحلم بشرق جديد، أناضل من أجله، وحلٌ عادل للقضية الفلسطينية، دولتان لا «ابارتايد» ولا شعب الله مختار، كلنا شعوب الله وأبناؤه، وعودة النازحين ولا توطين.

- جرأة إعتراف بكل المجازر والإساءات من سيفو إلى «سيميل» إلى حلبجة إلى كل غزو وكل إحتلال حتى ترتاح عظام في التراب.

- أنظمة ديمقراطية وجيوش أوطان لا حكّام، هذه قناعة عميقة وليس بدبابات أي إحتلال.

- مواطنة كاملة - كأن يكون مثلاً أوباما رئيساً في الولايات المتحدة، وريشي سوناك من أصول هندية رئيس وزراء في بريطانيا العظمى، متى يُنتخب إبن الشرق على كفاءاته وعلومه وفكره دون هيمنة طرف أو دين أو مذهب أو قومية!

- تقدم إقتصادي وإزدهار لو صُرف ربع ما أنفق على السلاح والإقتتال والغدر في هذه المنطقة على شعوبها وطبابتهم وعلومهم وعمرانهم لكانوا في نعيم الجنة الآن.

هكذا نقول لكل مشرقيّ، أنت هنا ملك، انت على أرضك التاريخية، أنت الأصل.

أنت مسؤول عن غد نصنعه كلنا.

أقلَ من هذه الرؤية، سنبقى ننزف ونُهجّر ونتذابح، فهل نخترع الرجاء والأمل، أم تقوى علينا جحافل الموت.

الشباب والحضور المسيحي

د. سفير سليم

عملت في مجال الإدارة والتسويق لشركات الاتصالات في سوريا لأكثر من 8 سنوات منذ عام 2006 وشغلت منصب مدير الموارد البشرية للهيئة اليسوعيّة لخدمة اللاجئين لمدّة عامين 2016-2018.

كما قمت بتأسيس مشروع Study Zone في سوريا منذ عام 2013 وهو مساحة دراسيّة للشباب بالإضافة لمركز التدريب والتكوين الذي يهدف إلى تهيئة الشباب لسوق العمل في كل من حلب وحمص ودمشق منذ عام 2016 ، وممثل لمجلس كنائس الشرق الأوسط MECC في حلب منذ عام 2018.

وليس آخراً مؤسس Hope Center Christian مركز الرجاء المسيحيّ في سوريا منذ عام 2018 www.hcsyria.org

سأستغل الفرصة كوني الأصغر عمراً وأعطيكم نموذج شاب مسيحيّ لديه اليوم عائلة مسيحيّة من زوجة رائعة و3 أطفال يعشقون بلدهم سوريا .

بدأت مسيرتي شيف في كشاف السريان وهنا بدأ مفهوم المسؤولية في حياتي حيث لم أتعلمها لا من أسرتي أو حتى من جامعتي وإنما من كنيستي وبالتحديد مطراني وقدوتي حينها مارغريغوريوس يوحنا إبراهيم.

ومنذ عام 2012 ورحلة العمل مع الشباب كانت بجوار شريك لي يدعى فريدي يوسف حيث بدأنا بلقاء الشباب الأول بحلب ببركة سيدنا المطران يوحنا إبراهيم حينها مع مشروع من أجل سوريا نصلي ثم تتالت لقاءات القادة والمبادرات الخاصّة بالشباب منذ ذلك الحين حتى تاريخ 2018 انطلقت بمشروع شبابيّ بهدف واحد وصارخ وهو الحفاظ على الوجود المسيحيّ في سوريا يدعى Hope Center Christian واليوم أصبح هذا المشروع مؤسسة مؤلفة من 150 شخص يؤمنون بنفس الرسالة وهي دعم العائلة المسيحيّة بهدف البقاء في سوريا عبر أكثر من 8 برامج في المدن السورية.

لا استطيع أن أتكلم كباحث ومختص مثلكم ولكن سأنقل لكم وجهة نظر شخص عمل في خدمة الشباب المسيحيّ منذ عام 2012 ويأبه بشكل يومي باحتياجات هؤلاء الشباب من إيجاد وظيفة لهم إلى مساعدة أهاليهم الطبيّة ويسعى لدعمهم مادياً كي يستمروا بالدراسة وهذه الاحتياجات تودِ بي لليأس كثيراً فالشباب مهمل وجداً واذا كان شبابنا مهمل فبالتأكيد مستقبلنا كذلك الأمر وأعتقد هذا أخطر ما نعانيه من وجهة نظري , فهذا الإهمال يقود اليوم لهجرة شباب لم يسبق لها مثيل.

حيث تمّ أخذ عيّنة مسح لاحتياجات العائلات المسيحيّة في حلب خلال الأسابيع الماضية ومن المؤسف أن أخبركم أن عدد الشباب المهاجر اليوم قد قارب عدد المهاجرين من سوريا في موجة الهجرة الكبرى التي حدثت في منتصف الحرب عام 2015 وهذا إنذار خطر للغاية.

مستقبل الحضور المسيحي عنوان لقائنا... لا أجد فيه شباب! من سيتابع مسيرتكم ؟ مَن مِن هؤلاء الشباب مهتم بهذا المستقبل أو تعني له مفاهيم الانتماء التي تمّ طرحها, من هنا أنا أَدعوكم وبجدّية لبناء قاعدة شبابيّة حقيقيّة الحصول على تعريف حقيقي لمن نحن؟ وكيف سنتعلم من تاريخنا المسيحيّ على الرغم من أن هذا يعدّ من أصعب الأمور لجذب الشباب إليه فالشباب اليوم هو الضياع وغياب الرؤيا وأكلمكم كشاب قبل أن أكون ممثل لهم فأنا من داخلي أشعر كثيراً من الأحيان بضياع كبير وهذا له أسباب مختلفة لا تنتهي.

الحضور المسيحي تكلّمتم عن الحلول بالعودة إلى التاريخ وخلق نخبة تؤثر كما كان لها حضور في الماضي هل هنالك خطة اليوم لتشكيل نخبة قادة شباب مسيحيّ تمثلنا في الحوار المطلوب مع بعضنا ومع الآخر؟

أين هم على طاولتنا اليوم؟ لقد ذكرت أهمية تأثري بالمطران يوحنا...أين دور التأثير اليوم وماهو النموذج القياديّ الذي نقدمه للشباب ؟

لم آتي لأنقد ولكن لأسلط الضوء على خطر حقيقيّ حول فكرة المستقبل والحضور المسيحي هو عنوان لقائنا ولأنني دائماّ متفائل وأتكلم بالحلول وليس فقط عن النقاط السلبية فأنعم عليّ الرب بأن أكون ابن الكنيسة السريانيّة علماً أن طائفة والدي روم أرثوذكس و طائفة والدتي كاثوليك وأقضي معظم أيامي في قرية عزير المارونية (ضيعة جدتي) ولكن في الحقيقة كانت نعمتي الكبرى بأن التقيت قداسة سيدنا البطريرك مار أغناطيوس أفرام الذي أتاح لي الفرصة لأكوّن أوّل تجمّع كشفي سرياني كبير مع الشباب وهو اليوم يضم 14 فوج أكثر من 1400 شاب و شابة وهذا بالفعل أول عمل جعلني أشعر بأن الشباب يعيش انتمائه المسيحيّ السريانيّ والسوريّ بامتياز (الكثير منهم غير سريان كطائفة أصليّة ولكن لا أحد يشعر سوى بمسكونيّة عمل موحّدة وانتماء عظيم لكنيسته التي اعتاد أن يخدم فيها).

الفرصة الثانية كانت بأن دعينا برعايته الكريمة وبدعم وبركة بطاركة الشرق لأول مؤتمر قادة شباب مسيحيّ وساختم باعطائكم تفاصيل سريعة عن خبرة المؤتمر أيضاً.

بدأت فكرته بغياب الشباب عن السينودس الكنسي ثمّ انطلقت الفكرة ليتمّ انتخاب نخبة مميزة من قادة 8 مدن سوريّة كل مدينة لها فريق عمل مع منسّق خاص يلتقوا في ثلاث اجتماعات تحضيرية للمؤتمر ويتمّ البحث لما يُقدّم للشباب المسيحيّ في المدينة ثم ما هي الحاجات والحلول المقترحة شرط أن تكون عمليّة وقابلة للتحقيق ويتم تبادل هذه الأفكار والحلول مع خبرات المدن الأخرى في المؤتمر ومع خبراء سوريين وممثلي المؤسسات الأجنبية الكنسية وكل ذلك بهدف زيادة خبرة الشباب بالبحث عن أفضل الحلول المقترحة ووضعها أمام الكنيسة ليصل صوت الشباب بالكامل لأصحاب القرار الكنسي سعياً مشتركاً لتطبيق هذه الحلول وتحسين الوضع السيء للشباب وإيجاد سبل حقيقية لجعلهم يتمسكون ببلادهم وتخفيف وجع الهجرة الشبابية ونزيفها المستمر.

في الختام بعد تجربة المؤتمر الشبابيّ بامتياز علينا أن لا ننتظر كثيراً لمنحهم هذا الدور والمساحة فأصعب كلمة يرددها الشباب اليوم نحن ليس لنا قيمة هنا قيمتنا دائماً في الخارج فنحن في المرحلة الأخيرة لبقاء الشباب هنا لذا علينا ألا نقف ساكنين.

المستوى الاقتصادي

التحدي:

عدم توفّر فرص العمل وتدني المستوى المعيشي خاصةً في الأرياف.

تراجع مصادر المياه بشدّة بسبب غياب الكهرباء.

الحلول:

- خلق حاضنة أعمال مسيحية ريادية مع وجود استشاريين من داخل سورية وخارجها لتأمين دعم استشاري وتقني لرواد الأعمال الشباب.

- دعم وإقامة المشاريع الصغيرة عن طريق القروض أو المنح، وتأمين أماكن لعرض منتجات هذه المشاريع وبيعها (سوق للمنتجات).

- تأسيس مشاريع اقتصادية (زراعية - تجارية) مناسبة لساكني الأرياف لتمكينهم من البقاء في الريف.

- تفعيل دور الكنيسة ككفيل للشباب المسيحي الراغب بالحصول على قروض مصرفية.

- استثمار الأراضي الزراعية التابعة للأوقاف الكنسية في الأرياف من قبل الشباب وفق شروط مساعدة على العمل ضمن الظروف و الإمكانيات الحالية.

- حفر آبار جديدة وصيانة الآبار القديمة القائمة.

- الاستثمار في مجال تنقية وتد وير المياه.

- المستوى المجتمعي والوطني

التحدي:

- تفكك العلاقات الأسرية (بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة) مما يؤثر سلباً على الشبيبة المسيحية وثقتهم بمفهوم العائلة المسيحية.

- عزوف الشباب المسيحيّ عن الزواج وتأسيس عائلة.

- عدم انخراط الشباب بالشأن المجتمعيّ والوطنيّ وعدم مبالاتهم تجاه قضايا مدنهم ومستقبل بلادهم.

- تدني المستوى المعيشي للشباب الملتزمين بالخدمة العسكريّة وعائلاتهم ومواجهتهم للتحدّيات على المستوى النفسي و الاجتماعي.

الحلول:

- إحداث مركز كنسيّ للمشورة العائلية يهتم بتقديم الدعم والاستشارات اللازمة للعائلات المسيحية. (علمانيّ وكهنوتيّ).

- إنشاء مركز متخصص لمرافقة الأطفال والشباب ضحايا التفكك العائلي (ما بعد الطلاق).

- إنشاء مجمّعات سكنية بالتعاون مع الكنسية و بمساهمات محدودة من المغتربين و المنظمات الخيريّة.

- البحث عن طرق أفضل لاستثمار العقا ارت التابعة للكنائس لدعم العائلات الناشئة لمدة لا تقل عن 5 سنوات (الفترة الكافية لاستقرار العائلة الناشئة).

- تشكيل صندوق دعم خاص لمساعدة العائلة المسيحية الناشئة خلال السنة الأولى للزواج وكذلك خلال فترة إنجاب و حضانة المولود الأول.

- التواصل مع الجهات الحكومية لإعطاء الكنائس أ ارضي جديدة لإقامة تجمعات سكنية عليها.

- تفعيل دور الشخصيات المسيحية العاملة في القطاع العام و الممثلة للفئة المسيحية في المجالس المحلية والاستفادة من إمكانياتهم في تمثيل و دعم الشباب.

- إدراج عائلات المنخرطين في الخدمة الإلزاميّة والاحتياطيّة ضمن برامج الدعم النفسي والاجتماعي والمادّي وخاصةً بعد انتهاء الخدمة.

- تنظيم برامج مرافقة اجتماعية لعائلات الشباب الملتزمين بالخدمة الإلزاميّة.

- وضع استراتيجية طويلة الأمد لليافعين المسيحيين لتكوينهم مسيحياً أبناء صالحين للمجتمع والوطن.

- تنشيط الرحلات السياحية الدينية والداخلية وأثناء مواسم الحصاد التراثية في القرى والمدن السورية.

- تنظيم حوارات وورشات عمل ومؤتم ارت توفر مساحة آمنة لتفعيل دور الشباب في المجتمع و تعزيز مفاهيم المواطنة و المسؤولية تجاه المجتمع المحلي و الوطن.

المستوى المهني

التحدي:

- عدم قدرة الشباب على تحديد أهدافهم المستقبليّة على الصعيد المهني.

الحلول:

- إنشاء مكتب استشاري للشباب لتقديم عدد من الخدمات الاستشارية على الصعيد النفسي والاجتماعي والمهني و غيره.

- إعداد الشباب بما يتناسب مع سوق العمل المحلية بمختلف الاختصاصات بالتعاون مع مؤسسات التدريب الشبابية المتاحة.

- مكتب/ منصة توظيف مسكونيّ (برعاية كنسيّة) يربط بين أصحاب العمل وطالبي الفرص التوظيفية من الشباب من كافة الطوائف المسيحية.

- العمل على التشبيك بين الجهات التدريبية والشركات التي تمتلك فرص عمل وتأمين فرص تدريب عملية مما يؤمن التوظيف للمتميزين.

- تبادل الخب ارت بين الشباب المسيحي بمختلف القطاعات وإمكانية إعدادهم كمدربين لإقامة تدريبات متنوعة من خلال لقاءات ومؤتم ارت علمية وعملية.

- مساعدة الشباب في الريف للمشاركة بكافة الفرص التدريبية التي تقام بغالبيتها داخل المدن.

- إيجاد فرص للتدريب داخل المؤسسات الكبيرة (مصارف، شركات اتصالات،..) يستطيع من خلالها الشبيبة تكوين خبرة عملية أثناء دراستهم الجامعية.

المستوى التعليمي

التحدي:

- عدم تمكّن فئة كبيرة من الشباب من الوصول بسهولة لجامعاتهم بسبب عدم توفر المواصلات بالإضافة للوضع الاقتصادي السيء للطلاب.

- انخفاض جودة التعليم.

الحلول:

1 - المساعدة بتأمين مواصلات الطلاب إلى جامعاتهم.

2 - منح مالية (شهرية أو فصلية) لمن يحتاج للدراسة في محافظة غير التي يقيم فيها.

3 - تخصيص شقق سكنية لطلاب الجامعات في المدن.

4 - تقديم قروض مخصّصة للطلاب لمساعدتهم على شراء احتياجاتهم الدراسيّة، بالإضافة لمركز متخصص بخدمات الطباعة بأسعار التكلفة.

5 - الاستعانة بالشبيبة الجامعية لتدريس (الم ارحل الانتقالية) ضمن نطاق الكنيسة.

6 - تقديم دعم مادي للشبيبة الجامعيين عن طريق إشراكهم في العمل المجتمعي ضمن نظام ساعات عمل لقاء عائد مادي (مثل خدمة كبار السن).

7 - رفع مستوى الكادر التدريسيّ من خلال دورات تخصّصيّة لرفع المستوى التعليمي للطلاب.

المستوى الكنسي

التحدي:

- ضعف التزام الشباب بالكنيسة

الحلول:

مقترح تخفيض أعمار مسؤولي لجان العمل في الكنائس و العمل على حضور أكبر للشباب، وبالتالي إعطائهم مسؤوليات أكبر بهم.

- تنفيذ دورات تدريب وتأهيل قادة مسيحيين.

ملخص مجريات مؤتمر
مستقبل الحضور المسيحي في المشرق

تلخيص: انغريد شدياق

عقد المركز المجري لدراسات المسيحية المشرقية ومركز المشرق للأبحاث والدراسات في 4 و5 تشرين الثاني عام 2022، مؤتمراً بعنوان: مستقبل الحضور المسيحي في المشرق، برعاية قداسة البطريرك أفرام الثاني، وذلك في بطريركية أنطاكية وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس في العطشانة- بكفيا.

منسق المؤتمر: الأستاذ غسان الشامي، مدير مركز المشرق للأبحاث والدراسات.

استمرت أعمال المؤتمر خلال يومين وقُسمت على خمس ندوات، تتضمن كل ندوة جلسة نقاش، بهدف تلمّس حلول وتقديم طروحات لضمان مستقبل المسيحيين في المشرق.

افتتح المؤتمر صباح الجمعة 4 نوفمبر، بحضور البطريرك أفرام الثاني، وستة عشر أكاديمياً وباحثاً، كما حضر الوزير الهنغاري تريستان أزبي، سكرتير الدولة لشؤون مساعدة المسيحيين المضطهدين، والسفير الهنغاري في لبنان فرنس تشيلاغ، السفير السوري في لبنان علي عبد الكريم علي، ومطارنة وأساقفة ورجال دين وأكاديميين وفعاليات فكرية وثقافية.

بدأ حفل الافتتاح بكلمة لمدير مركز المشرق للأبحاث والدراسات، منسق المؤتمر غسان الشامي تناولت الوضع المسيحي في البلدان المشرقية، ومما جاء في كلمته: الواقع يقول إن النزف في العراق وسوريا ولبنان مرعب، أما في فلسطين فقد بات المسيحيون ديكوراً وحجارة للسياح، وفي الأردن لا يكادون يلحظون..هذا هو الواقع ومن يرى غير ذلك فقد أصيب بحَوَلٍ مديد.

لست هنا في مكان من يرشق اللون الأسود على لوحة الشمس، لكن عندما قررنا في المركز المجري للمسيحية ومركز المشرق للأبحاث والدراسات إقامة هذا المؤتمر،

كان هدفنا الكشف عن الحقيقة وعدم الخجل منها ورسم طريق عبر كوكبة من الباحثين والأكاديميين والمهتمين ووضعه أمام أصحاب الشأن..لعلَّ وعسى.

ثم ألقى الوزير الهنغاري تريستان أزبي كلمة جاء فيها: هناك كلمة تحظى بالمعنى نفسه في العالم كله وهي كلمة تضامن.

بالنسبة لنا نحن المسيحيين عبر العالم لهذه الكلمة معنى خاص في يومنا في ظل التحديات والتهديدات والهجمات التي واجهها أخوات وإخوة لنا في نواح عديدة من العالم..على مر تاريخنا نحن الهنغاريين حاربنا مرات عديدة دفاعا عن هويتنا، عن إيماننا المسيحي، وعن الروح الهنغارية، وحمينا حدودنا الجنوبية من العثمانيين ولم نحم بذلك هنغاريا وحسب بل أوروبا المسيحية بكاملها وكنا ضحية النظام الشيوعي المعادي للكنيسة في القرن العشرين.

وأضاف: في هذه المنطقة تواجه المجتمعات المسيحية مشاكل مختلفة عن تلك التي نواجهها في قلب أوروبا.

وفي وقت يقدم لبنان نموذجا متقدما للتعايش السلمي وفي الاحترام المتبادل، أصبحت الهجرة بفعل الأزمة الإقتصادية قضية مستفحلة لا سيما في صفوف الشباب الذين يخافون على مصيرهم المجهول في المنطقة كلها مشيراً إلى خطورة التغير الديموغرافي الناجم عن الهجرة، ومنتقداً تلهي الغرب عن مثل هذه القضايا الإنسانية بتسليط الضوء على قضايا أقل أهمية كمسألة التغير المناخي.

وقال: لن نسمح لأوروبا بالتغاضي عن هذه الكارثة التي تحصل أمام أعيننا أو طمسها.

إن منطقة الشرق الأوسط هي مصدر الحضارة المسيحية ونحن مدركون أن الحضور المسيحي ثقافيا وحضاريا بالغ الأهمية، ليس فقط من أجل إخوتنا وأخواتنا الساكنين هنا بل من أجل مسيحيتنا في العالم أجمع.

أما راعي المؤتمر البطريرك أفرام الثاني فجاء في كلمته: نلتقي اليوم في ظل تحولات جذرية ووجودية تمر بها منطقتنا والكثير من دول العالم، حيث سقطت الكثير من المفاهيم وتضعضعت نظم كثيرة تاركة الإنسان في حال من الارتباك وعدم اليقين بما ينتظر بشريتنا من مستقبل قاتم مهدد بالانفجار في أية لحظة.

لقد أظهر وباء كورونا الاختلال الكبير وعدم التكافؤ بين دول وشعوب العالم.

وفي ظل التهافت الكبير على الحصول على اللقاحات وغيرها من أساليب الوقاية، كادت بعض الدول -حتى الصديقة منها- أن تعلن حرباً على بعضها البعض، فانكشفت هشاشة نظمنا الإنسانية والسياسية وحتى الدينية.

واليوم، يعيش العالم مأساة الحرب في أوروبا، التي هي في ظاهرها تقاتل روسي-أوكراني ولكنها في جوهرها تنافس على قيادة العالم والاستيلاء على ثرواته.

وأما الضحية فهو مرة أخرى الإنسان المسالم الذي يسعى إلى الحصول على لقمة العيش.

وأضاف: أما في منطقتنا هذه التي ابتليت بالحروب والخصومات منذ أجيال، فالإنسان يفقد كرامته كل يوم وهو يسعى جاهدا لتدبير احتياجاته الضرورية للحياة.

والمسيحي -ربما أكثر من غيره- يشعر بالخوف مما ينتظره، وذلك بسبب التجربة التي مر بها خلال السنين القليلة الماضية ونعني الهجمات الهمجية للجماعات الإرهابية التكفيرية التي لم توفر البشر ولا الحجر في محاولة منها لطمس كل ما يميز هذه البلاد من إرث حضاري مادي أو روحي أو معنوي.

فسارع المسيحيون قبل غيرهم للهجرة، وهكذا يكاد مشرقنا هذا يخلو من مسيحييه الذين أسهموا في بناء حضارته، وتركوا فيه بصمات لا تمحى على مر العصور.

وتابع: بدون شك، هذا الغياب المسيحي لا يضر فقط بالمسيحية المشرقية التي تجسد اليوم القيم المسيحية الحقيقية بعد ما أصاب الغرب من ضعف، وما انتشر فيه من تيارات مادية وإلحادية، بل هو ضربة للمجتمع المشرقي بأكمله: فالمسلم أيضا بحاجة إلى استمرار الوجود المسيحي في منطقتنا لئلا تصبح هذه البلاد ذات لون واحد يؤدي إلى انغلاق على الذات ومزيد من التعصب الديني..

إن الوجود المسيحي في المشرق ضرورة ملحة لأبناء المنطقة بمختلف انتماءاتهم، وذلك لما للمسيحيين من حضور تاريخي تنويري في المنطقة تجلى بأفضل صوره من خلال دورهم في تأسيس دواوين الدولة الأموية في دمشق، ونشاطهم العلمي والثقافي في ظلال الدولة العباسية في بغداد، وخاصة حركة التأليف والترجمة التي قادها علماء سريان.

وكذلك دورهم الفعال في إعادة إحياء اللغة العربية وآدابها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين.

ولا ننسى دورهم في الحياة السياسية في المنطقة من خلال إسهامهم في تأسيس الأحزاب والحركات السياسية مثل حزب البعث العربي الاشتراكي والحزب السوري القومي الاجتماعي.

بعد الافتتاح تابع المؤتمر أعماله من خلال خمس جلسات قدم فيها أوراقهم السادة:

- د. سعد سلوم - خبير في شؤون التنوع الديني، أستاذ جامعي، العراق: مسيحيو العراق بعد عشرين عاما من الغزو الأميركي.

- د. كمال ديب- باحث ومؤرخ وأستاذ جامعي، كندي من أصل لبناني: المسيحيون في مستقبل المشرق.

- د. جمال واكيم- أستاذ جامعي، لبنان: استهداف المسيحية الرسولية من قبل المسيحية واليهودية الصهيونية والسلفية الإسلامية.

- د. بالاش ماجور، عالم آثار وأستاذ جامعي - هنغاريا: دور علم الآثار وحمايتها في الحفاظ على الحضور المسيحي في المشرق.

- د. ناصيف قزي- أستاذ جامعي، كاتب وباحث، لبنان: المسيحيون بين الهجرة والتهجير... التجارب اللبنانيّة/ دروس واستنتاجات...

- د. خريستو المر، لاهوتي وكاتب وأستاذ جامعي- لبناني مقيم في كندا: الكنائس المسيحية المشرقية بين واقعها وبشارة يسوع.

- د. شوقي عطية-أستاذ جامعي، لبنان: الديناميات الديموغرافية لمسيحيي المشرق.

- د. الياس الحلبي- أستاذ جامعي،لبنان: المسكونية المشرقية: خطر أو فرصة؟

- د. راكان رزوق- رئيس جامعة أنطاكيا السورية،سورية: الاستثمار في تعليم الشباب والحدّ من الهجرة

- أ. سركيس أبو زيد- كاتب وباحث وإعلامي، لبنان: المسيحية المشرقية: التحديات والمعنى والدور.

- د. حسن حمادة- كاتب وباحث،لبنان: الإرث المسيحي واللاهوت القومي.

- أ. روي موصلي - مدير مؤسسة مار أفرام السرياني للإعمال الإنسانية، سورية: دور المؤسسات المسيحية في العمل الإغاثي والإنساني.

- أ. حبيب أفرام -سياسي وباحث، لبنان: علينا اختراع الرجاء والأمل لنبقى.

- الأب الياس زحلاوي- كاتب وكاهن رعية سيدة دمشق، سورية: المشرق واليقين الآتي.

- د. نقولا أبو مراد - لاهوتي وكاتب وأستاذ جامعي، لبنان: الكنائس المسكونية والتحديات.

- د. سفير سليم- أستاذ جامعي، سورية: دور الشباب في مستقبل الكنيسة.

وجرت على هامش الندوات حوارات ونقاشات بين المنتدين وبين الحضور ما ساهم في إغناء البحث في المؤتمر، حيث سيتم نشر الدراسات في موقع المركز المجري للأبحاث والدراسات H-CLC.org تباعاً، على أن تصدر قريباً في كتاب.

الندوات

اليوم الأول

- **الندوة الأولى:** من الساعة 11:30 إلى 1 ظهرًا.

- **مدير الندوة:** الأستاذ سركيس أبو زيد

- **الجلسة الأولى:**

- الأب الياس زحلاوي _ عنوان الدراسة: المشرق و اليقين الآتي.

ملخص: طرح سؤال: هل من رجاء بعد اليوم، هل من قيامة حقيقية في هذا الزمن؟. كان هناك محاولات جادة ومبادرات من المسيحيين لتوحيد الأعياد،بعضها نجح وبعضها فشل. (مثال في الأردن عام 1969 حيث توحد عيدا الميلاد والفصح) وكان هناك عمل لمدة طويلة قبل الحرب في سورية، ومحاولات شخصية منذ 1971 من خلال مراسلة الفاتيكان.

- ذكر الأب زحلاوي عدداً من رسائل ظهورات السيدة العذراء والسيد المسيح على السيدة ميرنا الأخرس -الصوفانية.

- من الرسائل أقول لكم صلوا صلوا وصلوا. ما أجمل أبنائي راكعين، طالبين.

- لا تخافوا أنا معكم.

- لا تتفرقوا مثل تفريق الكبار.

- أنتم ستعلمون الأجيال كلمة الوحدة والمحبة والإيمان.

وأنهى كلامه طالباً الحفاظ على المشرقية والحرية والإيمان.

• **الجلسة الثانية:**

- الأستاذ روي موصلي.

ملخص: ذكر الأعمال الخيرية لهيئة مار أفرام السرياني، مثل تأمين المياه وتقديم المعونة لكل فئات المجتمع، وتأمين فرص عمل ومواد غذائية وتدفئة وألبسة. بالإضافة لمراكز طبية، والعمل مع الأطفال ضمن حقوق الطفل وأيضا مع النساء لمواجهة العنف القائم على النوع الاجتماعي.

- بالتعاون مع جمعية GOPA خلقت الهيئة مساحات عامة للجميع. ومشاريع مختلفة كمشروع معلولا لتأمين استدامة وحياة كريمة لنساء من طوائف مختلفة، وبهدف بناء السلام بين الشباب من مختلف الفئات، إضافة إلى مشروع تأهيل قلعة الحصن عبر ترميم الجدران والآثار الفنية والحفاظ على التراث في وادي النصارى.

وشرح موصلي مبادىء عمل الهيئة في الحفاظ على الكرامة الإنسانية والتضامن والصالح العام والعمل الخيري والعدالة الاجتماعية، مع تقديم الخيار التفضيلي للفقراء، وأوصت ورقته الكنيسة بتحويل الأعمال الخيرية إلى عمل احترافي من أجل ضمان الاستمرارية ووجوب تعزيز المساءلة لإيجاد الحلول.

• **الجلسة الثالثة:**

- الدكتور جمال واكيم.

ملخص: تنطوي الحرب الحالية بين روسيا وأوكرانيا على قرار استهداف المسيحيين الذي يأتي من تحديات جيوسياسية. أما في القرون السابقة فكان عبر حركات احتجاجية لبدع تركز على مضمون العهد القديم أكثر من العهد الجديد.

- من منطلق الأنغلوساكسون أتت الصهيونية المسيحية وهكذا وجدت بريطانيا والولايات المتحدة ضرورة أخذ أرض فلسطين ثم كافة المشرق.

- غزت الولايات المتحدة العراق وقسمته وهي تسعى لتقسيم لبنان وسورية، وقامت أيضا بتمويل ودعم الحركات الإرهابية، ثم سحبت جنودها، لكنها تظل تسعى لتغيير وجه المنطقة (كالتطبيع مع الكيان الصهيوني) فسعت إلى تطبيع ثقافي بين العرب والصهاينة، بالإضافة إلى مشروع الديانات الإبراهيمية لإعادة تدوين النصوص الدينية وإقامة مشاريع مشتركة بين المسيحيين والمسلمين واليهود، وسعت أيضا لاستهداف الآشوريين والسريان في سورية والعراق وتهجير المسيحيين وتقديم التسهيلات وفتح أبواب الهجرة لأن بقاء المسيحيين المشرقيين ليس من مصلحة الصهاينة. وقال يتوجب مواجهة المشروع الانغلوساكسوني، ولكن العرب لا يتوحدون بل يتبارزون.

الندوة الثانية: من الساعة 1 ظهراً إلى 4:30 بعد الظهر.

مدير الندوة: الدكتور جمال واكيم

- **الجلسة الأولى:**

- الدكتور كمال ديب: المسيحيون في مستقبل المشرق.

ملخص: ابتدأ بتعريفات مهمة لمصطلحات المشرق والمشرق العربي والشرق الاوسط والمشرقية المسيحية والمسيحية العربية.

وقال: وصل مسيحيو المشرق إلى مرحلة الاندثار السياسي والاقتصادي والثقافي بعدما انحدرت نسبتهم من 80 بالمئة قبل 1500 عام إلى أقل من 10 بالمئة من السكان حالياً، وإذا كان من سبب مباشر للقلق من تسارع الانحدار، فهو ما يسمى الربيع العربي عام 2011، وما تلاه من حروب وأزمات في سورية والعراق ما زالت مستمرة حتى اليوم.

- إن القلق على مصير المسيحيين في المشرق أساسه الحفاظ على التنوع ضمن دولة الرعاية المدنية التي لا تفرق بين أبنائها عرقياً ومذهبياً، فلا تشريعات للذمية من ناحية، ولا منحى غربياً لا يحترم التراث المشرقي من ناحية أخرى. والواجب هو قرع ناقوس خطر وتقديم خارطة طريق إلى المسؤولين في المشرق، من قادة سياسيين وروحيين ورجال أعمال، ورسالة إلى العالم العربي ليعمل ثقافياً واجتماعياً لمواجهة التحديات.

- وأضاف أن مسلمي المشرق يحملون مسؤولية أخلاقية في المحافظة على التنوع الديني والعرقي، وبخاصة الوجود المسيحي المتواصل هنا منذ ألفي عام، ذلك أن انهيار مسيحي المشرق سينعكس سلباً على صورة الإسلام كديانة متسامحة وذبولهم يمثل بداية عهد كنائس الصمت في سائر المشرق موطن المسيح ومحمد، فتخنق صوت الكنائس ورنين أجراسها رياح الأصولية والتطرف وغياب التسامح.

- لقد أعطى المشرق العالم الصورة الحضارية والمزيج الثقافي كأفضل نموذج لما يمكن أن تكون عليه المواطنة في المجتمعات المعاصرة وكمساهم بارز في النتاج الحضاري والثقافي واللغوي العربي والعالمي. وتابع أليس حريّاً بكل المشرقيين أن يحافظوا على هذا النموذج؟

- **الجلسة الثانية:**

- الأستاذ سركيس أبو زيد _ المعنى والدور بين خيارات المستقبل والنهضة الجديدة.

ملخص: ارتبكت المواقف عند المسيحيين حيث يتبع البعض تيار ثقافته الغربية، بينما يتمسك الآخر بجذوره المشرقية العروبية، وازداد التحدي عند المسيحيين وقلقهم وخوفهم أولا من عدم نجاح دولة لبنان الكبير، والقلق من جيرة الكيان الإسرائيلي والفلسطيني وسورية والخوف من الإرهاب في المنطقة، وزاد الخوف بسبب انهيار الدولة وانعدام الضمانات والحلول الآمنة.

- ما هو خيار المسحيين المشرقيين؟ يتوجب عليهم المحافظة على الوجود المسيحي والتمسك بهويتهم المشرقية. ولديهم مسؤولية تغيير المجتمع وتعزيز القيم الأخلاقية، كما يجب تفعيل دور الكنيسة لأنها بشر وليست حجراً. وإعطاء لبنان معنى جديداً بإطلاق نهج الدولة المدنية.

- **الجلسة الثالثة:**

- الدكتور حسن حماده.

ملخص: بهدف الحوار الفعلي يجب مقاربة الشأن الديني في منطقتنا بطريقة مختلفة عن باقي البلدان، وعلى الرغم من أن لبنان يتميز بتنوعه فلا نقاش بين الأديان.

- هذا التنوع أدى إلى انفصام بين الدولة والدين وإلى تباعد بين الطوائف والأديان، وإلى اشتباكات بين الطوائف وضعف في قياداتها.

- لقد عم الجهل الذي ولّد الخوف الذي ولّد الكراهية التي ولّدت العنف، وإن أسوأ النتائج تأتي من عدم وجود حوار صادق بين قيادات الطوائف.

- الأديان لا تختلف عن بعضها، بل الناس، ويجب على المسلم أن يتصالح مع إسلامه والمسيحي مع مسيحيته، فمصيبة المسيحية بالمسيحيين والإسلام بالمسلمين، لكن يوجد تفاؤل بالخير ويجب إحداث نهضة من قبل المسيحيين لأن الدين لم يوجد ليكون تغطية للاستعمار.

- **الجلسة الرابعة:**

- الدكتور خريستو المرّ (عبر zoom) من كندا: كنائس المشرق بين الواقع والإيمان المسيحي.

ملخص: الإيمان المسيحي يقوم على أن الإنسان خلق على صورة الله، وتميّز بقدرته على التفكير والإحساس والمسامحة وأن الناس متساوون بالكرامة والحرية.

إن الواقع المسيحي مختلف بسبب:

1. القمع والاستغلال والعنف الداخلي.
2. الاستعمار والاستغلال والعنف الخارجي.

- كل 5-6 سنوات هناك حرب في الشرق والاستعمار لم يزل قائماً،يستغل المشاكل الداخلية لمصالحه، وإذا كان من حق الإنسان العيش في بلده وأن يحيا حريته وكرامته فعلينا التحرر من الاستعمار والاستغلال.

- أما موقف الكنيسة حالياً، فهي إما صامتة أو متحالفة مع المستغلين.

مداخلات: اقترح الدكتور سعد سلوم والدكتور كمال ديب زيادة أهمية الحوار المسيحي - المسيحي كحل من الحلول.

الندوة الثالثة: من الساعة 5 إلى 6 مساء.

مدير الندوة: الأستاذ روي موصلي

• **الجلسة الأولى:**

- الدكتور ناصيف قزي: المسيحيون بين الهجرة والتهجير- دروس واستنتاجات من التجارب اللبنانية.

ملخص: الأحداث الذي عاشها عالمنا بلغت حد الهمجية من قتل جماعي وإحراق وإخفاء البشر وشتى أساليب التعذيب، بالإضافة إلى إلغاء كلّ رموز الحضارات ومعالمها.

- لم نزل نفتقر إلى حلول ناجعة والخروج من الوضع الحالي المأزوم في لبنان لن يكون سهلاً، فلبنان لم يعرف في تاريخه الحديث أي حلول لقضاياه، وإذا وجد حل انقسم عنده اللبنانيون.

- وتكلم عن الهجرة والتهجير في لبنان في القرنين السابقين وعن العلاقات بين الناس، وقال: نحن ما نزال نبحث عن الحلول لنعيد رابط الصداقة والأخوة بين الجماعات المكونة للبنان، وبالتالي تأسيس حالة سوسيو - ثقافية قاعدتها العدالة والمساواة.

- لبنان شاهد على تبدلات ديموغرافية ونزوح سكانيّ منذ تاريخه الوسيط وتزايدت هذه الظاهرة اليوم.

- بدأت حركة تهجير سكاني للمسيحيين في القرن التاسع عشر نحو النبطية وبعضهم بين سهل الجرمق وقرى بلاد بشارة وبعضهم توجه إلى صيدا وإقليم الخروب. وخلال الاحتلال العثماني كانت الهجرة إلى البلاد المجاورة كمصر، ثم تحولت إلى أميركا الشمالية والجنوبية وأستراليا، وفي القرن العشرين لم يفلح اللبنانيون في ترسيخ نظام سياسي يؤمّن الاستقرار، فتحول واقعهم إلى انقسام داخلي وباتوا ساحة صراعات للمحاور الإقليمية والدولية، وبسبب عدم بناء دولة نمت حالة الزبائنية التي انتجت طبقة سياسية فاسدة وحرباً سببت هجرة كبيرة.

- أما لبنان ما بعد الطائف فتبدل ديموغرافياً وتغير وجه العديد من البلدات، فالسلم الأهلي كان هشاً حيث استمرت الحروب ومعها الانقسامات والاغتيالات وعدم الاستقرار الأمني.

- إن حب الوطن ليس أغنية بل مسؤولية، وعلينا اعتماد صيغة الدولة المدنية القادرة والعادلة. إننا عالقون بين الصهيونية التلمودية والأصولية التكفيرية، وهما حركتان متخاصمتان في الظاهر ومتفقتان في العمق.

• **الجلسة الثانية:**

- الدكتور راكان رزوق – تعليم الشباب والحد من الهجرة.

ملخص: إذا توفر العلم وفرص العمل للشباب، فهل يهاجرون؟.

- الاستثمار بالأبناء هو فعلياً استثمار للعائلة.

- لقد كانت فرص التعليم العالي في سورية حكراً على الجامعات الحكومية، وأعداد المقاعد والاختصاصات غير كافية ولا تغطي طلب السوق.

- الآن 10 % من الطلاب في الجامعات الخاصة، أما الهجرة فهي لعدم وجود فرص بديلة متاحة، وأول أسبابها هو التعلم وإكماله في الخارج، فمعظم الطلاب لا يعودون، أو يتعلمون في سورية ويهاجرون بعد التخرج وبخاصة الأطباء والمهندسين.. يواجه المتخرجون في سورية عدم وجود فرص عمل، أو وجود فرص عمل غير كفيلة بتأمين حياة كريمة، وطبعاً لا يوجد فرص لجميع الاختصاصات.

- الحل هو الاستفادة من خبرات الذين تخرجوا في الخارج، وإيجاد اختصاصات تلائم الطلب وتخفيض التكاليف، متل جامعة أنطاكية التي تقدم التعلم بأقساط واختصاصات مقبولة.

• **الجلسة الثالثة:**

- ورقة الأستاذ حبيب أفرام، قرأها عنه الدكتور غابي صليبا.

ملخص: هل مات مسيحيو المشرق أو أصبحوا كدببة الباندا شبه منقرضين؟

- نسأل إلى أين ؟.

- قبل أن نلقي باللوم على أحد، نحن كشعوب شرقية مع كل تنوعنا، نحن مسؤولون عن حاضرنا ومستقبلنا.

- نريد أوطاناً تحترم التعدد والتنوع.

- نحن ضحايا الهمجية وظاهرات متل داعش وسنبقى نقتل ونهجر.

اليوم الثاني:

الندوة الرابعة: من الساعة 9:30 إلى 11 صباحاً.

مدير الندوة: الأستاذ حسن حماده

• الجلسة الأولى:

- الدكتور شوقي عطيه – الديناميات الديموغرافية لمسيحيي المشرق.

ملخص: ابتدأ بتعريف مركبات النمو وهي تأثر عدد السكان والديناميات الديموغرافية وهي الولادات(الخصوبة) والوفيات والهجرة.

- المسلمون أكثر خصوبة من المسيحيين، عندما نضيف مكونات التعليم والعمل والسياسة على مكون الدين ينجم تغييرات ثقافية واختلاف بين جماعة وأخرى وتغييرات ديموغرافية.

- وصف واقع التحولات الديموغرافية عند مسيحيي المشرق وقدم تحليلات إحصائية وسكانية تاريخية، وتطرق إلى صعوبة إيجاد مصادر معتمدة وأرقام دقيقة لعدم توفر الدراسات، كما عرض أرقاماً وبيانات ورسوماً مع (Powerpoint) وقال: في بداية القرن الـ 20 كانت نسبة المسيحيين في المشرق ما يقارب 11.12 %، في لبنان 53.4 % والأغلبية موارنة، و 13 % في سورية، والأغلبية من الروم الأرثوذكس.

- أما اليوم فأصبحت نسبة المسحيين في المشرق 3.6 % فقط، ولا يتجاوزون ال3 مليون نسمة.

الأسباب: ارتفاع نسب النمو عند المسلمين بسبب ارتفاع خصوبتهم.

الهجرة: ارتفاع معدل العمر كعامل غير مباشر في لبنان، أما في سورية والعراق فهناك تفاوت في نمو المسيحيين بسبب ارتفاع عدد المسلمين، كما تعاني المنطقة من مشاكل ذات طابع طائفي أو إثني. وكثرة الهجرة بسبب معاناة المسيحيين هناك.

افتراضات الخصوبة: الدين يلعب دوراً والعوامل الاجتماعية والاقتصادية والتحولات الديموغرافية.

- قبل 1957 كانت نسب النمو في العراق عند المسيحيين تعادل النسب عند المسلمين.

- وفي لبنان قبل 1953 كانت نسب نمو المسيحيين تتخطى النسب عند المسلميين بسبب موجات الهجرة الأرمنية والسريانية والكلدانية.

- الهجرة من المشرق والهجرات التي أتت إلى المشرق هي عامل أساسي في ديناميات الديموغرافية في المنطقة. (عرض أمثلة وأرقاماً عن تزايد هجرة المسيحيين) وأهمها الاضطهاد.

- أما انخفاض الخصوبة وارتفاع هجرة الشباب فأدى إلى ازدياد نسبة المسنين.

أسباب المشاكل: انخفاض الوعي والحس القومي وضعف المحفزات المقدمة للشباب للزواج والإنجاب. غياب دولة المواطنة.

اقتراحات للحفاظ على ما تبقى من مسيحيي المشرق:

- إجراء دراسات ومسح شامل لمعرفة أعداد المسيحيين المتبقين.

- إدراك المسيحيين أنهم مواطنون أولاً وأبناء هذا المشرق، وليسوا أبناء طوائف.

•الجلسة الثانية:

- الدكتور الياس الحلبي – لماذا المسكونية؟.

ملخص: المسكونية هي سعي نحو توحيد الكنائس ووحدة المسيحيين والتقارب والتعاون.

- هي دعوة من الإنجيل المقدس ليكون الجميع واحداً، كما أنك أنت أيها الآب في وأنا فيك، ليكونوا هم أيضا واحد فينا، ليؤمن العالم أنك أرسلتني. (يو 17:21)، هي حركة من الروح القدس.

• الجلسة الثالثة:

- الدكتور بالاش مايور _ كيف حافظ المسيحيين على حضارتهم من خلال علم الآثار.

ملخص: عرض صوراً لآثار في كافة المدن السورية ومدن في المشرق تدل على الوجود المسيحي وتعود إلى عصر المسيحية المبكرة.

- في الساحل السوري، لا كلام عن وجود مجموعات دينية، لكن هناك آثار تدل على وجود المسيحية في طرطوس (كاتدرائية محافظ عليها بشكل جيد من عهد الإمبراطورية البيزنطية- القرن السادس).

- نعلم أنه في القرن العاشر والحادي عشر الميلادي كانت أغلبية سكان سورية من المسيحيين، والآثار تثبت وجود الروم الأرثوذكس والموارنة والأرمن واللاتين.

- عرض د. بالاش مجموعة من الصور لأماكن مسيحية (كنائس، كهوف، مزارات، مدافن، أبواب، كاتدرائيات) تدل على وجود المسيسحين في مناطق مختلفة مثل محافظة حمص (مار الياس، مار توما، برج القصب، برج عرب، بانياس) بالإضافة إلى المعدات كالفخار والدبابيس.

- بعض الآثار محافظ عليها والبعض تلف بعوامل الزمن، وهناك عدد من الكنائس من القرون الوسطى التي لم تزل تستخدم اليوم كدير مار جاورجيوس.

- في بعض مناطق سورية لا وجود للمسيحيين حالياً، لكن اكتشفت عدة مواقع تثبت وجودهم في قرون سابقة، ويوجد أكثر من 12 برجاً من القرون الوسطى بناها الأوروبيون ما يدل على كثافة المسيحيين في محيط هذه الأبراج.

- وقال: إنه أمر هام أن يعاد ترميم المباني المتضررة كقلعة الحصن، برعاية هنغاريا وبالتعاون مع اللجنة البطريركية في هيئة مار أفرام، والدولة السورية ومديرية الآثار والمتاحف، وهدف هذه المهمة توثيق ما تبقى من القلعة والمحافظة على الإرث المسيحي والإسلامي، وتأمين فرص عمل للمقيمين من جميع الطوائف ومساعدتهم للبقاء في بلدهم، والدعم الاقتصادي لإظهار أهمية قلعة الخصن وتقديم فرصة تدريب الشباب السوري في علم الآثار، ما يسمح للشباب بالاختلاط مع طوائف مختلفة لتعزيز بناء السلام.

- **الجلسة الرابعة:**

- الدكتور سفير سليم – دور الشباب في مستقبل الحضور المسيحي في المشرق.

ملخص: انطلق من تجربته في الكشاف بمدينة حلب، وتعلم القيادة والمسؤولية باكراً من مرافقته للمطران المخطوف يوحنا ابراهيم، كما تعلم من الكنيسة كيف يكون الشاب قدوة في مجتمعه.

- ابتداءاً من عام 2011 تم التركيز على دعم الشباب للحد من هجرتهم، وفي عام 2013 أطلق أول لقاء للشباب، بعد اختطاف المطرانين يوحنا إبراهيم وبولس اليازجي ودامت 3 سنوات.

- كانت قضيتنا الحفاظ على الوجود المسيحي، وفي عام 2018 أطلقنا مؤسسة hope center هوب سانتر، هدفها مساعدة العائلات على الاستمرار. عملت المؤسسة مسحاً للاحتياجات، العينة 4000 من أصل 9000 عائلة مسيحية في حلب، تبين أن العدد الوسطي هو 2.5 فرد لكل عائلة. 2 % ولادات جديدة، 22 % فقط فئة الشباب بين 18 و 35 سنة. وأقل من 20 % من الشباب متزوج. 13 % يهاجرون، 30 % بدون عمل.

- من المهم نقل الأفكار التي طرحت في المؤتمر إلى جيل الشباب الذي لا يتمتع بفكر الانتماء والمواطنة والانفتاح على الآخر.

- كيف ننقل فكر الموجودين وأبحاثهم إلى الشباب؟وما الطريقة المناسبة لجذب الشباب إلى هذا الفكر؟

- للحفاظ على الحضارة يجب خلق نخب من القادة الشباب. منذ 10 أيام حصل في دمشق لقاء قادة شباب لتداول الآراء واقتراح الحلول.

- مخرجات الشباب مادية ومعنوية كوجود منصة توظيف وطرق لتصدير أعمال وصناعات الشباب.

- طلب استثمار واستعمال أراضي الأوقاف المسيحية للزراعة مثلا، وتشجيع الشباب على الزواج، وإنشاء صندوق تعاضد لدعم الشباب، وإنشاء موقع إلكتروني إعلامي، وتفعيل برامج إعادة تأهيل الشباب الذي عانى من العنف.

- إن الصحة من أولوياتنا وأقترح تزويد القرى بمستشفيات متنقلة لأن معظم المستشفيات بعيدة. وحالياً طلاب الجامعات لا يرتادونها بسبب ندرة المواصلات وارتفاع كلفتها.

- كما اقترح تعزيز عنصر الشباب في لجان الكنائس.

الندوة الخامسة: من الساعة 11:30 إلى 1 ظهراً.

مدير الندوة: الأستاذ غسان الشامي

• **الجلسة الأولى:**

- الدكتور سعد سلوم _ مسيحيو العراق بعد عشرين عاماً على الغزو الأميركي.

ملخص: منذ عشرين عاماً حصل الكثير من الأحداث غيّرت ليس فقط وجه العراق إنما وجه المشرق. من الغزو الأميركي 2003، والحرب الأهلية 2006، التي غيّرت هوية بغداد وعدد من المناطق ديموغرافيا.

- تفجير كنيسة سيدة النجاة عام 2010 أدى إلى هجرة أكثر من 3000 عائلة عراقية مسيحية (أكبر هجرة لمسيحيي بغداد) ومن ثم 2014 أتت داعش واجتاحت العديد من المناطق.

- كل 4 سنوات هناك أزمة مرتبطة بكل دورة انتخابية.

- تحول المسيحيون من أقلية منتشرة في كل أنحاء العراق إلى أقلية متمركزة في منطقة معينة.

- ما هو المهم لنفكر به بعد 20 سنة؟ ما هي هويتنا وكيف نقدمها، دينياً أو قومياً أو فصائلياً أو عراقيا؟.

- يجب ترتيب الأولويات وتوضيح الرؤية بالحوار. وبعد خبرة 20 سنة من الحوار بين الأديان حان الوقت لحوار داخلي مسيحي - مسيحي، لأن واقع التشتت المسيحي يربك المجتمع الدولي والحكومة العراقية والعراقيين.

- هل يجب أن ننتظر الحل أو نتحاور لتقديمه؟.

- بسبب التنوع الديني في العراق، تمركز المسيحيون في مناطق خارج النطاق السياسي المركزي ودخلوا في الصراع بعد ظهور داعش، ولم يزل خطاب الكراهية منتشراً بين جميع الأطراف على الرغم من محاولات مد الجسور.

- إن خوف المسيحي من خسارة استحقاقاته السياسية يجعله يبالغ بالأرقام لإخفاء الواقع، بينما تشير الدلالات على أن المسيحيين في العراق على طريق الانقراض.

- كيف نتحدث عن مواطنة ومسؤولية مسيحية وعن الاستفادة من التنوع من دون حوار ومن دون الخروج من القوقعة؟

1. الحوار الدخلي بين كل طائفة، ومن ثم حوار بين الطوائف المسيحية. وضرورة الأخذ بوجهة نظر الشباب والبعد الجندري. ويجب أن يضم نخباً سياسية ودينية ومناطقية.

2. تغيير نمط الخطاب: الخطاب يجب أن يكون مسؤولاً.

3. تغيير نمط المواطنة في سورية ولبنان والعراق. نمط من إدارة التنوع، يقوم على احترام الاختلاف وعلى قاعدة المساواة.

4. إعادة اكتشاف المسيحيين في المنطقة.

5. إسهام المسيحيين بخلق نمط جديد من الاقتصاد. اقتصاد التنوع الخلاق.

- لدى المسيحيين العديد من القدرات لخلق اقتصاد بديل ويجب الاستثمار بهم.

- إذا كانت الأقلية بخطر فالأغلبية بخطر. وخلص إلى أن مستقبل المشرق هو مسؤولية مسيحية.

• **الجلسة الثانية:**

- الدكتور نقولا أبو مراد (من بغداد عبر zoom):الكنائس الشرقية ما لها وما عليها.

ملخص: لدى كنائس المشرق مساهمات عظيمة جداً في القرون الأولى على صعيد التنوع والإنتاج اللاهوتي والفكري، فالمشرق متميز بالتنوع الديني والإثني واللغوي والثقافي والحضاري.

- إن التعايش الحالي شاهد على التعايش الذي كان موجوداً منذ 2000 سنة.

- منذ بدء الحداثة وعصر العولمة تواجه الكنيسة تحديات أساسية للاستمرارية، يتوجب التعاطي معها بموقف ونهج جديد.

- نتكلم عن التجديد ولكن لا نفعل. لقد أنتجت خبرة التنوع، ليس فقط التعايش، بل أيضاً لاهوتاً عميقاً ونزعة عند المسيحيين المشرقيين بأن يكون لهم فكراً معاصراً للتفكير بمسائلهم الفكرية.

- المسيحيون في القرن الرابع والخامس كانوا على إدراك بالتنوع من ثقافات شرقية ويونانية، ولكننا اليوم غير مدركين لأهمية تحديث اللغة وإنتاج لاهوت يخاطب الإنسان المعاصر، ما يستدعي من جميع الكنائس البحث عن لغة جديدة.

- يجب مواجهة كل هذا التغيير لإعادة ربط الكنيسة بأبنائها، لكن للأسف فإن قيادات الكنيسة تتعاطى مع هذا الموضوع باستخفاف.

- ظاهرة المجمعية..يهدف البابا فرنسيس إلى مشاركة الجميع في حياة الكنيسة (سينودس) فالكنائس تحمل بلاهوتها ثروة كبيرة من الفكر المجمعي، أي أن الكنيسة مجمعية.

- الكنيسة هي جسد واحد تعمل كل أعضائه معاً لأجل خيره، ولكن على مستوى الواقع، للأسف هناك ميول إلى التفرد في الكنيسة.

- نحن اليوم مدعوون إلى العودة للمجمعية. يجب دعم الشباب وتأمين احتياجاتهم، وتطوير اللغة لتشمل كل الأفراد كالشباب والمرأة.

- ما هو دور الكنيسة ضمن واقع المشرق السياسي وتعقيداته؟.

- يجب على قيادات الكنيسة التراجع عن دورهم في السياسة وأن تتخلى عن قوانين أحوالها الشخصية، وعلى الدولة أن تكون مسؤولة عن المواطن.

- يجب استحداث خطاب مسيحي اليوم يواجه تحدي عقدتي الأقلية والعدد.

الندوة الختامية

لمتابعة اقتراحات وتوصيات المؤتمر والواقع المسيحي في المشرق اقترح الأستاذ غسان الشامي أن يقيم المركز المجري لدراسات المسيحية المشرقية لقاءاً شهرياً مشرقياً مصغراً، يحضره عدد من الأكاديميين والباحثين والمهتمين في العطشانة - بكفيا، وإيصال الخلاصات إلى المراجع الدينية والسياسية والثقافية.

كما طالب الدكتور كمال ديب من منسق المؤتمر تشكيل سكريتاريا لإقامة مؤتمر تنويري موسع بالعنوان نفسه في إحدى مدن المشرق.

جرت في المؤتمر نقاشات بينية على هامش الندوات وتم تسجيلها جميعاً، وكانت مدىً تفاعلياً بين المشاركين والحاضرين.

الجدير بالذكر أن ملتقى المشرق سيبدأ لقاءاته في العطشانة مطلع العام المقبل، وأن الموعد المبدئي للمؤتمر الثاني سيكون في الشهر الخامس من عام 2023.

A keresztény jelenlét a Kelet jövőjében - címmel tartottak széleskörű konferenciát 2022.

November 4.-én és 5.-én a Magyar Intézet a Levantei Kereszténységért és az Orient Kutatási és Tanulmányi Központ szervezésében.

Translated by: Adonis Kassab

A hiánypótló rendezvényt a keleti kereszténység egyik fő központjaként Atchaneh- Bikfayában rendezték meg Őszentsége II.

Efrém Ignác szír ortodox pátriárka védnöksége alatt.

A konferencia házigazdája Ghassan Al-Shami úr az Orient Kutatási és Tanulmányi Központ igazgatója volt.

A konferencia két napig tartott és öt szemináriumra oszlott.

Mindegyik szeminárium egy vitaülést tartalmazott, aminek célja, hogy megoldásokat találjanak és javaslatokat tegyenek a keleti kereszténység jövőjének biztosítására.

2022. november 4.-én a nyitónapon részt vett Őszentsége II. Efrém Ignác szír ortodox pátriárka, Azbej Tristan a Miniszterelnökség Üldözött Keresztények Megsegítéséért és a Hungary Helps Program Megvalósításáért Felelős Államtitkárságának vezetője, Csillag Ferenc Magyarország libanoni nagykövete, Ali Abd Al-Karim Ali Szíria libanoni nagykövete.

Továbbá az eseményen részt vett tizenhat szakértő akadémikus, számos egyházi vezető és keleti keresztény értelmiségi.

A megnyitó ünnepség az Orient Kutatási és Tanulmányi Központ igazgatója, valamint a levantei országok keresztény helyzetével foglalkozó konferencia koordinátora, Ghassan Al-Shami beszédével kezdődött:

A valóság azt mondja, hogy Irakban, Szíriában és Libanonban ijesztően fogyatkoznak a keresztények.

Palesztinában már csak mutatóban találni Jézus követőiből, akik a turisták kedvéért tartanak meg a kirakatban.

Jordániában meg szinte észrevehetetlen a keresztények jelenléte.

Ez a valóság, és aki másképp látja az kancsal.

Nem azért vagyok itt, hogy fekete színbe boritsam a naptárat, de amikor a Magyar Intézet a Levantei Kereszténységért Központban és az Orient Kutatási és Kutatási Központban úgy döntöttünk, hogy megtartjuk ezt a konferenciát, az volt a célunk, hogy felfedjük az igazságot és szégyelljük és megoldást kínálni a kutatók, akadémikusok és érdeklődőknek.

Ezután Tristan Azben magyar államtitká rmondott beszédet, amelyben azt kiemelte:

Van egy szó, amelynek ugyanaz a jelentése az egész világon, ez pedig a szolidaritás.

Nekünk, keresztényeknek szerte a világon ez a szó különleges jelentéssel bír.

Napjainkban fivéreinknek és nővéreinknek számos a kihívásoknak, fenyegetéseknek és támadásoknak kell helytállniuk szerte a világban.

Történelmünk során mi magyarok sokszor harcoltunk identitásunk, keresztény hitünk és magyar szellemiség megőrzéséért.

Megvédtük déli határainkat az oszmánoktól, és ezzel nemcsak Magyarországot, hanem egész keresztény Európát is megvédtük.

Később a XX, századi egyházellenes kommunista rezsim áldozatai voltunk.

Az államtitkár hozzátette: Ebben a régióban a keresztény közösségek más problémákkal néznek szembe, mint amikkel Európa szívében szembesülünk.

Egy olyan időszakban, amikor Libanon a békés együttélés és a kölcsönös tisztelet fejlett modelljét mutatja be, a gazdasági válság miatt a kivándorlás sarkalatos probléma, különösen a régióban ismeretlen sorsukat féltő fiatalok körében.

Rá mutatva kivándorlásból adódó demográfiai változások súlyosságára, bírálva a Nyugat közömbös politikáját a problémával kapcsolatban hiszen

elterelik a figyelmet a humanitárius kérdésektől és kevésbé fontos ügyeket emelnek ki.

Végezetül a magyar államtitkár beszédében kiállt a keleti kereszténységért:

Nem hagyjuk, hogy Európa figyelmen kívül hagyja vagy elfedje ezt a katasztrófát, amely a szemünk előtt zajlik.

A közel-keleti régió a keresztény civilizáció forrása, és tudatában vagyunk annak, hogy a keresztény jelenlét kulturális és civilizációs szempontból nagy jelentőséggel bír.

Nemcsak az itt lakó testvéreink, hanem a kereszténységünk érdekében az egész világon.

A konferencia fővédnöke Őszentsége II. Efrém Ignác szír ortodox pátriárka beszédében kiemelte:

Azoknak a radikális és egzisztenciális átalakulásoknak a fényében találkozunk ma, amelyeken régiónk és a világ számos országa megy keresztül.

Korunkbanl sok koncepció megdőlt és sok rendszerek megingtak, zavartságban és bizonytalanságban hagyva az embereket azzal kapcsolatban, hogy mi vár rájuk.

Az emberiségnek a sivár jövő előtt áll, és felrobbanással fenyeget ami bármelyik pillanatban bekövetkezhet.

A korona járvány megmutatta a világ országai és népei közötti nagy egyensúlyhiányt és egyenlőtlenséget.

Az oltások és egyéb megelőzési módszerek iránti nagy rohanás fényében egyes országok – még a baráti országok is – szinte háborút üzentek egymásnak, és kiderült emberi, politikai, sőt vallási rendszerünk törékenysége is.

Ma a világ a háború tragédiáját éli meg Európában, amely külsőleg egy orosz-ukrán háborút vív, de lényegében a világ vezetéséért és vagyonának megszerzéséért verseng.

Ami az áldozatot illeti, ismét sz egyszerű békés ember, aki megélhetést keresi ezen a földön.

Hozzátette: A mi régiónkat illeti, nemzedékek óta háborúk és rivalizálás sújt, az emberek nap mint nap elvesztik méltóságukat, amikor arra törekednek, hogy életük alapvető szükségleteiket kielégítsék.

A keresztények pedig - talán jobban, mint mások - félnek attól, hogy mi vár rájuk.

Az elmúlt évek tapasztalatai miatt, és itt a takfiri terrorista csoportok barbár támadásaira gondolunk, amelyek nem kímélték sem az embereket de még a köveket, Megkíséreltek mindent eltörölni, ami megkülönbözteti ezt az országot az anyagi, szellemi vagy erkölcsi kulturális örökségéről.

A keresztények tehát mindenkit megelőzve döntöttek a kivándorlás mellett, pedig a nagyban hozzájárultak a térség civilizációjának felépítésében, és kitörölhetetlen nyomokat hagytak az idők során.

Majd így folytatta tovább: Kétségtelenül a keresztények hiánya nemcsak a keleti kereszténységnek árt, ami a kereszténység igazi megtestesítője, hanem a mai a Nyugat gyengülésének jele is , beleértve a benne terjedő mérgező materialista és ateista áramlatokat.

A muzulmánoknak is szükségük van a keresztény jelenlét folytatására térségünkben, hogy ezen országok ne váljanak olyan színbe, amely önbezárkózáshoz és vallási fanatizmushoz vezet.

Keleten a kereszténység jelenléte szükségszerű a térségben élő közösségek számára, függetlenül, hogy melyik vallási vagy etnikai csoporthoz tartoznak.

A kereszténynek a történelem során felvilágosító szerepe volt a régióban.

Az Omajjád dinasztia alatt az állami berendezkedés és intézmények létrehozásában jeleskedtek.

Az Abbaszida dinasztia alatt a tudomány és kulturális életben betöltött szerepük volt nélkülözhetetlen.

Damaszkusz és Bagdad szír keresztény tudósai segítették az állam, a tudomány és kultúra fejlődését.

A felvilágosodás korában aktív szerepet töltöttek be az arab nyelv és irodalom újjászületésében.

A XIX. és XX. században a kereszténység számtalan meghatározó személyiséget adott a térségben mind politika, kultúra és tudomány világában.

És ne feledkezzünk meg a régió politikai életében és az arab nemzeti öntudat felemelkedéséhez hozzájárult mozgalmakról többek között Arab Szocialista Baath Pártról és a Szíriai Szociális Nacionalista Pártról akiknek alapítói és vezetői keresztények voltak.

A megnyitót követően a konferencia öt szekcióban folytatta munkáját, amelyeken az alábbi előadások hangzottak el:

Dr. Saad Salloum – a vallási sokszínűség szakértője, iraki egyetemi tanár: Iraki keresztények húsz évvel az amerikai invázió után.

Dr. Kamal Deeb – libanoni származású kanadai kutató, történész és egyetemi tanár: Keresztények a Levant jövőjében.

Dr. Jamal Wakim – libanoni egyetemi professzor: A kereszténység, a cionista judaizmus és az iszlám szalafizmus az apostoli kereszténység célpontja.

Dr. Balázs Major, régész, magyar egyetemi tanár: A régészet és védelmének szerepe a levantei keresztény jelenlét megőrzésében.

Dr. Nassif Azzi – libanoni egyetemi professzor, író és kutató: Keresztények a kivándorlás és az elköltözés között. Libanoni tapasztalatok/leckék és következtetések…

Dr. Christo El-Murr, Kanadában élő libanoni teológus, író és egyetemi tanár: A keleti keresztény egyházak valóságuk és Jézus örömhíre között.

Dr. Shawki Attia-egyetemi professzor, Libanon: A levantei keresztények demográfiai dinamikája.

Dr.. Elias Al-Halabi – egyetemi tanár, Libanon: Levantei ökumenizmus: veszély vagy lehetőség?

Dr.. Rakan Razzouk – az Antióchiai Szíriai Egyetem elnöke, Szíria: Befektetés a fiatalok oktatásába és a migráció korlátozása

a. Sarkis Abu Zaid - író, kutató és médiaszemélyiség, Libanon: Keleti kereszténység: kihívások, jelentés és szerep.

Dr.. Hassan Hamadeh – író és kutató, Libanon: Keresztény örökség és nemzeti teológia.

a. Roy Mousli – a Mar Ephrem Al-Syriani Humanitárius Munkákért Alapítvány igazgatója, Szíria: A keresztény intézmények szerepe a segélyezésben és a humanitárius munkában.

a. Habib Afram – politikus és kutató, Libanon: Fel kell találnunk a reményt és a reményt a túléléshez.

Elias Zahlawi atya – a damaszkuszi Szűzanya plébánia papja, Szíria: Kelet és az eljövendő bizonyosság.

Dr.. Nicolas Abu Murad - teológus, író és egyetemi tanár, Libanon: Ökumenikus egyházak és kihívások.

Dr.. Safir Salim – egyetemi tanár, Szíria: A fiatalok szerepe az egyház jövőjében.

A szemináriumok és előadások kapcsán párbeszédek, megbeszélések zajlottak a küldöttek és a jelenlévők között, ami hozzájárult a konferencia kutatásának gazdagításához.

A tanulmányokat a Magyar Intézet A Levantei Kereszténységért Központ honlapján is megjelennek.

A H-CLC.org-on , illetve hamarosan könyv formájában is kiadásra kerülnek

Első nap

Az első szeminárium: 11:30-13 óráig.

A szeminárium igazgatója: Sarkis Abu Zaid úr

Az első előadó: Elias Zahlawi atya

A tanulmány címe: Kelet és az eljövendő bizonyosság.

Összegzés: Kérdés: van-e remény a mai nap után? Van-e valódi feltámadás ebben az időben?

A keresztények részéről komoly próbálkozások és kezdeményezések történtek az ünnepek egységesítésére, amelyek egy része sikerült, néhány

pedig kudarcot vallott. (Példa Jordániában 1969-ben, amikor a karácsony és a húsvéti ünnepeket egyesítették az egyházak).

A szíriai háború előtt 1971-től Elias atya sok erőfeszítést tett a keleti és nyugati egyházaknál, hogy egyesítsék az ünnepeket.

Személyesen a Vatikánhoz is fordult levél formájában, hogy állítsák vissza az egyházszakadás előtti állapotokat.

Elia Zahlawi atya előadásában megemlítette A damaszkuszi Mirna Al-Akhras asszonyt akiknak az Al-Sufani negyedben lévő otthonában többször megjelent a Szűz Mária és Jézus Krisztus üzenve a hívőket az ünnepek egyesítésére.

Az üzenetekből: Mondom nektek, imádkozzatok, imádkozzatok és imádkozzatok.

Milyen szépek az én gyermekeim, akik térdelve kérnek.

Ne féljetek, én veletek vagyok.

Ne váljatok szét, mint az elődeitek.

Nemzedékeknek tanítjátok majd egység, szeretet és hit szellemét.

Beszédét pedig azzal fejezte be, hogy felkért mindenkit a Kelet, a szabadság és a hit megőrzésére.

A második előadó: Roy Mosuli professzor

Összegzés: Az előadó felsorolta A Szír Szent Efrém Intézmény jótékonysági tevékenységeit, mint például a vízellátást, a társadalom minden szegmensének való segélynyújtást, valamint a munkalehetőségek, élelmiszerek, fűtés és ruházat biztosítását.

Az orvosi központok fejlesztése mellett a gyermek jogok a munka világában, valamint a nőkkel kapcsolatos a nemi erőszak elleni küzdelem érdekében tett erőfeszítéseket.

A GOPA Egyesülettel együttműködve nyilvános tereket hozott létre mindenki számára.

Különböző projektek keresztül, mint például a Maaloula projekt, amely a különböző egyházahoz és vallásokhoz tartozó nők tisztességes életvitelét biztosítja.

Az efféle projektek kiemelt célja a béke megteremtésének létrehozása a különböző csoportokhoz tartozó fiatalok között.

Valamint a térségben lévő keresztes várak falainak helyreállítása és művészeti alkotások restaurálása.

Fontos cél a műemlékek megőrzése a Wadi Al-Nasarában vagyis a Keresztények völgyében.

Mousli ismertette az intézmény munkájának alapelveit az emberi méltóság, a szolidaritás, a közjó megőrzése, a karitatív munka és a társadalmi igazságosság elősegítése.

Továbbá azt javasolta az egyháznak, hogy a karitatív tevékenységet alakítsa át professzionális tevékenységgé annak érdekében, hogy biztosítják a folytonosságot és minél több problémára a megoldásokat találjanak.

Harmadik előadó: Dr. Gamal Wakim.

Összegzés: Korunk Oroszország és Ukrajna közötti jelenlegi háború magában foglalja azt a döntést, hogy célba veszik a kereszténye ket.

Ezek geopolitikai döntésekből erednek Ami a korábbi évszázadokat illeti, aa kereszténység célba vétele azon alapult, hogy az egyre erősödő tiltakozó mozgalmak az Ószövetség tartalmára összpontosítottak jobban, mint az Újszövetségre.

Az angolszász területeken viszont egy új irányzat a keresztény cionizmus jelent meg.

Így Nagy-Britannia és az Egyesült Államok szükségesnek találta Palesztina, majd az egész Közel-Kelet elfoglalását.

Ennek eredményeként az Egyesült Államok megtámadta Irakot és felosztotta azt, majd Libanont és Szíriát is destabilizálta és megpróbálta felosztani.

Washington továbbra is támogatja és finanszírozza a terrorista mozgalmakat, függetlenül attól, hogy egyes területekről visszahívta katonáit.

Az USA folyamatosan arra törekszik, hogy megváltoztassa a térség arculatát azzal, hogy üldöztetésének teszi ki a szíriai és iraki asszírokat és szíreket valamint normalizálja a cionista entitást Palesztinában.

Ezzel elérve a keleti keresztények kiszorítását a térségből, mivel a cionistáknak nem érdeke a levantei keresztények fennmaradása.

Fontos lenne szembenézni és harcolni ezen angolszász terv ellen, de sajnálatos módon az arab országok egymás harcával vannak elfoglalva.

A második szeminárium - 13:00 és 16:30 között.

A szeminárium igazgatója: Dr. Jamal Wakim

Első előadó: Dr. Kamal Deeb: Keresztények a Kelet jövőjében.

Az előadás elején fontos fogalmak magyarázatát és különbségét tárta fel az előadó, mint például mit jelent a Levante, az Arab Levante, a Közel-Kelet, a Keleti Kereszténység illetve az Arab Kereszténység.

Sajnálatos módon a levantei kereszténység a politikai, gazdasági és kulturális kihalás szakaszába jutott, miután 1500 évvel ezelőtti 80%-os arányuk az évszázadok üldöztetése és mészárlása után a 10%-alá csökkent.

Az utolsó csapást a korunkban lezajló Arab Tavasz eseménynek számlájára írható.

Ezt követik a szíriai és iraki háborúk és válságok, amelyek folytatódnak mind a mai napig.

A levantei keresztények sorsával kapcsolatos aggodalmak elosztásának alapja megőrizni a sokszínűséget megvédő polgári jóléti állami berendezkedést, ami nem tesz különbséget a vallási és etnikai emberek között.

Ezért nemet kell mondani a vallási törvénykezésnek, másrészt a nyugati gondolkodást is el kell utasítani ami nem tiszteli a levantei örökséget.

A kötelesség riadót fújni, és ütemtervet felmutatni a keleti tisztviselőknek, beleértve a politikai és szellemi vezetőket és üzletembereket.

Világos üzenetet kell küldeni az arab világnak, hogy kulturális és társadalmi megoldásokon dolgozzanak korunk kihívásaival szemben.

Hozzátette: a keleti muzulmánokat erkölcsi felelősség terheli a vallási és etnikai sokszínűség megőrzésében, különös tekintettel a kétezer éves folyamatos keresztény jelenlétnek a fenntartására.

Mert a keleti kereszténység összeomlása negatívan tükrözi majd az iszlám toleráns képét.

A keresztény közösségek hervadásával a Keleten kezdetét veszi a néma egyházak korszaka ami Krisztus és Mohamed otthona volt.

A templomok hangját és harang zúgását elfojtja majd a fundamentalizmus és a tolerancia ellen szélsőséges csoportok.

Levante a történelem során civilizált imázst és kultúrális keveredést adott a világnak, mint a legjobb modell annak, miként élhet egy állampolgár a sokszínű társadalomban.

Keleten a vallási és etnikai sokszínűségnek köszönhetően alakult ki a kultúra a tudomány, az irodalom, és a civilizáció.

Ezért ez jelentheti az igaz szabadságot, hogy elemi joga legyen mindenkinek ezt a modellt megőrizni.

Második előadó: Sarkis Abu Zaid.

A jövőbeli lehetőségek és az új felemelkedés jelentése és szerepe.

Összegzés: Az különböző ideológiák és irányzatok zavart keltettek a keleti keresztények körében.

Egyes irányzatok inkább a nyugati kultúrának trendjét követik, míg mások keleti gyökereikhez ragaszkodnak.

A keresztények körében fokozódott a szorongás és a félelem miután a Nagy- Libanon állam forma megbukott és nem biztosított keresztény államalakulatot nekik.

A libanoni keresztények aggodalmát fokozta, hogy a környező izraeli palesztin és szíriai entitások állandó katonai beavatkozást hajtottak végre az országban.

Ezen felül a libanoni államrendszer összeomlott és nem talált biztonságos megoldásokat a problémákra.

Mit választanak a keleti keresztények? Meg kell őriznünk a kereszténység jelenlétét, és ragaszkodniuk kell levantei identitásukhoz.

Felelősségük van a társadalom megváltoztatásában és az erkölcsi értékek előmozdításában, az egyház szerepét pedig aktiválni kell.

Új értelmet adni Libanonnak a polgári állam megközelítésének elindításával.

Harmadik előadó: Dr. Hassan Hamadeh.

Összegzés: A tényleges párbeszéd érdekében térségünkben a vallási kérdést másképpen kell megközelíteni mint a többi országokban, annak ellenére, hogy Libanont a sokszínűség jellemzi és nincs párbeszéd a vallások között.

Ez a sokszínűség az állam és a egyház között elszakdást eredményezte illetve a vallási közösségek közötti távolságot növelte.

Az állami vezetés gynegesége miatt a vallási csoportok közötti összetűzések alakultak ki.

A távolság tudatlanságot eredményezett ami félelmet és gyűlöletet generált.

Aztán ez később erőszakba és vallási villongások és háborúba ment át. Ez mind az egyházi vezetők párbeszédének hiányának a következménye.

Nem a vallások különböznek egymástól, hanem az emberek.

A muszlimnak meg kell békülnie az iszlámjával, a kereszténynek pedig a kereszténységével, így a kereszténység szerencsétlensége a kereszténye, az iszlám kudarca a muszlimoké.

A jósággal kapcsolatban azonban optimizmus van, és a kereszténye megújulást kell előidézniük, mert a vallást nem a gyarmatosítás elfedésére jött létre.

Negyedik előadó:Dr. Hassan Hamadeh.

Összegzés: A tényleges párbeszéd érdekében térségünkben a vallási kérdést más országokban kell megközelíteni, bár Libanont a sokszínűség jellemzi, a vallások között nincs vita.

Ez a sokszínűség dichotómiához vezetett az állam és a vallás között, a szekták és a vallások közötti eltéréshez, valamint a szekták közötti összeütközéshez és vezetésük gyengeségéhez.

Elterjedt a tudatlanság, amely félelmet generált, amely gyűlöletet, amely erőszakot generált, és a legrosszabb eredmények a szekták vezetői közötti őszinte párbeszéd hiányából származnak.

Nem a vallások különböznek egymástól, hanem az emberek, és a muszlimnak meg kell békülnie az iszlámjával, a kereszténynek pedig a kereszténységével, így a kereszténység szerencsétlensége a kereszténye, az iszlám a muszlimoké,

A jósággal kapcsolatban azonban optimizmus van, és a kereszténye reneszánszot kell előidézniük, mert a vallást nem a gyarmatosítás fedezésére hozták létre.

Negyedik előadó: Dr. Christo El-Murr (a Zoomon keresztül) Kanadából

Keleti egyházak a valóság és a keresztény hit között.

Összegzés: A keresztény hit azon a tényen alapszik, hogy az ember Isten képmására teremtetett.

A gondolkodás, az érzés és a megbocsátás képessége különbözteti meg a többi élőlénytől.

valamint minden ember egyenlő a méltóságában és szabadságában.

A keresztény valóság eltérő a különböző okokból.

1. Elnyomás, kizsákmányolás és belső erőszak.

2. Gyarmatosítás, kizsákmányolás és külső erőszak.

5-6 évente keleten mindig egy háború tör ki.A gyarmatosítás különböző módon de tovább létezik a térségben.

Kihasználja az adott ország belső problémáit és ellentéteit.

Mivel minden embernek joga van a saját hazájában élni szabadságban és méltóságban ezért elsősorban meg kell szabadulnunk a kizsákmányolástól és a gyarmatosítástól.

Ami az egyház jelenlegi helyzetét illeti, az vagy hallgat, vagy a kizsákmányolókkal szövetkezik.

Megjegyzés: Dr. Saad Salloum és Dr. Kamal Deeb a keresztény-keresztény párbeszéd jelentőségének növelését javasolta megoldásként.

A harmadik szeminárium 17-18 óráig.

A szeminárium igazgatója: Roy Mosly professzor

Első előadó Dr. Nassif Azzi: Keresztények a kivándorlás és a kitelepítés között – tanulságok és következtetések a libanoni tapasztalatokból.

Összegzés: A civilizált világunk által átélt események elérték a barbárság legmagasabb szintjét, amikor is tömegesen irtották ki az embereket, különböző kinzó eszközökkel, többek között elégetéssel vetettek véget keresztény hitű emberek életének.

Egyenlőre nem tudunk jó megoldást találni az üldöztetés megállítására ami minden libanoni számára megfelel.

Mivel Libanon a modern kor kihívásainak és problémáinak sosem tudod megfelelő válságkezelést lebonyolítani.

A próbálkozások többsége mindig a társadalom megosztásával végződött.

Az elmúlt két évszázadban több hullámban menekültek vagy vándoroltak ki a libanoniak, emiatt az emberi kapcsolatok is megváltoztak.

Még mindig keressük a megoldásokat, hogy helyreállítsuk a baráti és testvéri köteléket Libanont alkotó közösségek között, és így létrejöjjön egy az igazságosságon és egyenlőségen alapuló társadalmi-kulturális állam.

Libanon a középkori történelme óta demográfiai változásoknak és népesség eltolódásának volt tanúja, és ez a jelenség napjainkra fokozódott.

A keresztények elnéptelenedése a 19. században indult meg Nabatiyeh felé, ami később Jarmak síkságra és Bilad Bishara falvai közé, végül Sidon és Iqlim al-Kharroub felé terjedt el.

Az oszmán megszállás alatt a kivándorlás a szomszédos országokba, így Egyiptomba irányult, majd Észak- és Dél-Amerika, Ausztrália felé fordult.

Majd a huszadik században a libanoniaknak nem sikerült stabilitást biztosító politikai rendszert kialakítaniuk, így a mindennapjaik a belső

megosztottság, konfliktusok színterévé váltak. Ezekbe bele avatkoztak különböző regionális és nemzetközi tengelyek-

Az államépítés elmaradása miatt felerősödött a klientelizmus állapota, amely korrupt politikai osztályt és háborút eredményezett, ami végül tömeges kivándorlást okozott.

Libanon társadalma a Taifi egyezmény után, demográfiailag megváltozott. Számos város arculata megváltozott.. A polgári béke törékeny.

A hazaszeretet nem egy dal, hanem felelősség. Ezért végre el kell határoznunk magunkat egy polgári állami berendezkedés mellett, ami biztosítja az igazságos államot Jelenleg viszont a talmudi cionizmus és a takfiri fundamentalizmus közé estünk.

Két olyan szélsőséges ideológiáról beszélünk, amit a látszatban vetekedik egymással de valóságban mélységesen egyetértenek.

A második előadó:Dr. Rakan Razzouk – Ifjúsági oktatás és migráció csökkentés.

Összegzés: Ha a fiatalok hozzáférhetnek a normális oktatáshoz és munkalehetőségekhez, elvándorolnak?.

A gyerekekbe való befektetés tulajdonképpen a családba való befektetés.

Szíriában a felsőoktatási lehetőségek az állami egyetemekre korlátozódtak, a helyek és szakok száma pedig nem volt elegendő.

Viszont a színvonalas felsőoktatásra nagy igény van. Jelenleg a hallgatók 10%-a magánegyetemeken tanul.

A szíriai keresztény fiatalok körében a kivándorlás egyik fő oka a külföldi tanulmányok iránti vonzalom és egy külföldi diploma megszerzése.

Viszont a legtöbb külföldön tanult diák soha nem tér haza, hanem az adott országban folytatja jövőjét már a munka világában.

Akik Szíriában végezték el tanulmányaikt, ők azzal szembesülnek, hogy nincsenek kellően megbecsülve a munkaadók körében

A megoldás ezekre a problémákra az lenne, hogy a külföldön végzett diákok tapasztalatainak hasznosítása a munkateremtés és az oktatás terén.

Ebben partner az Antiochiai Egyetem ami elfogadható tandíjjal és színvonalas oktatással várja a diákokat az általa meghirdetett szakokra.

Harmadik előadó: Habib Afram professzor dolgozata, Dr. Gabi Saliba olvasta.

Összegzés: A levantei keresztények mind meghaltak? Vagy majdnem kihaltak, mint a pandamedvék?

Kérdezzük merre tartunk tovább?

Mielőtt bárkit is hibáztatnánk, mi, keleti népek sokféleségünkkel együtt, mind felelősek vagyunk jelenünkért és jövőnkért.

Olyan hazát akarunk, amelyek tiszteletben tartják az etnikai és vallási sokszínűséget.

Barbarizmus áldozatai vagyunk olyan szervezeteké mint az Iszlám Állam, ami továbbra és megöl és elűz minket az otthonaikból.

Második nap

A negyedik szeminárium 9:30 és 11 óra között.

A szeminárium igazgatója: Hassan Hamadeh professzor

Első előadó: Dr. Shawki Attia – A levantei keresztények demográfiai dinamikája

Összegzés: A muszlimok több gyereket vállalnak, mint a keresztények.

Ez tény. Ennek okai nem csak a vallási különbségekben keresendő, hanem különböző oktatási munkavállalási és politikai összetevői is vannak ami kulturális változásokat eredményez a közösségek között.

Így demográfiai változásokat eredményez.

Sajnálatos módon politikai okokból sosem készült érdemi tanulmány a levantei keresztények demográfiai helyzetéről, történelmi statisztikájáról vagy bármiféle elemzés ami felvázolta a közelmúlt helyzetét illetve előrevetíti a jövőbéli lehetőségeket.

Amit az egyházi iratokból tudunk, hogy a 20. század elején a keresztények aránya egész közel-keleten megközelítőleg 11,12% volt.

Libanonban ez az arány 53,4%, többségük maronita, 13% Szíriában és többsége görög ortodox volt.

Ma a keresztények aránya Keleten mindössze 3,6%, és nem haladja meg a 3 millió főt.

Az okok:

Muszlimok körében magasabb a gyermekvállalás ezért a növekedésük is nagyobb.

Libanonban muszlimok körében is egyre magasabb a életkor ami szintén egy tényező.

Szíriában és Irakban egyenlőtlenség mutatkozik a keresztények és a muszlimok gyarapodása között, mivel a muszlimok aránya jelentősen nagyobb.

A régióban folyamatosak az etnikai és felekezeti atrocitások, ami a keresztények kivándorlását eredményezi.

A gyermekvállalást befolyásolja a vallási hovatartozás, a gazdasági helyzet, és a társadalmon belül betöltött szerep.

1957-ig a keresztények arányos növekedése megegyezett a muszlimokkal.

1953-ig Libanonban a keresztények száma gyorsabban emelkedett a muszlimoknál, Ez nem csak a magas gyermekvállalásnak köszönhető, hanem az örmény, káld és szír keresztények bevándorlása is elősegítette a növekedést.

A levantei keresztények demográfiai dinamikáját főként az üldöztetés miatt megerősödött migráció irányítja. A fiatalság kivándorlása a társadalom öregedését eredményezi.

Az okok közé sorolható még a nemzettudat hiánya a nemzethez való tartozás hiánya. Ezen okok a az üldöztetés rovására írható. Fontos tényező még a jogállamiság hiánya ami csökkenti a gyermekvállalási és házassági kedvet is.

Második előadó: Dr. Elias Al-Halabi – Miért az ökumenizmus?

Összegzés: Az ökumenizmus az egyházegyesítés, a keresztény egység, a közeledés és az együttműködés törekvése.

Ez egy felhívás a Szent Bibliából: Legyenek mindnyájan egyek. Amint te, Atyám bennem vagy s én benned, úgy legyenek ők is eggyé bennünk, hogy így elhiggye a világ, hogy te küldtél engem. (János 17:21). Ez a Szentlélek mozgalma.

Harmadik előadó:

Dr. Major Balázs régész: Hogyan őrizték meg a keresztények civilizációjukat a régészeten keresztül.

Összegzés: Képek megjelenítése az összes szíriai és keleti város régiségeiről, jelezve a keresztény jelenlétet és a korai kereszténység koráig nyúlik vissza.

A szíriai tengerparti vidéken számos vallási csoport él. Ezek közül a keresztények is erősen jelen vannak és ez az épületek sokaságából is kimutatható.

Elég megemlíteni a tartuszi keresztény katedrális romjait ami a VI. századi bizánci korból származik.

Tényként kezeljük, hogy a X. és XI. században A történelmi Szíria területének lakossága többségében keresztény volt.

Krisztus követőit főként a görög ortdoxok, maroniták, örmények és latin keresztények képviselték, de jelen voltak a szírek káldok és asszírok is.

Dr. Major Balázs előadásában megmutatta fénykép gyűjteményét ami a keresztény helyeket mutatja be.

A korai kereszténység a templomain barlangjain, szent helyein és temetőin keresztül mutatta meg kulturális gazdagságát.

Szíriai szerte minden régióban felfedezhető a kereszténység jelenléte.

Még azokon a helyeken is megtalálhatóak a keresztény műemlékek ahol már nem élnek Krisztus követői.

Dr Major Balázs kiemelte, hogy Magyarország égisze alatt együttműködve a Szír állammal , a Szent Efrém Hatóság Patriarchális Bizottsággal, Régiségügyi és Múzeumi Igazgatósággal számos műemlék került helyreállításra.

Többek között a Hoszn vár ami a világ legnagyobb keresztes lovag vára.

Továbbá az összefogás probálja előmozdítani a keresztény és muszlim műemlékek együttes megóvását, ezzel is közelebb hozzák a különböző vallási csoportokat.

Major Balázs hozzátette, hogy fontos cél a fiatal régész generáció megteremtése és kiképzése is.

Negyedik előadó:

Dr. Safir Salim – A fiatalok szerepe a keleti keresztény jelenében és jövőjében.

Összegzés: Az előadó Aleppó városában szerzett cserkész tapasztalatait osztotta meg.

Dr Salim még fiatalon megtanulta, hogyan vezessen felelősségteljesen egy közösséget.

Tanítója a szíriai konfliktus ideje alatt elrabolt Yohanna Ibrahim püspök volt.

Dr. Salim úgy véli, hogy az egyház tanítása megmutatja, hogyan lehet egy fiatal példaképe a közösségnek.

A szíriai konfliktus 2011-es kitörése óta nagy hangsúlyt fektetett a fiatalok kivándorlásának visszaszorítására.

2013-ban fegyveresek elrabolták Aleppo két legfontosabb egyházi vezetőjét Yohanna Ibrahim püspököt és Boulos Al-Yazaji érseket.

Ezek után megszervezte az első találkozót az aleppoi fiatalok számára.

Dr. Salim célja, hogy megőrizze a keresztények jelenlétét a térségben.

Ezért 2018-ban létrehozta a Remény központot ami az elszegényedett keresztény családok túlélését támogatta meg.

A támogatáson keresztül adatgyűjtésbe is fogtak, hogy fel tudják mérni a közösség demográfiai helyzetét.

A városban összesen 9000 szír ortodox család él amiből négyezret tudtak támogatni.

A felmérés után kiderült, hogy a családok átlagosan 2.5 főből állnak. Az újszülöttek aránya 2%. A 18-35 év közöttiek a közösség csak a 22%-át teszik ki, míg a fiatalok kevesebb mint 20%-a házas és 30%-uk munkanélküli.

Ez a fiatalok kivándorlásának a legfőbb bizonyítéka. A megmarad fiatalok 13%-a a kivándorlást részesíti előnyben.

Célunk a keresztény jelenlét megőrzése volt, és 2018-ban elindítottuk a Reményközpontot, a reményközpontot, hogy segítsük a családok túlélését.

Az Alapítvány igényfelmérést végzett, a minta 9000 aleppói keresztény családból 4000, átlagosan 2,5 fő családonként.

Az újszülöttek 2%-a, a 18 és 35 év közötti fiataloknak csak 22%-a. A fiatalok kevesebb mint 20%-a házas. 13% kivándorol, 30% munka nélkül van.

Fontos, hogy a konferencián elhangzott gondolatokat eljuttassuk a fiatalabb generációhoz, amely nem élvezi az összetartozás, az állampolgárság, a másik felé nyitottság gondolatát.

Fontos, hogy a konferencián elhangzottak eljussanak a fiatal generációhoz, hogy megnyissa számukra a lehetőségeket.

Erősíteni kell bennük a nemzeti identitást illetve a szülőföldhöz való ragaszkodást.

A keresztény társadalom megőrzése érdekében létre kell hozni a fiatalok vezető elitjét.

Anyagi és erkölcsi megbecsülést kell nekik biztosítani a munkavállalás világában.

Segíteni kell a fiatalokat a vállalkozások létrehozásában. Az egyházi földeket, birtokokat bérbe kell adni a fiataloknak, hogy hasznosítsák azokat.

Ösztönözni kell a fiatalokat a házasságkötésre. Online felületeket, oldalakat kell létrehozni a fiataloknak.

Fontos egy befektetési alap megalapítása ami a fiatalok támogatását célozza meg.

Továbbá létre kell hozni egy rehabilitációs programot ami az erőszakot és háborút átélő fiatalok integrálását segíti elő.

Az egészségügy is kiemeltek fontos a fiatalok számára. A városoktól távoli kisebb falvakban mobil kórházakat kell létrehozni.

Az egyetemekre járó fiatalok útiköltségre is finanszírozási alapot kell találni.

A keresztény közösségeknek mindezekre bizottságokat kell létrehozni, hogy ellenőrizzék a támogatásokat.

Az ötödik szeminárium: 11:30-tól 13:00-ig.

A szeminárium igazgatója: Ghassan Al-Shami professzor

Első előadó: Dr. Saad Salloum – Iraki keresztények húsz évvel az amerikai invázió után.

Összegzés: Húsz évvel ezelőtt sok olyan esemény történt, amelyek nemcsak Irak, hanem az egész Kelet arculatát is megváltoztatta. A 2003-as amerikai invázió majd a és a 2006-os iraki polgárháború teljesen megváltoztatta Irak demográfiai összetételét.

A Megváltó Boldogasszony temploma elleni terrortámadás következményeként több mint 3000 bagdadi keresztény család hagyta el Irakot.

Ez a bagdadi közösség legnagyobb migrációs hulláma volt. 2014-től az Iszlám Állam megjelenésével a megmaradt keresztények is a menekülést választották a halál ellenében.

Ráadásul a négyéves kormányzati ciklusok után megszervezett választások mindig belpolitikai válságot idéznek elő.

Ennek eredményeként a keresztények számos iraki tartományokból teljesen eltüntek és központosított közösségeket alkottak egyes településeken.

Mivel lehet számolni 20 év múlva? Mi a mi identitásunk? Milyen szempontból határozzuk meg? Vallási, nemzeti, egyházi vagy egész iraki szempontból?

Fontos a prioritások rendbetétele és megkezdeni a felekezetek közötti párbeszédet a jövőkép tisztázása érdekében.

Húsz év tapasztalataiból kiindulva eljött az idő a keresztény-keresztény párbeszédre, mert iraki keresztények szétszóródtak a világ minden országába

ami megkérdőjelezi az iraki kereszténység létjogosultságát a nemzetközi közösség és az iraki kormány számára.

Az etnikai felosztás alapján létrehozott iraki választási rendszer miatt a keresztény vezetők eltúlozzák a hívők létszámát attól tartva, hogy elveszítik a politikai jogosultságukat.

Miközben a valóságban az iraki keresztények a kihalás szélére kerültek, a központi statisztikai hivatalokban még mindig több százezres közösségről beszélnek.

Hogyan menthetjük meg a kereszténeket? MIként szerezhetünk nekik teljes jogú állampolgárságot ami felelősséggel is jár? Hogyan kerülhet ki burokból az iraki kereszténység még mielőtt teljesen kihalna? Hogyan lehet profitálni a társadalmi sokszínűségről?

1. Belső párbeszéd szorgalmazása minden vallási közösségen belül.

Belső párbeszéd a keresztény egyházak között. Figyelembe kell venni a fiatalság törekvéseit és jogait. Szerepet kell nekik biztosítani a politikai, gazdasági és társadalmi életben.

2. Változtassuk meg a beszédstílust: A politikai beszédeknek felelősségteljesnek kell lennie.

3. Szíriában, Libanonban és Irakban mindenkinek egyenjogú állampolgárságot kell biztosítani a kölcsönös tisztelet alapján.

4. A kereszténeket újra fel kell fedezni a régióban.

5. A keresztények hozzájárulása a gazdaság fellendítésében.A kreatív sokszínűség gazdasága utal. A kereszténeknek számos lehetőségük van arra, hogy alternatív megoldásokkal erősítsék a gazdaságot.

Ha a kisebbség veszélyben van, a többség is veszélyben van. Végeredményként a Kelet jövője keresztények felelősségét terheli.

A második elóadó Dr. Nicolas Abu Murad (Bagdadból a Zoomon keresztül)

A keleti egyházak jogai és kötelezettségei

Összegzés: A keleti egyházak az első évszázadokban igen nagy teológiai és szellemi hagyatékot teremtettek. A kelet egyedisége a sokszínűségében rejlik ami etnikai, vallási, nyelvi , kulturális gazdaságot jelent.

A mostani együttélés a 2000 éves alapja van.A globalizáció korában az egyházaknak új kihívásokkal kell szembenézni amit új szemlélettel kell megközelíteni.

Beszélhetünk megújulásról, de nem cselekszünk semmit.

A negyedik és ötödik század keresztényei tisztában voltak a keleti és görög kultúrák sokszínűségével, ma azonban nem vagyunk

vagyunk tudatában a modernizálás eszközeivel amit a kortárs embert szólítaná meg a teológia új nyelvezetével.

Mindezzel a változással szembe kell nézni, hogy az egyház újra kapcsolatba kerüljön gyermekeivel, de sajnos az egyházi vezetők könnyedén kezelik ezt a kérdést.

Ferenc pápa célul tűzte ki, hogy mindenki részt vegyen az egyház életében. Mivel az egyházak teológiájukban rengeteg éltető gondolatot hordoznak.

Az Egyház egy test, amelynek minden szerve együtt dolgozik a javáért. Viszont a valóságban az egyházakat egyének irányítják akik kiváltságokat élveznek.

A mai nappal vissza kell térni az egyházi közösségekhez. támogatni kell a fiatalokat és fejleszteni kell a társadalmat kiemelt figyelemmel az egyénekre, mint például a nőkre.

Zárszó:

A konferencia javaslatait és ajánlásait, figyelembe véve valamint a levantei keresztények sorsának követése érdekében Ghassan al-Shami szakértő azt javasolta, hogy a Magyar Intézet a Levantei Kereszténységért Atchaneh - Bikfaya-ban havonta tartson kisebb rendezvényeket az akadémikusok, kutatók és érdeklődők számára.

Dr. Kamal Deeb felkérte a konferencia koordinátorát, hogy hozzon létre egy kibővített felvilágosító konferenciát hasonló címmel a közel-kelet többi városaiban.

A Mashreq Fórum a jövő év elején kezdi üléseit Atchanában. A második konferencia tervezett időpontja 2023 ötödik hónapjában lesz.

توصيات المؤتمر

برعاية قداسة البطريرك أفرام الثاني، بطريرك أنطاكيا وسائر المشرق للسريان الأرثوذكس، الرئيس الأعلى للكنيسة السريانية في العالم عقد المركز المجري لدراسات المسيحية المشرقية و مركز المشرق للأبحاث والدراسات مؤتمراً بحثياً على مدى يومين 4-5 نوڤمبر شارك فيه 16 أكاديمياً وباحثاً من لبنان وسورية والعراق، قدم فيه كل مشارك بحثاً في اختصاصه، وجرت خلال ندواته الخمس مناقشات بعد قراءة ملخصات الأبحاث شارك فيها المنتدون والحضور الأكاديمي.

خلص المؤتمر إلى نتائج تنشر تباعاً وبشفافية مع أوراق البحث التي قدمها المشاركون، على موقع المركز المجري لدراسات المسيحية المشرقية H-CLC.org والتي ستقدم إلى بعثات دول المشرق الدبلوماسية ورؤساء الكنائس المسيحية المشرقية والمرجعيات الإسلامية.

التوصيات:

1 - لأن وضع المسيحيين المشرقيين الحالي ليس على ما يرام يتوجب الحوار مع دول المشرق لإيجاد مقومات بقائهم.

2 - الحوار المسيحي - المسيحي ضرورة قصوى لإيجاد صيغ دعم بقاء المسيحيين.

3 - خروج هذا الحوار من شكله البرجي على مستوى القيادات الروحية، ونقله إلى الشارع المسيحي.

4 - الطلب من بطاركة المشرق الإيعاز إلى الكهنة تخصيص عظاتهم حول دور المسيحيين في أرضهم وتشبثهم بتاريخهم وإيمانهم.

5 - الحد من نزف هجرة الشباب بمحاولة الكنائس تأمين عمل ومستقبل لهم.

6 - تفعيل دور الشباب في الكنيسة والالتفات إلى آرائهم ورؤاهم وتطلعاتهم.

7 - الطلب بتفعيل الحوار الإسلامي المسيحي وإخراجه من فوقيته وبرّانيته، عبر إيجاد طريقة تقوم بها القيادات الإسلامية بإقناع الشارع بأن الوجود المسيحي في المشرق ضرورة وطنية وإسلامية.

8 - الطلب من دول المشرق الالتفات إلى ما يريده الشباب المسيحي وتأمين الحوافز له ليكون مشاركاً في الحياة العامة بغية الحد من الهجرة.

9 - طمأنة الشباب في المشرق إلى مستقبلهم من خلال تعزيز دولة المواطنة.

10 - وقف الرهان على أي دور خارجي لحماية مسيحيي المشرق.

مستقبل الحضور المسيحي في الشرق
مركز المشرق للأبحاث والدراسات
Levant
المركز المجري لدراسات المسيحية

الفهرس

البحث عن المستقبل ٥
كلمة قداسة البطريرك ٧
مار إغناطيوس أفرام الثاني..... ٧
H.E. Mr Tristan Azbej State Secretary for the Aid to Persecuted Christians..... ١١
الديناميّات الديموغرافيّة لمسيحيّي المشرق..... ١٧
صامدون هنا! ٤٧
المسيحيون في مستقبل المشرق..... ٤٧
المسيحيون في العراق بعد عشرين عاما من الاحتلال الأميركي ١٠٩
المسيحية المشرقية: تحديات المعنى والدور ١٣١
المشرق.. واليقين الآتي ١٣٧
Archaeology and Monument Protection - Tracing, Documenting and Preserving the Christian Remains in Syria
..... ١٤٥
د. حسن حمادة ١٧١
لماذا تستهدف الولايات المتحدة المسيحية الرسولية في المشرق؟..... ١٧٩
د. جمال واكيم ١٧٩
التجارب اللبنانيّة ١٨٣
دروس واستنتاجات ١٨٣
د. ناصيف قزّي..... ١٨٣
الاستثمار في تعليم الشباب والحدّ من الهجرة..... ١٩١
المسكونية خطر أم فرصة؟..... ١٩٦
دور الكنيسة في العمل الإنساني والتنموي ٢٠٦
علينا أن نخترع أملاً ورجاءً لنبقى ٢١٢
م. حبيب أفرام..... ٢١٢
الشباب والحضور المسيحي ٢١٦
د. سفير سليم ٢١٦
ملخص مجريات مؤتمر مستقبل الحضور المسيحي في المشرق ٢٢٣
تلخيص: انغريد شدياق ٢٢٣
A keresztény jelenlét a Kelet jövőjében - címmel tartottak széleskörű konferenciát 2022 ... ٢٤٢
توصيات المؤتمر ٢٦٤